

مشروع  
جامعة القاهرة للترجمة

CAIRO UNIVERSITY'S PROJECT FOR TRANSLATION

12

الكتاب الثاني عشر



مركز جامعة القاهرة  
للغات والترجمة

# يهودية بلا إله

تأليف

يعقوب ملكين

مراجعة

د. أحمد محمود هويدى

ترجمة وتعليق

د. أحمد كامل راوى



يهودية بلا اله



al-maktabeh

نائب رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور هبة نصار

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور حسام كامل

إشراف

إشراف عام

الأستاذ الدكتور محمد عثمان الخشت

الأستاذ الدكتور محمد عناني

مكتبة

المفتحين

# يهودية بلا إله

نالف

يعقوب ملكين

مراجعة

د. أحمد محمود هويدى

ترجمة وتعليق

د. أحمد كامل راوي

المفتدين

الناشر

مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة

اسم الكتاب : يهودية بلا إله

اسم المؤلف : يعقوب ملكين

ترجمة وتعليق : د. أحمد كامل راوي

مراجعة : د. أحمد محمود هويدي

سنة النشر : ٢٠١٢م

الناشر

مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة

مكتبة

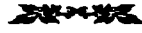
المؤتمدين

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للناشر

٢٠١٢م



## مشروع جامعة القاهرة للترجمة



الأستاذ الدكتور محمد عثمان الخشت

مدير مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة

يسعى المركز في الوقت الحالي إلى تكثيف نشاطه الثقافي والمعرفي بضخ مجموعة من المشروعات التنويرية التي تتخذ المنهج العلمي أداة لها. ومن هذه المشروعات: مشروع جامعة القاهرة للترجمة؛ لاسيما أن العالم المعاصر يشهد نموًا هائلًا في البحوث الأكاديمية في شتى المعارف كما وكيفًا. هذه الطفرة البحثية تحتاج أن يواكبها طفرة موازية في سبل النشر الأكاديمي، حتى تُصبح متاحة لجميع الباحثين. وتأمل إدارة مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة، أن يقوم بدوره المأمول في ترجمة العلوم الإنسانية، خاصة فيما يتعلق بنشر البحوث الأصيلة التي تقدم مساهمة حقيقية في مجال العلوم الإنسانية خاصة والمجال الثقافي بصفة عامة.

ويهدف المركز من ذلك إلى تعميق دوره في إثراء الحياة الثقافية والأكاديمية، وتحسين القدرات التنافسية للجامعة على المستوى الدولي، وإقامة علاقة من التفاعل المعرفي والإبداعي بين الثقافتين العربية والعالمية، وتأسيس منبر للإبداع الفكري والثقافي في شتى صنوف المعرفة الإنسانية، بما يحقق نوعًا من التواصل بين العديد من الميادين والحقول المعرفية المختلفة.

ولاشك أن الترجمات الرصينة للثقافة العالمية، في مجتمع المعلومات والثورة المعرفية، تلعب دورًا جوهريًا في التفاعل الثقافي؛ فمن خلالها تمتد جسور بين مجتمعات بشرية متباينة، تُفتح أبواب التواصل الاقتصادي والاجتماعي، بل وحتى السياسي، يتم التبادل الثقافي والانفتاح على الآخر. بالترجمة ترى الأنا الآخر، أو يعبر الآخر للأنا، وتتولد حياة إثر أخرى دون توقف، تتخلق المفاهيم وتتطور باستمرار، تُخلق الأفكار في سواوات عوالم عدة وتزرع في أراض جديدة لتنمو من جديد.

وبالترجمة تتعلم الشعوب أهمية الثقافة، وتسير نحو تخفيف التباينات الشديدة، وتخلق النموذج العام للتواصل الحضاري.

إن للحضارة أطوارًا ومراحل، ولكل طور ومرحلة شعب من الشعوب يحمل مشعل الحضارة، إذ ليس باستطاعة أي شعب أن يحمل هذا المشعل إلى الأبد، بل هو يأخذه من شعب سابق ويسلمه إلى شعب لاحق... يأخذ ويعطي.. مستفيدًا من مجمل الإنجازات التي توصلت إليها الشعوب الأخرى قبله... ناقلًا ما وصل إليه وما استطاع أن يطوره بإمكاناته الذاتية إلى ما بعده... وعملية النقل هنا تعتمد اعتمادًا رئيسًا على الترجمة.

ومن هنا سعى مركز اللغات والترجمة التخصصية في إطار طفرة التغيرات النوعية إلى إطلاق مشروع جامعة القاهرة للترجمة، ويهدف هذا المشروع إلى تقديم أفضل ما أنتجته قرائح المفكرين والعلماء في العصر الحديث مترجمًا إلى اللغة العربية بدقة متناهية وبأسلوب عربي شائق، آمليين أن يكون في هذا إسهام مرموق للجامعة في النهضة الفكرية والعلمية والأدبية الراهنة، وتفعيل التواصل الحضاري بيننا وبين أمم العالم التي لها بصماتها على الفكر العالمي.

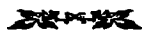
وبالفعل تم إطلاق المشروع، حيث تم الانتهاء من العديد من الكتب من اللغات المختلفة: اليونانية، والفارسية، والعبرية، والفرنسية، والإنجليزية، فضلًا عن ترجمة كتابين من العربية إلى الفرنسية والإنجليزية.

وجاري ترجمة عشرات الكتب من مختلف اللغات السابقة، فضلًا عن اللغات اليابانية، والصينية، واللاتينية، والأسبانية.

\* \* \* \*



## مقدمة المترجم



في وقت تتعالى فيه أصوات اليهود باتهام الإسلام بالتفسخ والتصدع والضعف والانقسام، وأنه دين يحث المؤمنين به على التطرف والعنصرية والمغالاة، وفي وقت يدعى فيه اليهود بأن اليهودية هي ديانة التوحيد الحق التي أثرت بوحدانياتها في ديانات التوحيد الأخرى وأنها ديانة راسخة متماسكة ذات قيم إنسانية تحث على المساواة والخير والعدل تأتي ترجمة هذا الكتاب الذي ألبنا على أنفسنا أن نقدم ترجمته ردا على تلك الادعاءات الباطلة والاتهامات الزائفة، هذا الكتاب الذي كتبه واحد منهم فجاء مطابقا لقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ **وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا** ﴾ (سورة يوسف من الآية ٢٦) ليكون الرد أوقع والنقد ألدع.

إن هذا الكتاب عمل يثبت نفسخ اليهودية وهشاشتها ويكشف عن الانقسامات والتصدعات الكثيرة والخطيرة داخلها والعنصرية التي تفوح منها عاكسا الوجه الحقيقي لليهودية، ونظرة اليهود المعاصرين لها.

يقدم هذا الكتاب موقف غالبية اليهود اليوم من اليهودية ويقدم تعريفا جديدا لها فهم ينظرون إليها على أنها ثقافة لليهود تشمل بداخلها ديانة ذات تيارات كثيرة. وتعريف اليهودية كثقافة يوسع نطاق دلالة مفهوم اليهودية ويجعلها لا تتطابق مع الديانة فهي ثقافة اليهود في كل عصر، ثقافة ممثلة في مجمل إبداعات أعمال فنية وأدبية وفكر وأنماط حياة وطقوس دينية وعلمانية ومبادئ سلوكية.

وتاريخ اليهودية على هذا الأساس هو تاريخ ثقافة "شعب اليهود" (١). (كما

(١) شعب اليهود: مفهوم صهيوني ينطق من تصور وحدة الأقليات اليهودية في أنحاء العالم وعبر التاريخ ومن الإيذان بأن هذه الأقليات تكون قومية متكاملة أو على الأقل عندها كل مقومات القومية. وهذا التصور هو أحد أسس الفكرة الصهيونية التي ليس لها أي سند في الواقع فالأقليات اليهودية لم تكن مطلقا داخل بناء تاريخي يهودي مستقل وإنما كانت موجوده داخل أبنية تاريخية متباينة تتفاعل معها وتساهم فيها وترقى بربحها

يزعمون) ويشمل تطور التيارات الدينية والعلمانية التي تحتويها بما في ذلك الإبداع الديني والعلماني الذي نشأ بها في الماضي والحاضر.

وفي إطار النظرة إلى اليهودية على أنها ثقافة نجد تعريفاً جديداً للمفاهيم الأساسية السائدة لدى اليهود؛ حيث نجد أن الديانة بناء على هذا الفهم يُنظر إليها على أنها أحد أشكال الثقافة، وتضم تيارات كثيرة متناقضة. ولقد مرت الديانة اليهودية بتحويلات جذرية في كل عصر مما نتج عنها توقف أبناء الطوائف الدينية نفسها عن الحفاظ على قسم كبير من فرائض الشريعة في معظم مجالات حياتهم، وأن معظم اليهود في العالم وفي إسرائيل صاروا غير متدينين فهم لا يحافظون على أحكام الشريعة ولا يترددون على المعبد ولا يسترشدون بالحاخامات ولا يرسلون أبناءهم إلى المدارس الدينية.

ويعترف الكتاب بفشل كل المحاولات التي أرادت بلورة الديانة اليهودية كديانة واحدة متجانسة ويشير إلى التعددية التي هيمنت عليها على مر العصور ويقدم وصفاً تفصيلياً لهذه التعددية الفكرية والدينية في كل عصر على حدة، ويرى أنها مبدأ موجه في الفكر اليهودي ومميز له.

ويميط الكتاب الذي بين أيدينا عن الصراعات الحادة بين التيارات الموجودة في اليهودية مما يجعل كل تيار كيهودية قائمة بذاتها ويرى أن هناك عوامل أيديولوجية واقتصادية وسياسية تحرك الصدمات بين التيارات المتعارضة. ويميط اللثام عن الاختلافات بين تلك التيارات والتي تتمثل في أساليب العبادة وطقوس الأعياد والمواقف الأيديولوجية تجاه التاريخ اليهودي والنظرة إلى الإله ودوره في حياة البشر وفي الاعتراف بحقيقة الآخرة والبعث ودور الدولة اليهودية والنظرة إلى المستقبل والنظرة إلى الشريعة وأحكامها.

ويوضح الكتاب الحروب الثقافية والفكرية التي صاحبت التيارات اليهودية

=

وتتخلف بتخلفها فاليهودي في روسيا كان روسيا وفي اليمن كان يمينا وهو أمريكي في الولايات المتحدة. وعندما تم اغتصاب فلسطين هاجرت إليها أقليات يهودية من جميع دول العالم لا يربط بينها أى رابط تاريخي أو ثقافي أو عرقي ومن هنا يبنين رفض الادعاء الصهيوني الكاذب فاليهود لم يكونوا أبدا شعبا له تاريخ وحضارة قومية مثل أى شعب آخر.

المتناقضة على مر تاريخهم قديماً وحديثاً ويرى أن تلك الحروب لا زالت تدور رحاها بين اليهود المعاصرين، فبعد قيام إسرائيل تفاقمت بالتدريج حدة الحرب الثقافية بين التيارات الدينية والعلمانية؛ حيث تدور الآن حول مراكز قوى وحول موارد اقتصادية ومالية كما أنها تأخذ كذلك شكل صراع بين أحزاب؛ حيث إن بعض أعضاء التيارات الدينية الممثلة في أحزاب سياسية ينصاعون لحاخامات غير منتخبين لكنهم يستطيعون التأثير في قرارات الكنيست<sup>(١)</sup> والحكومة عن طريق المعينين من قبلهم.

ويكشف الكاتب عن أعمال العنف الدموية التي صاحبت تلك الحروب الثقافية والفكرية على مر العصور والتي أهمها في العصر الحالي اغتيال رئيس حكومة إسرائيل إسحاق رابين لأنه عمل على دفع مسيرة السلام للأمام.

ويبرز الكتاب حقيقة انفتاح اليهودية على ثقافات الشعوب الأخرى وتأثرها بها قديماً وحديثاً، ويرى أن هذه التأثيرات قد أدت إلى ظهور أجيال يتمتعون بثقافات ولغات مختلفة. كما يعرض مفاهيم جوهرية لدى اليهود وينتقدها مثل مفهوم "الشعب المختار" والذي يعتبر اليهود أسمى من كل الشعوب وأنهم مختارون من قبل رب العالمين، ويرى أن هذا الاعتقاد يشكل خطراً على عقلية المؤمنين به وإنسانيتهم وهو يمثل تعصباً دينياً وسياسياً يجب التحرر منه وأن يحل محله مفهوم جديد وهو "شعب له حق الاختيار".

ويشير الكتاب إلى وجود عناصر يهودية متطرفة دينياً وقومياً تعمل ضد الإنسانية كلها وتسم بالتعصب الأعمى الذي يطال إنسانية الآخرين، مثل الطبيب اليهودي الذي قام بعملية قتل جماعي للمسلمين أثناء صلاتهم في الحرم الإبراهيمي. كما يعترف بوجود

(١) الكنيست: هو البرلمان الإسرائيلي تكون لأول مرة عام ١٩٤٩ بمقتضى القانون الانتقال، ثم صدر قانونه الأساس عام ١٩٥٨ م. ويضم الكنيست ١٢٠ مقعداً، ويحوى تسع لجان دائمة: لجنة الكنيست، ولجنة الدستور والقانون والقضاء، واللجنة المالية، واللجنة الاقتصادية، ولجنة الشؤون الخارجية والأمن، ولجنة الإدارة الخارجية، ولجنة الخدمات العامة، ولجنة التعليم والثقافة ولجنة العمل. تجرى انتخابات الكنيست كل أربع سنوات ويمضى دورتين كل عام.

كامل أبو جابر: نظام دولة إسرائيل، إطار القرار السياسي. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٣ م ص ٧٥-٩٦.

فرائض دينية في العهد القديم نحث على اللاإنسانية وتتناقض مع القيم الإنسانية والأخلاقية؛ مثل الفرائض التي نحث على قهر النساء والتعامل المهين مع غير اليهود واضطهاد الأقليات وإبادتهم.

ويعرض الكتاب التخبط الذي يسود بين اليهود في موقفهم من الإله وتصورهم له فيقدم عرضاً تفصيلياً للتصورات المختلفة والمتناقضة لصورة الإله في كل عصر وتغلغل فكرة التعددية الإلهية بين اليهود، وكذلك موقف اليهود المعاصرين من فكرة الإلوهية.

ويوضح المؤلف مدى تأثير التيار الأرثوذكسي<sup>(١)</sup> على السياسة الإسرائيلية وتوجهاتها بالرغم من كونه تيار الأقلية، ويرجع ذلك إلى انقسام اليهود غير المتدينين إلى معسكرين متخاصمين في نظرهم للعرب والسلام والحرب، وبسبب احتياج كلا منهما إلى الأقلية الدينية الصغيرة سعياً وراء الحكم.

ويكشف مؤلف الكتاب عن نظرة اليهود المعاصرين للصهيونية؛ حيث يعتبرونها حركة تحرر قومي لليهود تتميز بأنها سعت لتحرير اليهود من الانحطاط القومي والعيش كأقليات يمكن تحملها أو اضطهادها ومن تأثير الحركات المعادية للسامية وأنها سعت

(١) التيار الأرثوذكسي: شاع استخدام مصطلح الأرثوذكسية بعد ظهور الحركة الإصلاحية في غرب أوروبا، وكان استخدام هذا الاسم تعبيراً عن المعارضة من جانب اليهود للتغيرات التي أدخلها الإصلاحيون على العقيدة اليهودية، ومن الطريف أن الإصلاحيين هم الذين استخدموا مصطلح الأرثوذكس ليعرفوا به التقليديين من اليهود والأتقياء منهم، ومع ذلك فقد تقبلت الجماعة اليهودية التقليدية هذا الاصطلاح. وتم استخدام هذا الاصطلاح لأول مرة في إحدى المجلات الصادرة في برلين عام ١٧٩٥ م. ومن المعروف أن هذا الاصطلاح مستعار من المسيحية وربما كان من الخطأ إطلاقه على جماعة يهودية، ففى المسيحية نجد أن كلمة أرثوذكس تعنى "الاعتقاد الصحيح" وهي تنطبق على المسيحية حيث تلعب العقيدة دوراً مهماً في نظام الإيمان الصحيح.

وكان أول من قدم الموقف الأرثوذكسي وشرحه ودافع عنه هو الحاخام شمشون رفائيل هرش (١٨٠٨ - ١٨٨٨) ويؤمّن اتباع التيار الأرثوذكس إيماناً كاملاً بالتوراة والشريعة المكتوب والشفوية وبكل كتب التراث اليهودي. ويسيطر التيار الأرثوذكس على المؤسسات الدينية في إسرائيل.

للمزيد انظر: د. إسمايل راجى الفاروقى: الملل المعاصر في الدينى اليهودى. مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الثانية

لتحرير اليهود من سلطة المؤسسات الدينية التي طالبت بدوام الشتات والانتظار السلبي حتى مقدم المسيح المخلص.

ويكشف مؤلف الكتاب عن ماضى اليهودية؛ حيث تأثير الأبحاث والاكتشافات الأثرية وآراء المفكرين والمعتقدات والتفسيرات الجديدة للنصوص القديمة. ويؤثر هذا على المواقف السياسية ليهود إسرائيل وعلى نظرتهم إلى مسيرة السلام وعلى رسم حدود الدولة؛ حيث يوجد من بينهم من يقدر كل مكان يمكن أن يُنسب إليه حدث تاريخي، بينما يرى آخرون في الحدود الدائمة التغيير للاستيطان والممالك اليهودية في الماضي مبرراً لتسوية إقليمية مقابل السلام. كلاهما يعتمد في نظرتيه على الماضي لكن بعيون الحاضر.

وقد عرض المؤلف الخلاف بين الأغلبية السكانية العلمانية والأقلية الدينية بإسرائيل ويرى أنه خلاف حول أيهما أسمى وأفضل: قوانين الديمقراطية أم الشريعة الدينية. ومن هذا الخلاف انبثقت سائر الخلافات بين المتدينين والعلمانيين بإسرائيل، مثل الخلاف بشأن تفضيل القيم الإنسانية على فرائض الشريعة، والخلاف حول المساواة التامة بين النساء والرجال، والخلاف حول التعليم الإنساني اليهودي، وحول قانون العودة، وقوانين التهود، وتعريف الانتماء إلى اليهودية، ومكانة المحاكم الربانية وحقوقها وتشكيلها، وواجب التجنيد، وفرض أحكام يوم السبت<sup>(١)</sup> وشرائع دينية أخرى على العلمانيين، وغير ذلك من أوجه الخلاف المتصاعدة بين الجانبين.

(١) السبت: يوم السبت من الأيام المقدسة عند اليهود، ويعد واحداً من أسس اليهودية، فيوم السبت من الأيام المقدسة التي حرم العمل فيها مثل أيام الأعياد تمجيداً لهذه الأيام "وفكرة تحريم العمل في يوم السبت مؤكدة بكل أهمية في الوصايا العشر، وارتبط يوم السبت في العهد القديم بعملية خلق الكون وخروج بني إسرائيل من مصر." ويشير هذا في مضمونه إلى أن هذا اليوم ليس للراحة الجسدية فحسب بل يجب تخصيصه للنشاط الديني والروحي وأن يتذكر اليهودي هذين الحدثين وأن يشكر الرب وينفذ أوامره. ولأهميه يوم السبت فقد خصص التلمود مبحثاً خاصاً لكيفية الاحتفال بأيام السبت "وما يجب على اليهودي أن يعمل من ساعة غروب شمس الجمعة إلى غروب شمس السبت.

أنظر:

Joseph. morris. Judaism as Greed and Life. Rev. Ed.london and New york 1910

ويناقد الكتاب العهد القديم من خلال رؤية نقدية ثقافية؛ فيقدم الدور الذي يلعبه العهد القديم في الثقافة اليهودية وفي حياة كل التيارات والفرق اليهودية حيث يرى الكاتب أن العهد القديم لعب دورا حيويا في كل ثقافات اليهود وبخاصة في تجديد الثقافة العبرية في فلسطين خلال المائة وعشرون عاما الأخيرة. ويكشف الكاتب عن نظرة قطاع عريض من يهود اليوم للعهد القديم، كتابهم المقدس، على أنه مثل أي أدب قصصي وشعري ويشكل أدب العهد القديم أيضا وثيقة تاريخية تعكس واقع اجتماعي وروحاني وثقافي لأبطال ومبدعي العصر الذي ظهر فيه هذا الأدب.

ويميط مؤلف الكتاب أيضا عن التعددية الدينية والتناقضات داخل العهد القديم حتى أنه يكشف لنا عن الانحراف عن التوحيد داخل العهد القديم ووجود إبداعات علمانية داخل ذلك الكتاب المقدس.

هذا ونسأل الله أن يكون هذا الكتاب إضافة جديدة في مجال الدراسات اليهودية كاشفا عن الفكر اليهودي المعاصر وتوجهاته.

والله ولي التوفيق

د. أحمد كامل راوى

\* \* \* \*

## مقدمة مؤلف الكتاب



يعرض هذا الكتاب موقف العلمانية من اليهودية والنظرة إليها على أنها ثقافة والنظرة إلى العهد القديم على أنه أدب وإلى الإله على أنه بطل أدبي في أدب العهد القديم. فالعهد القديم هو الأساس المشترك الوحيد لكل الفرق اليهودية ولكل التيارات وثقافتها الدينية والعلمانية في إسرائيل وخارجها.

يشير الكتاب إلى التعددية التي هيمنت على اليهودية بوصفها ثقافة اليهود في كل العصور؛ ثقافة ممثلة في مجمل أعمال فنية وأدبية وفكر ونمط حياة وطقوس دينية وعلمانية للأعياد والشعائر والمبادئ السلوكية.

ويشمل الحديث العلماني الإنساني الذي يناقش اليهودية على أنها ثقافة إعادة تحديد مفاهيم أساسية مثل: اليهودية، العلمانية، ديانة، إنسانية، قيم إنسانية، بهدف استيعاب قيم أخلاقية إنسانية عامة في إطار الثقافة اليهودية وعلاقتها بثقافة الشعوب وانفتاحها عليها.

اعتبار ثقافة الحاضر هي أساس لفهم ثقافات العصور الماضية وتوضيحها، بداية من عصر العهد القديم حيث نشأة جماعة اليهود وحتى عصرنا هذا. وتكشف الدراسات حول ثقافة اليهود مدى ارتباطها بالعهد القديم وبجزء كبير من إبداعاته في كل العصور والأجيال.

ويناقش الجزء الثاني من الكتاب أدب العهد القديم من خلال رؤية نقدية ثقافية؛ حيث لعب أدب العهد القديم دوراً حيوياً في كل ثقافات اليهود وبخاصة في تجديد الثقافة العبرية في فلسطين خلال المائة وعشرون عاماً الأخيرة. ومثل أي أدب قصصي وشعري يشكل أدب العهد القديم أيضاً وثيقة تاريخية تعكس الواقع الاجتماعي والروحاني والثقافي لأبطال ومبدعي العصر الذي ظهر فيه هذا الأدب.

الجزء الأول

اليهودية كثافة

مكتبة

المفتدين



## الفصل الأول



### اليهودية بوصفها ثقافة

#### في ضوء معتقدات اليهود العلمانيين

يؤمن اليهود العلمانيون بحرية اختيار اليهود لسلوكهم في اليهودية وبحقهم في التحرر من هيمنة الديانة ومن وجوب الحفاظ على فرائضها. كما يؤمن اليهود العلمانيون بالتحرر من التفسير الدينية المقتصرة على أدب العهد القديم<sup>(١)</sup> والأعياد والتقاليد، والتحرر كذلك من إبداعات الأدب اليهودي التي ألفت في كل تياراته. وتعضد المعتقدات السائدة بين اليهود العلمانيين الإنسانيين النظرة إلى اليهودية باعتبارها ثقافة وليس باعتبارها دين.

○ الإيمان بأن الهوية القومية اليهودية هي أن يكون الفرد عضواً في جماعة اليهود وغير مرهونة بديانة الفرد. فاليهود هم أناس أعضاء في جماعة اليهود أو المنضمين إليها بأي طريقة. وتتجلى يهوديتهم في إدراكهم ليهوديتهم كما يدركها الآخرون، تماماً مثلما يدرك الإنجليز أو الفرنسيون أن قوميتهم هي عضوية في شعبهم ومشاركة في ثقافته .

(١) اللفظ الوارد في الكتاب هو لفظ تناخ - لفظ تناخ إحدى تسميات كتاب اليهود المقدس وهي التسمية الأكثر شهرة وهذه التسمية مأخوذة من الحرف الأول من كل كلمة من أقسام كتاب اليهود المقدس فالتاء تشير إلى لفظ التوراة، والتون تشير إلى الانبياء، والحاء تشير إلى المكتوبات أي أن هذه التسمية اختصار لأقسام العهد القديم الثلاثة .

○ الإيمان بأن الانضمام إلى جماعة اليهود غير مشروط بالتهود الدينى. ولكنه يتحقق من خلال الانضمام إلى أسرة أو جماعة يهودية، وأنها عملية فردية مستمرة غير ملزمة وغير مشروطة بطقس دينى أو آخر، وهكذا انضم رجال ونساء إلى اليهود منذ عصر العهد القديم وحتى عصرنا.

○ الإيمان بقيم إنسانية توافق مبدأ "هليل" القائل: "ما تبغضه لاتفعله لغريك" وهى حيوية لتكون إنسانيين ولقيام مجتمع يحدث فيه إضفاء الطابع الإنسانى، فالقيم الإنسانية هى وسائل لتقييم وتفضيل السلوك والقوانين، وهى مبنية على الإيمان بأن الإنسان هو مصدر السلطة ومبتكر الفرائض والقوانين، ومبتكر الإله.

○ الإيمان بالقيم الإنسانية وبالإنسانية نفسها بوصفها قيمة سامية سائدة بين اليهود العلمانيين، المتحررين من الديانة، والمتدينين على حد سواء. وفى إطار هذه القيم تخضع للاختبار: القوانين، وفرائض الشريعة، والأنظمة وسلوك الأفراد والجماعات. وتنبع أخلاقيات الفرد لاستيعاب القيم الإنسانية من عملية دمج الفرد إنسانيا فى المجتمع وذلك عن طريق التعلم فى الأسرة والطائفة، وفى ثقافة المجتمع الذى يعيش فيه.

○ الإيمان بأن إنسانية الفرد مرهونة بانتماه القومى؛ حيث إن العملية الإنسانية، أى تحويل الفرد إلى إنسانى، تبدأ فى الأسرة ثم الطائفة ثم المجتمع واللغة ثم الثقافة القومية التى يتعلمها الفرد.

لا توجد ثقافة أسمى من الثقافة القومية، ولكن كل أمة تحيا بين مجموعة أمم وثقافات، وأى ثقافة قومية تندمج وتتأثر وتشكل جزءا من ثقافة دولية. وعلى ذلك فإن الدراسات اليهودية تدرج تحت دراسات ثقافة الشعوب التى نشأت وتعيش فيها اليهودية.

الإيمان بحرية اختيار الأسلوب الذى يحقق اليهود من خلالها كونهم يهودًا

ويهوديتهم، فاليهود ليسوا "الشعب المختار"؛ بل هم شعب الاختيار بمعنى أنهم شعب كل أعضائه ملزمون باختيار طريقة تحقيق يهوديتهم؛ في أحد التيارات اليهودية الكثيرة الموجودة في اليهودية، وكذلك اختيار أسلوب حياة أبنائهم وتعليمهم، والتعبير عن اختياراتهم التي اختاروها.

الإيمان بأن اليهودية بوصفها ثقافة تشتمل على ديانة وليست مطابقه لها، وذلك على نقيض الإيمان بأن اليهودية ديانة فقط. إن الإيمان باليهودية بوصفها ثقافة يؤثر في النظرة إلى الديمقراطية وفصل سلطات الدين عن الدولة، وتحول اليهودية إلى عنصر مؤثر في السياسات والتعليم الإنساني وفي مجموع مصادر اليهودية. وتشمل اليهودية ثقافة اليهود الديانة اليهودية بكل تياراتها: الصدوقيين<sup>(١)</sup>، الفريسيين<sup>(٢)</sup>، الأرثوذكس،

(١) الصدوقيون: يعود بعض العلماء بأصل الصدوقيين إلى الكاهن الأعلى صادوق الكاهن الأعلى لسليان والذي ورثت ذريته هذا المنصب حتى ١٦٢ ق. م. وقد كان للصدوقيين تأثير كبير في المجالين السياسى والاقتصادى. أما الدين بالنسبة لهم فقد ارتبط بالهيكل وطقوسه بدون قاعدة دينية لاهوتية قوية، ومع اعترافهم بسلطة العهد القديم، فقد رفضوا الاعتقاد في الأرواح والملائكة والبعث، كما رفضوا التراث الشفوى أو ما يسمى بالشرعية الشفوية غير المكتوبة. وقد اهتموا بالتفسير الحرفى للعهد القديم، ورفضوا كل التجديدات والتشريعات الجديدة التى طورها الفريسيون واعتبروها من البدع.

وقد انتهى وجود الصدوقيين مع خراب الهيكل عام ٧٠ م على يد الرومان (ويزال الهيكل زالت سلطات الصدوقيين الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية).

انظر: د. محمد خليفة حسن أحمد: تاريخ الديانة اليهودية. القاهرة ١٩٩٦، ص ٢٠٨، ٢٠٩.

(٢) الفريسيون: يعنى اسم الفرقة حرفيا "المنفصلون أو المعتزلون". ويمثل الفريسيون فرقة دينية سياسية خلال الهيكل الثانى، وقد تبنى الفريسيون التعليم الدينى اليهودى التراثى أو التقليدى. وقد كون الفريسيون جماعة صغيرة مغلقة على نفسها، وتعيش حياة جماعية وبخاصة في المأكّل وتحافظ على قواعد الطهارة وحاولوا فرض سيادتهم على الهيكل. وقد صاغوا حياة الناس داخل الإطار التشريعى الذى غطى كل مجالات الحياة التى أعطوها اساسا دينيا لاهوتيا وناقشوا مسائل القدر والخير والشر وخلود الروح والخشر. وقد أفرروا مبدأ القضاء والقدر، وأمنوا بالحياة بعد الموت وقدم المسيح ويوم الحساب. واصدروا أحكاما جديدة تتضمن الاعتراف بالتطور والنمو والمرونة التى مكنت اليهودية من الاستمرار.

محمد خليفة حسن أحمد: تاريخ الديانة اليهودية. القاهرة ١٩٩٦، ص ٢٠٦ - ٢٠٨.

الإصلاحيين<sup>(١)</sup>، المحافظين<sup>(٢)</sup>، الحسيدية<sup>(٣)</sup> والمسيحانية<sup>(٤)</sup> وغيرها. فاليهودية ليست

(١) التيار الإصلاحى: يتمثل التيار الإصلاحى فى الحركة الدينية اليهودية المسماة باليهودية الإصلاحية وقد كان ظهور هذه التيار استجابة للحقوق التى منحتها الثورة الفرنسية، والفرصة التى سنحت لاشتراك اليهود فى المجتمع الأوربى، وقد رأى أصحاب هذه الحركة أن على اليهود أن يدخلوا بعض الإصلاحات على الديانة اليهودية، وتغيير بعض العادات والتقاليد اليهودية لمواجهة التحديات التى يفرضها العصر الذى يعيشه اليهود ومجابهته التغير الذى يطرأ على المجتمع عامة.

ومن التعديلات التى سنتها هذه الحركة تقصير الصلاة اليهودية، واستخدام اللغة الدارجة لغة حديث، بل وسمحت باستخدامها فى الخطب والمواعظ الدينية، وهجر اليهود التابعون لهذه الحركة كثير من العادات اليهودية، وانشقوا على كثير من السنن التى سنّها التلمود، ومن أهم زعماء هذا التيار دافيد فرايد لندر (١٧٥٦ - ١٨٣٦) وأبراهام جايجر (١٨١٠ - ١٨٧٤).

انظر: د. محمد خليفة حسن أحد: الحركة الصهيونية: طبيعتها وعلاقتها بالتراث الدينى اليهودى، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١، ص ٦٦.

(٢) التيار المحافظ: يعتبر هذا التيار مرحلة وسط بين التيارين الأرثوذكسى والإصلاحى، ويهدف إلى التوفيق بين التيارين، فهذا التيار لا يتفق مع التيار الإصلاحى فى تحرره من التقاليد اليهودية، ويخالف أيضا التيار الأرثوذكس فى بعده عن التنوير ومجاعة الحضارة؛ لذلك حاول هذا التيار التوفيق بين التقليد الدينى اليهودى بكل ما يجويه من مقدسات وبين الواقع الذى تعيشه والمطلبات التى يفرضها العصر الحديث للمزيد انظر: د. إسماعيل راجى الفاروقى: الملل المعاصر فى الدينى اليهودى. ص ٨١ - ٩٨.

(٣) الحسيدية: حركة دينية اجتماعية أسسها إسرائيل بعل شيم طوف (١٦٩٩ - ١٧٦١) ومن أهم تعاليم بعل شيم طوف أن الجميع متساوون أمام الله وأن طهارة القلب أفضل من التعليم، وحث على الصلاة والعبادة والزهد. وقد لجأ إلى الحركة كل اليهود الذين تأثروا بفشل الحركات المسيحانية. وقد تبع الحركة العديد من المتعلمين والمثقفين فى لتوانيا. وقد لقيت الحركة معارضة شديدة من السلطات اليهودية الأرثوذكسية وذلك بسبب اتجاهها اللاهوتى الصوفى وإيمانها بوحدة الوجود واعتبر هذا من المرطقة. ومارس الحسيديم تأثيرا ثقافيا واجتماعيا كبيرا بين اليهود.

للمزيد انظر: محمد خليفة حسن: تاريخ الديانة اليهودية. ص ٢١٦ - ٢١٨.

(٤) المسيحانية: وهى فكرة غيبية تقوم على أساس الاعتقاد فى قدوم مسيح مخلص وظيفته السياسية تحقيق الخلاص القومى لشعبه ثم أضيفت إلى هذه الوظيفة السياسية وظيفه دينية تعطى للمسيح المخلص دور تحقيق الخلاص الدينى لشعبه، ووضعت فى التراث اليهودى شروط وعلامات للمسيح المخلص أهمها انتسابه إلى بيت داود، والقيام بأعمال بطولية خارقة. ويجمع اليهود فى القدس التى يتخذها عاصمه له. ويحكم اليهود العالم وتخضع لهم الأمم.

وقد ظهر على العصور الكثير من المسحاء الكذبة، ومن أشهرهم ثيوداس ويهوذا الجليلى، وبركوفنا، وإسحاق بن يعقوب عويديا، وداود الرائى، وشبثاى تسفى الذى خلف أكبر تأثير مسيحانى فى تاريخ اليهود.

مطابقة لأي تيار منها؛ بل تشمل دائما تيارات يهودية كثيرة. ويسود في عصرنا الاعتقاد بعظم التيارات المتضمنة في اليهودية - اليهودية غير الدينية بكل تياراتها.

يسود الاعتقاد بأن الإله بمثابة بطل أدبي بين يهود كثير يؤمنون بأن يهوه، مثل آلهة كل الشعوب، ابتكره وشكله رجال ونساء في إبداعات أدبية قديمة داخل ثقافة اليهود. وعاش أيضا الإله يهوه مثل أبطال أدبيين آخرين في هذا الأدب - مثل موسى، داود، إرميا - كعنصر فعال في ثقافة اليهود وفي إدراك اليهود المتدينين الذين آمنوا ويؤمنون بوجوده أيضا خارج نطاق الأدب. أما في الثقافة اليهودية العلمانية فيواصل الإله لعب دور البطل الأدبي في الإبداعات التي تترك انطبعا على القراء حتى وإن لم يؤمنوا بوجود الإله في الطبيعة أو خارجها وكذلك إن لم يؤمنوا بأن للإله سلطة يجب الانصياع لأوامرها.

يتناقض الإيمان بأن اليهود يحققون يهوديتهم من خلال أداء واجباتهم تجاه المجتمع ونشاطهم في ثقافة شعبهم مع الاعتقاد بأنه يمكن تحقيق يهوديتهم من خلال الحفاظ على أحكام الشريعة فقط. ولقد اعتقد أنبياء كثير بأفضلية العدل الاجتماعى على أحكام الطقوس الدينية مثل: القربان والصلاة. ولا يوجد تطابق بين التيارات اليهودية والتمسك بأهداب الديانة اليهودية فمعظم اليهود في عصرنا "غير متدينين" بالمعنى المعهود لهذا المفهوم في الديانة لليهودية: فهم لا يحافظون على الفرائض والصلوات ولا يترددون على المعبد ولا يرسلون أبناءهم إلى مدارس دينية، ولا يمثلون لفتاوى الربانيين ولا يصوتون لصالح أحزاب دينية.

○ الإيمان بأن للديانة اليهودية في عصرنا تأثيرًا هامشيًا فقط على حياة غالبية اليهود وثقافتهم. فللأحزاب السياسية الدينية في إسرائيل كبير على نظام الدولة بواسطة الائتلافات الحكومية. ولقد كان للديانة اليهودية بكل تياراتها تأثير حاسم على ثقافة اليهود حتى القرن التاسع عشر؛ وذلك في الفترات التي كان للديانات في كل ثقافات الشعوب تأثير حاسم على أسلوب حياتهم وثقافتهم. ولكن منذ نهاية القرن التاسع عشر تقلص بالتدرج تأثير الديانة على حياة معظم اليهود في العالم وأصبح لها في نهاية القرن العشرين تأثير ثانوى في حياتهم.

○ الإيوان بأن العهد القديم هو أساس اليهودية والقاسم المشترك الوحيد لكل التيارات اليهودية ويتعارض هذا مع الاعتقاد بأن التلمود<sup>(١)</sup> والشريعة هما مصدرا اليهودية وأساسها. وتعرض أنتولوجيا العهد القديم تشكيلة إبداعات أدبية وتدوين أحداث وقضايا وتأملات وبلاغة وشعراً غنائياً-دينياً ودنيوياً- تمثل مجتمعة ثقافة "شعب اليهود" في مرحلة تكوينه. وتتجلى ثقافة اليهود في هذا العصر القديم في العهد القديم وتوصف به باعتبارها ثقافة تتصادم فيها تيارات دينية وأيديولوجيات متناقضة ترفض بعضها البعض، مثل ديانة عبدة يهوه الذين يعتقدون بتجريد الإله ووحدايته، في مقابل ديانة اليهود عبدة العجل والبعل والعشروت.

○ الإيوان بأن التعددية سمة مميزة لكل فترات ثقافة اليهود، وتعد بمثابة تواصل للتعددية في اليهودية والتي ظهرت في ثقافة عصر العهد القديم. وتمثل اليهودية ذات التيارات الكثيرة، في كل عصر وجيل، في تشكيلة إبداعات فكرية وأدبية وفنية تتجلى فيها معتقدات متناقضة مثل: التصوف والفلسفة العقلية في العصر الوسيط، الحسيدية والهسكالاة في العصر الحديث، ومتدينون وعلمانيون في عصرنا.

○ الإيوان بعالمية القيم الإنسانية ووفقاً لها فإن "قيم يهوه" هي قيم إنسانية عامة ذات طابع يهودي. وتتضح القيمة السامية لهليل في مقولة "جملة التوراه كلها"؛ حيث

(١) التلمود: كتاب فقهى مقدس عند اليهود أشبه بموسوعة تضم الدين والشريعة والتاريخ والأدب والعلوم الأخرى. ويشتمل على فصول عدة في الزراعة والصناعة والمهن الحرة والربا والضرائب وقوانين الملكية والرق والميراث والأعداد والفلك والتنجيم وغير ذلك.

ويوجد تلمود: تلمود بابلي وتلمود مقدسى. وقد تم تدوين التلمود المقدسى في نهاية القرن الرابع، بينما التلمود البابلي الذي يعد أحدث من المقدسى فقد تم تدوينه في نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلادى.

وقد أكسب المؤمنون بالتلمود هذا الكتاب قدسيته خاصة وجعلوه العمود الفقري في البناء الروحاني لليهودية في كافة صورها.

ولكن مع المكانة العظيمة التي يحتلها التلمود ومدى المعتقدين به من اليهود، فإنه هناك بعض الطوائف والفرق اليهودية الأخرى لا تؤمن به ولا تقدسه على الاطلاق بل وتهاجمه في معظم الأحيان.

للمزيد انظر: مصطفى عبد المعبود سيد: التطهر في التشريع اليهودي من خلال المشنا. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٩٩ ص ٣٠-٣٢.

تستخلص القيم الإنسانية العامة والتي تتجلى في الوصايا والتوراة<sup>(١)</sup> وتعاليم الأنبياء: مثل مبدأ تفضيل العدل الاجتماعي على أحكام الطقوس الدينية. وتوافق هذه القيم وتمتزج بوجه خاص مع شعار "كانط" القائل "إن المبدأ الإنساني الأخلاقي العام هو فقط الأخلاقي، وإن كل إنسان هو غايه وليس وسيلة.

○ الإيوان بوجود عناصر معادية للإنسانية في اليهودية عملت ولا تزال تعمل ضد الإنسانية- وهي متعصبة قومياً وعنصرياً. ويوجد في العهد القديم القيم التي تعبر عن معتقداتهم، وكذلك في كل آداب اليهود التي نشأت منذ إتمام العهد القديم. وتناقض هذه المبادئ المعادية للإنسانية مبادئ "هليل" فهي توصي بغبن النساء، والتعامل المهين لغير اليهود، أو توصي بقتل سكان المدن المهزومة بما فيهم النساء والأطفال (كما ورد في سفر التثنية أو في سفر يهوشع وصموئيل).

○ الإيوان بالتعددية ليس فقط بوصفها سمة تميز ثقافة اليهود، بل أيضاً بوصفها مبدأ أساسياً في تطور الفكر والشريعة، ويعبر المبدأ التلمودي "هذه وتلك أقوال الإله الحي" عن اعتراف بشرعية الاختلاف وضرورته من أجل الاقتراب من الحقيقة. فكل خلاف يشجع ويطور النقد المتبادل، ويكشف عن مفاهيم وصعوبات يجب التصدي لها. كما يوجد في التلمود أيضاً المفهوم الثوري "عدم الحسم"، والذي يحسم الخلاف بالاعتراف بوجود قضايا لاحتلها، ووجود خلافات لا يمكن تسويتها.

○ الإيوان بأن اليهودية ليست أيديولوجية بل مسار تدريجي. فلم تكن الشريعة

(١) التوراة: أحد مسميات كتاب اليهود المقدس وذلك من قبيل إطلاق الجزء على الكل، وكلمة توراة تعنى التعليم - الشريعة، والتوراة أحد أقسام الكتاب المقدس الثلاثة: توراة، وأنبيا، ومكتوبات. وتتكون التوراة من خمسة أسفار: التكوين والخروج واللاوين والعدد والتثنية. وتشير هذه التسميات إلى مضمون كل سفر من الأسفار الخمسة.

وتتضمن أسفار التوراة تاريخ اليهود منذ بدء الخليقة إلى فترة التيه في سيناء، وتشمل على وصايا وتعاليم شرعية كالعبادات والصلوات والنذور والقرايين وواجبات الكهنة وحقوقهم. وتجعل التوراة قصص تاريخ بني إسرائيل أساساً للتشريع. وربما كان هذا هو سبب تسمية هذا الجزء من العهد القديم بالتوراة للمزيد انظر: د. محمد بحر عبد الحميد: اليهودية. ص ٣٥ : ٩٨.

دستورا بل كانت تعاليم متطورة من الشريعة ومتغيرة من خلال أفراد ابتدعوها، ومن خلال إصلاح مستمر، وهى مستمرة أيضا في عصرنا في التيارات التى تغير صيغ الصلوات والطقوس والعادات والفرائض وفقا لمعتقداتهم والظروف المتغيرة. ولقد تصرف بهذا الشكل حاخامات التوراة الشفهية<sup>(١)</sup> على عكس الأرثوذكس في المؤسسة الدينية الكهنوتية الصدوقية.

○ الإيمان بمبادئ الديمقراطية والتى من بينها الانصياع لحكم الأغلبية والدفاع عن الأقلية وآرائها. ويستند هذا الرأى إلى جذور في ثقافة التلمود والتى تؤمن برأى الأغلبية؛ حيث اعتقدوا بأنه لا يوجد شخص يتحدث باسم الإله، ولذلك أسندت صلاحية اتخاذ القرار لغالبية بشرية. ومنهم من اعتقد بأن رأى الأغلبية البشرية هو الحاسم حتى لو كان قرار الأغلبية مناقضاً لرأى الإله (كما ورد في قصه موقد عخنائى) وفي الوقت نفسه يجب الدفاع عن رأى الأقلية والحفاظ عليه، لأنه قد يأتى يوما ويتضح أنه رأى صائب (حسب رأى رابى يهودا).

○ الإيمان بأن حقوق الإنسان وقيم الديمقراطية توافق المبادئ التى تتجلى في وثيقة تأسيس دولة إسرائيل. وبأن القوانين الأساسية التى تشكل حجر الزاوية لدستور الدوله اليهودية تستمر في تطوير الشريعة المفتوحة للتغيرات في اليهودية. وأن قوانين كتلك وفصل السلطات، والتى هى من أسس الديمقراطية في الدوله اليهودية من شأنها إعادة النظر مجددا في كل أحكام الشريعة المعادية للإنسانية وتلغى صلاحيتها، مثل الفرائض التى تحث على غبن النساء واللاتى يمثلن نصف السكان، أو الأقليات الدينية مثل اليهود الإصلاحيين والمحافظين أو أناس آخرين تسيء الشريعة معاملتهم كالصم والأبناء غير الشرعيين أو غير المؤهلين للزواج.

○ الإيمان بانفتاح اليهودية على تأثيرات ثقافات الشعوب وهو ما ميز اليهودية في كل عصورها، ويتعارض هذا مع الإيمان بميزة الانغلاق في جيتوات روحانية عن طريق قصر التعليم على دراسة الأدب التشريعى التقليدى. ولقد شجع انفتاح اليهودية على

(١) التوراة الشفهية (المشنا وشروحا المعروفة بالجمارا اللذان كونا معا التلمود).



تأثيرات ثقافات الشعوب على الإبداع اليهودى الأصيل منذ عصر العهد القديم وحتى عصرنا وأثرى ذلك اليهودية في كل فترة من فترات تاريخها، وأفرز أجيالا ذوى ثقافة واسعة، لديهم ثقافات ولغات متنوعة، كما أتاح لليهودية التأثير في ثقافات الشعوب الأخرى عن طريق الديانات التوحيدية التى تأثرت بها.

○ الإيوان بتجدد الاحتفال بيوم السبت والأعياد التاريخية والخاصة بوصفها جزءاً من نمط حياة اليهود المتحررين من الديانة التشريعية. وتمثل عملية التجديد والتغيير هذه تواصلًا لمراحل تطور وتغيير مرت على أعياد بنى إسرائيل منذ عصر العهد القديم وحتى عصرنا. وتدل على ذلك مئات القصص الجديدة حول الفصح والتى ابتكرت فى اليهودية المعاصرة بتياراتها الدينية والعلمانية. وأصبحت الأعياد الدينية التى تطورت من أعياد القربان والطبيعة واسترضاء الرب فى عصرنا فى اليهودية العلمانية إلى أعياد قومية وتاريخية بلا مغزى دينى.

○ الإيوان بخصوصية اليهود فهم جماعة لها خصوصيتها مثل كل الشعوب. والشعوب لها خصوصيتها ليس فقط بسماها المميزة بل أيضا بتعريفها. فتعريف الشعب السويسرى يختلف عن تعريف الشعب الفالشى أو الأمريكى أو اليهودى. وكما أن سيرة حياة الفرد تحدد شخصيته، كذلك فإن التاريخ الشخصى للشعب وثقافته يحدده ويميزه فى آن واحد.

○ الإيوان بتراث تاريخى قومى واحد مشترك لذوى المعتقدات الدينية والمتحررة من الدين، التى تتعارض مع بعضها البعض، والوعى بالتراث التاريخى وبالمصير المشترك يميز اليهودية عن جماعات فى الشعوب التى ساد فيها معتقد دينى واحد (كاثوليكى، بروتستانى، شيعى، سنى. إلخ) بجانب الإيوان بموروثات تاريخية قومية مختلفة (فرنسية، إيطالية، نرويجية، ألمانية، مصرية، إيرانية وغيرها). ويتيح هذا التمييز تواصل الاحتفال بأعياد تاريخية حتى بعد أن فقدت طابعها الدينى، كما يتيح دراسة اليهودية بوصفها ثقافة وتاريخًا، يشمل ديانتها، وذلك عن طريق يهود ليسوا متدينين لكنهم يبغون معرفة ثقافتهم القومية والتراث التاريخى الفاعل فيها فى عصرنا.

○ الإيمان بأن الصهيونية تمثل حركة التحرر القومي لليهود، وهي متميزة عن أى حركة تحرير قومي أخرى. فالصهيونية سعت لتحرير اليهود من الانحطاط القومى والعيش كأقليات يمكن تحملها أو اضطهادها ومن تأثير الحركات المعادية للسامية، من المعتدلة حتى الإجرامية، فى الماضى والحاضر. ولأن الصهيونية هى حركة علمانية فى أساسها فقد سعت لتحرير اليهود من سلطة قيادة المؤسسات الدينية اليهودية، والتي طالبت باستمرار الشتات والانتظار السلبي حتى مقدم المسيح المخلص. ونجحت الصهيونية فى تحقيق هدفها بإقامة دولة يهودية لكل اليهود الذين رغبوا أو أجبروا على الهجرة إليها. وقد أرسى أركانها قبل الحدث النازى وظهرت حيويتها فى أعقابها.

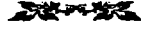
○ الإيمان بمسيرة السلام كشرط لنجاح الصهيونية. فالسلام مع الدول العربية والتي حاولت إبادة دولة إسرائيل وشعبها حتى بدأ التسليم بوجودها بجوارهم، وهو شرط لاستمرار نجاح حركة التحرر القومى لليهود. وفشل هذه المسيرة من شأنه أن يعيد المخاطر التي واجهتها الصهيونية والدولة اليهودية.

\* \* \* \*

مكتبة

المفتدين

## الفصل الثاني



### تحديد المفاهيم الأساسية

#### فى الحديث عن اليهودية بوصفها ثقافة

##### حبوية تعريف المفاهيم للحديث والحوار

إن تعريف مفهوم يعنى الدور الذى ننسبه إلى الكلمة التى تشير إليها فى إطار نقاش معين. ومن المحتمل أن وصف وتميز دلالات لمفاهيم أساسية سائدة فى حديث اليهود العلمانيين قد يساعد فى الحوار بينهم وبين أنفسهم، وبينهم وبين يهود ينتمون إلى تيارات أخرى.

تشمل المفاهيم الأساسية فى النقاش حول اليهودية على سبيل المثال مايلي: ثقافة، ديانة، يهودية، إبداع يهودى، مصادر اليهودية، يهودية متحررة، تيارات يهودية، إنسانية وقيم إنسانية، تعليم إنسانى، ديانة يهودية، مستوى ثقافى، قيم، قيم يهودية، ثقافة قومية، انتماء قومى، تعصب قومى وعنصرى، تعددية فى اليهودية، وحدة الشعب، الإله بوصفه بطلا أدبيا، انفتاح على ثقافات الشعوب، شعب اختيار.

بالطبع كان أبطال "كارول" على حق فى رواية "أليس فى بلاد العجائب" عندما ادعوا: "إن الكلمات هى ملك لنا، ومن حقنا منحها أى دلالة نخطر على بالنا". كما صنف فيطجنشطين أيضا فى مقولته إنه بدون اتفاق حول الدور الذى نحمله للكلمات فى الحديث فلا احتمال لأن يفهم هذا ذاك. إن "الدلالة" هى إلا الوظيفة المتفق على أن تلعبها الكلمة فى حديث معين (الكلمات هى مثل أدوات فى "لعبة" نحدد "دلالاتها" أو وظيفتها. وفى وصفنا لوظيفة الأدوات المشتركة فى اللعبة وقواعدها تأخذ الأداة دلالة مختلفة فى لعبة الداما أو فى لعبة الشطرنج على سبيل المثال).

ويعد توضيح المفاهيم وتحديدتها أمرا حيويا فى فهم كل ادعاء ونقاش. ويمكن فى كل حديث أن ننسب دلالات مختلفة لمفاهيم أساسية.

أعرض في الفصول التالية تعريفات ووصف دور مفاهيم ودلالاتها حسبها يفهمها كثير من اليهود العلمانيين، في مشاركتهم أثناء النقاش حول يهوديتهم. إن تعريفات من هذا القبيل تؤدي دورا حيويا في كل حوار مبنى على اتفاق بالنسبة لمعنى المفاهيم الأساسية، حتى وإن كان الحوار بين أطراف آرائها مختلفة.

إن تعريف الدلالة يعنى أيضا التحديد، أى وضع حد حول معنى الكلمة والخروج من سياق المعانى التى لا نقصدها. ويقدم كل تعريف افتراضات مسبقه تناسب معتقدات تتعلق بموضوع النقاش. إن تعريف اليهودية على سبيل المثال باعتبارها ثقافة يعكس اعتقادًا مناقضًا لتعريف اليهودية باعتبارها ديانة فقط. لأن هذا التعريف يوسع نطاق دلالة مفهوم اليهودية. فالديانة اليهودية ليست فقط مجموعة شرائع وأحكام، بل هى أيضا مجموعة إبداعات وظواهر وعادات يهودية دينية وغير دينية تشكل سويا البيئة الروحانية التى يتربى ويتعلم فيها أفراد اليهود.

## تعريف المفاهيم

### "ثقافة" شعب

إننا نستخدم مفهوم "ثقافة" لجماعة من الناس و"ثقافة اليهود" بصفة عامة بمعنى: مجموعة متميزة من أنماط الحياة، واللغة، والإبداعات فى أساس التراث التاريخي والروحاني، والأعياد والرموز المشتركة، وسلوك التعليم وأنماطه، والنظرة إلى الأرض، والماضى المشترك، والتقاليد والتجديدات التي تطرأ عليها. ومجمل ثقافة كهذه تميز وتوحد الطائفة، أو المجتمع القومي، أو مجموعة من الأمم.

وحيث إن اليهودية تشمل تيارات كثيرة تختلف عن بعضها البعض فى ثقافتها فنحن نفرق بين "ثقافة قومية" مشتركة لكل الشعب وبين ثقافة طائفة (مثل ثقافة يهود اليمن، أو ثقافة يهود أمريكا) أو ثقافة تيار موجود داخل الجماعة - مثل ثقافة اليهودية العلمانية أو ثقافة اليهودية الحريدية<sup>(١)</sup>.

(١) الحريدين: يطلق على اليهود المتدينين المغالين فى التشدد، والذين يعادون الصهيونية ويكفرون الدولة ويعيشون فى عزلة، اسم الحريديم. والمفرد حريد بمعنى ورع، تقى. والحريديم ليسوا كالتدينين العادين، بل

تتميز الثقافة اليهودية الإسرائيلية عن ثقافات اليهودية، فبينما التيارات اليهودية في بلدان العالم مختلفة عن بعضها البعض في شكل اندماجها في ثقافة البلد والشعب الذي يعيشون فيه، نجد أن الثقافة اليهودية الإسرائيلية متطورة بوصفها ثقافة قومية مستقلة ومتأثرة بالطبع بثقافات الغرب والشرق، لكنها لا تحيا في أي ثقافة منها. وتنبع خصوصية ثقافة اليهودية الإسرائيلية من إحياء اللغة العبرية كلغة حديث وإبداع، ومن خلال لقاء متطور بين ثقافات يهودية تطورت في عشرات من البلاد والثقافات.

ترتبط كل ثقافة قومية بمجموعة روابط مع ثقافات مجموعة من الشعوب، مثل ثقافة شعوب الغرب، وثقافات الشرق الأدنى وما شابه ذلك. ويجب للإمام بثقافة شعب معرفة ثقافة الشعوب التي أثرت في تطورها في الحاضر والماضي. وتعد الديانة واحدة من الوجوه الكثيرة للثقافة، فأحيانا نجد أن تأثيرها مهيم في كل مجالات النشاط الثقافي، كما في ثقافة اليهود حتى القرن الثامن عشر، وأحيانا نجد أن تأثيرها ضئيلا كما في التيارات اليهودية في القرن العشرين.

إننا نميز بين "ثقافة" و"حضارة" وعلى حد تعبير بوبر في كتاب "وجه إنسان" فإن "الحضارة" تُعد تشكيلا عقليا لنظام علمي وعملي يحقق المنفعة. ويُطبق هذا النظام ويتحقق من خلال أنظمة وأدوات. أما "الثقافة" فهي رصد لحركة حياة الإنسان للتعبير

هم خلاف الجميع، إنهم يرتدون ملابس ذات لون أسود، ويرتدون غطاء أسود للرأس أسفل قبعه سوداء ويرسلون ذقونهم. ويعيش الحريديم في جو العصر الوسيط، ويتحدثون اليديش. وهم واثقون بأنهم يملكون الحقيقة لفهمهم واطلاهم على الكتب اليهودية المقدسة (وبصفة خاصة التلمود) وأن طريقهم هو الطرق الصائب الوحيد. ويستخدمون وسائل الاكراه الديني والتدخل في حياة الآخرين، وكل الوسائل لديهم مشروعة بما في ذلك استخدام سلاح الاعتداء والمتفجرات حتى ضد اليهود الآخرين الضالين. ويشنون حربا على الثقافة العلمانية للمجتمع الإسرائيلي ويعتبرون أنفسهم يشنون حربا مقدسة باسم الرب.

ويرفض الحريديون الدولة قبل قدوم المسيح، والكنيست في نظرهم تدنيس لأوامر الله وإهانة للتوراة؛ لان قوانينه تناقض شريعة موسى عليه السلام.

للمزيد انظر: رشاد عبد الله الشامي: القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة. عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت. عدد ١٨٦. ١٩٩٤. ص ٣٠١ - ٣١٣.

عنها وتطلعاتها وتجربتها للحصول على شكل ماهيتها. وعلى نقيض هذه الحركة فكل شىء موجود ما هو إلا مادة لتشكيل صورة، إبداعاتها غير متكررة، ورموزها تفهم كحقيقة للنفس. وعلى عكس الحضارة فإن الثقافة لا تتجمع بل يجب ابتكارها مجدداً في كل عصر، وإبداعات الثقافة ليست وسيلة لغاية بل هي غاية في حد ذاتها. وتكمن دلالتها الذاتية في داخلها وتملأ الحياة. وتشمل الثقافة أشكالاً من خلالها يشكل الإنسان ذاته بمواد وتقاليدها لمنحها له المجتمع الذى يعيش فيه.

وإننا نجد تعبيراً في الإبداعات المثالية التى تمثل ثقافة معينة عن تفرد مبدعها وتميزه وتفرد الإنسان وتميزه. ويعد الإبداع والتقاليد وجهين للثقافة ولكل منهما معاً قيمة ثقافية.

## يهودية

اليهودية هي اسم الثقافة التعددية والمتطورة لليهود، والتي تشمل ديانتهم وتياراتها، ولا تتطابق اليهودية مع الديانة اليهودية في أى صيغة من صيغها. وتاريخ اليهودية هو تاريخ ثقافة اليهود، ويشمل تطور التيارات الدينية والعلمانية التى فيها بما فى ذلك الإبداع الدينى والعلمانى الذى نشأ بها فى الحاضر وفى كل العصور.

عاش فى القرن العشرين معظم اليهود بين شعوب أوروبا وأمريكا والتي مرت ثقافتها بمراحل علمنة متطرفة، وحولت هذه العلمنة الحثيثة غالبية اليهودية إلى "ثقافة علمانية" متحررة من الديانة التشريعية. ومعظم الإبداعات اليهودية - "مصادر اليهودية" - التى نشأت فى القرن الأخير هي ثمار الإبداع اليهودى غير الدينى.

لقد أحدثت الصهيونية وتطور الكيان الثقافى والسياسى الإسرائيلى تحولاً فى تاريخ اليهود وثقافتهم فى القرن العشرين حتى قبل قيام الدولة. وبدأ تطور اليهودية فى دولة إسرائيل يؤثر على كل التيارات الموجودة فى اليهودية. وتختلف "اليهودية" فى القرن العشرين فى مبادئها وسماها المميزة عن اليهودية فى عصر العهد القديم (من فترة الترحال وحتى العودة إلى صهيون فى عهد الفرس)، والعصر الهلينستى (من غزو المقدونى

وحروب المكابيين<sup>(١)</sup> وحتى إتمام العهد القديم والمشنا<sup>(٢)</sup>، والعصر البيزنطى والعصر الوسيط وعصر النهضة الأوربية والتنوير اليهودى وعصر التحرر الذاتى، كما تختلف عن يهودية القرنين التاسع عشر والعشرين. وتأتى خصوصية اليهودية فى القرن العشرين فى مقابل التيارات اليهودية فى الماضى - والتحول فى نظرتها إلى التمسك بالديانة والانتهاج القومى: قطع العلاقة بينها، وفض الطوائف التقليدية والانتهاج إلى المركز الروحى والسياسى المتطور فى إسرائيل.

لقد بدأ فى القرن التاسع عشر النظر إلى اليهودية باعتبارها ثقافة شعب وليست ديانة. وتطور فى دوائر المثقفين والباحثين بغرب أوربا "علم الدراسات اليهودية" الذى يبحث ثقافة الشعب. وطراً منذ ذلك الحين وحتى نهاية القرن العشرين تحول دائم فى صور الواقع

(١) المكابيين: لفظ اتصفت به أعضاء الأسرة اليهودية التى حملت لواء المعارضة ضد السلطة اليونانية، وهى الأسرة التى عرفت أيضاً بأسرة الحشونيين. وهناك اختلاف فى أصل هذه التسمية وكيفية اشتقاقها؛ فالبعض يقول إنها مشتقة من لفظ "مكابى" وتعنى المطرقة، وهى الكلمة التى كنى بها يهوذا وهو الابن الأكبر للكاهن متتيا الحشومونى والذى قاد الثورة بعد أبيه وأنه قد كنى بها لشدة بأسه وشجاعته وحدة الضربات الساحقة التى ألحقها بأعداء اليهود. وفى قول آخر أن يهوذا قد لقب بهذا اللقب لأنه كان كالمطرقة التى جعلها الرب على أعدائه من اليونانيين واليهود. وهناك فريق آخر من العلماء - وهم الكثرة الغالبة - يعتقدون أن الأصل العبرى للفظ مكابى هو مكون من الحروف الأولى للفقرة الواردة فى سفر الخروج (١٥ / ١١) والتى تنص "من كمثلك بين الألهة يارب" وقد أخذ يهوذا من هذه الفقرة شعاره، وأصبح يلقب بالمكابى ثم انسحب اللفظ على بقية أعضاء الأسرة الذين أكملوا ما بدأه ماتتيا ويهوذا وأصبحت تعرف باسم المكابيين، كما أصبحت تعرف أيضاً بأسرة الحشومونيين نسبة إلى الجد الأكبر لها الذى كان يدعى حشومون. انظر: منى ناظم الدبوس: أضواء على تاريخ اليهود من القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن الثانى الميلادى. ص ٣٩، ٤٠.

(٢) المشنا: هى مجموعة الأحكام والتعاليم والتفاسير والوصايا التشريعية التى تناقلت عبر الأجيال شفاهةً، من عهد موسى عليه السلام حتى عهد «يهودا هاناسى» الذى قام بتنسيقها وتسجيلها، والمشنا تتضمن شروحاً وتفسيرات مفصلة للتوراة وأحكامها، كما تشتمل على أحكام وقوانين لم ترد فى التوراة وإنما تم استنباطها قياساً لتوافق ظروف وأحوال اليهود طبقاً لطبيعة العصر الذى يعيشون فيه، فى جملة تراكم خبرات وتجارب حاخامات اليهود عبر مئات السنين.

وتحتل المشنا مكانة بالغة الأثر فى التراث اليهودى وعلى كافة الاتجاهات، الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية. فاليهود يعتبرونها مصدراً من مصادر التشريع يأتى فى المقام الثانى بعد التوراة مباشرة.

انظر: مصطفى عبد المعبود سيد: التطهر فى التشريع اليهودى من خلال المشنا. ص ٨.

التاريخي للتيارات اليهودية في الماضي. و ظهرت في ضوء الأبحاث، والفكر والإبداع المتحرر من ديانة الشريعة التي تطورت في هذه الفترة يهودية الماضي في ثوب جديد.

يظهر في اليهودية الإسرائيلية- العلمانية في معظمها- فيض إبداعات غير مسبوق، ونشاط تعليمي يهودي مكثف وتشمل أطره معظم الشباب اليهودي في العالم، والعدد الأكبر للمؤسسات يهودية خاصة بالتعليم العالى، حيث أكبر تركيز للمؤسسات والأعمال البحثية في مجالات اليهودية، ودور نشر للكتب اليهودية، ومسارح يهودية، وشركات إنتاج أفلام سينمائية وتلفزيونية لليهود. ويزداد تأثير اليهودية العلمانية الإسرائيلية في كل التيارات اليهودية في كل البلدان مع ازدياد تسريع هذا التطور وتراكم الخبرة والإبداعات التي نشأت ولا تزال تنشأ في إسرائيل.

### إبداعات يهودية

الإبداعات اليهودية هي إبداعات متأثرة بانتساب مبدعيها إلى اليهودية أو تنضم إلى مجمل الإبداعات التي تحسب ضمن ثقافة اليهودية الخاصة بعصر أو تيار من التيارات الموجودة بين اليهود.

وتتمثل ثقافة شعب معين في إبداعاته الخاصة وتتقبلها أحيانا شعوب أخرى على أنها جزء من إبداعاتها الكلاسيكية (مثل الإلياذة، الأوديسا، إبداعات العهد القديم، إبداعات شكسبير). وتؤلف مجموعات من بين الإبداعات اليهودية "مصادر اليهودية" وتمثل عصورا في تاريخها. فتشكل مجموعة الإبداعات التي جمعت في أنتولوجيا العهد القديم نموذجا لمجموعة تمثل ثقافة اليهود من فترة نشأتها وتاريخه في هذه الفترة، كما تنعكس في وعيه وذكرته الجماعية.

بما أن الديانة كانت العنصر المهيمن في ثقافة بنى إسرائيل في العصر القديم، كما لدى كل الشعوب الأخرى، فتشكل معظم الإبداعات في أنتولوجيا العهد القديم وثيقة تدل على تمسك مؤلفيها بالديانة.

أدرجت في عملية جمع العهد القديم وتحريره أيضا إبداعات دنيوية، مثل: نشيد الأناشيد ولقائف أستير؛ حيث لا يذكر فيها اسم الإله، كما لا يتمى إليها الأبطال والمؤلفون مطلقا.



تمثل الإبداعات اليهودية الواردة في العهد القديم ، معظمها بالعبرية وأجزاء معينة بالأرامية، التعددية التي سيطرت على ديانة اليهود وثقافتهم في هذا العصر. وتُعرض في كتابات مؤرخي هذه الفترة وفي خطابات الأنبياء والقصص والدراما الفلسفية (أيوب)، والأشعار والفكر، والقوانين والأحكام، التيارات والاتجاهات المتنوعة التي نشطت في ثقافة اليهود وفي مجالات الشعائر والديانة، والإبداع الفني والأدبي، والأعياد والطقوس، والفن والآراء.

ويمكن أن تمثل مختارات تشبه تلك التي جاءت في مجموعة العهد القديم مجمل اليهودية بوصفها ثقافة اليهود في كل فترة من فتراتنا. وتتمثل يهودية الحاضر في إبداعات يهودية في الشعر والأدب القصصي والدراما والسيناريوهات وفكر وأبحاث وعلم التأريخ وما كتب في القانون وفي فن الرسم والنحت، والموسيقى والمسرح والسينما وفي كل اللغات والبلدان التي نشأت فيها إبداعات يهودية معاصرة.

## ديانة

الديانة هي إحدى أشكال الثقافة: وتشمل مجموعة عبادات دينية وأحكام شرعية ومعتقدات. وبصفة عامة تضم الديانة الإيمان بوجود إله فوق البشر وهو موجود في الطبيعة وخارجها، وهو مصدر السلطة والأوامر الأخلاقية وغير الأخلاقية. وفي معظم الديانات ينسب للإله قوة العقاب والثواب، حسب رغبتها أو وفقا للتعالم المسموعة من قبل الذين يتظاهرون بالحديث باسم الرب ويمثلونه. وفي معظم الديانات يثق أبناء الجماعات المتدينة في كلام المتحدثين باسم الإله؛ وكأنه قد مُنحت لهم سلطة الإله من خلال الوساطة بينه وبين البشر: مثل الكهنة، الحاخامات، القساوسة، الأنبياء وغيرهم.

وتلزم الديانة في معظم الحالات أعضاء طوائفها بالإخلاص لمؤسساتها ولزعمائتها وممتلكاتها الاقتصادية والانصياع لكل تعاليمهم والدفاع عنهم وعن سلطتهم أمام كل معارضيتهم.

يأخذ الانصياع لزعماء الديانة أحيانا أشكالا متطرفة، مثل: الانصياع للبابا والذي حسب اعتقاد الكثير من أفراد الطوائف الكاثوليكية لا يمكن أن يخطأ، أو الانصياع لحاخامات يلعبون دور زعماء سياسيين، وكذلك لأعضاء برلمانيين منتخبين بطريقة

ديمقراطية. ولا يرتبط الانصياع لزعيم ديني أو حاخام برأى المنتخبين الذين يختارهم الجمهور ليكونوا مشرعين في البرلمان، والذي يلغى المبدأ الديمقراطي بفضلهم تم انتخابهم لمنصبهم.

تشجع الديانة في معظم الحالات مشاعر الخوف من العقاب بعد الموت أو الخوف من مخلوقات و ظواهر فوق طبيعية وغير متوقعة موجودة وراء العالم الذي ندركه بحواسنا ووعينا. وتشجع معظم الديانات في المقابل أعضاء جماعتها وطوائفها على الإيمان بأنهم أسمى من كل أبناء الديانات والمعتقدات الأخرى وأسما من غير المتدينين، في نظرهم وحسب تفسيرهم.

يؤمن أفراد وزعماء متدينون في حالات كثيرة أن لهم الحق أو من واجبه فرض أحكام ديانتهم على غير المتدينين أيضا، أو على أبناء الديانات الأخرى، أو على من تناقض عقيدته عقيدتهم.

## ديانة يهودية

تحتوي الديانة اليهودية على تيارات كثيرة، تؤدي بنسب مختلفة وبأشكال مختلفة أحكام الشريعة. وهذه التيارات متناقضة ومتصارعة مع بعضها البعض، مثل تيارات الأغلبية المحافظة والإصلاحية وتيارات الأقلية الأرثوذكسية. والمشارك بين كل التيارات في الديانة اليهودية هو التمسك بأحكام الشريعة (وفق صيغ مختلفة) والاشتراك في صلوات وأدعية للإله، ودراسة إبداعات أدبية يهودية دينية قديمة، وإيمان بتراث تاريخي مشترك كامن في العهد القديم، وعضوية أو زيارات للمعبد في إطار التيار الذي ينتمون إليه.

نشطت الديانة اليهودية كعنصر مؤثر في ثقافة اليهود وفي غالبية إبداعاته حتى قبل حوالي مائتي عام. وتتسم الديانة اليهودية بكثرة التحولات التي طرأت عليها في كل عصر من تاريخها وبكثرة التيارات والاتجاهات المتعارضة والتي نشطت بها في الماضي أيضا، منذ زمن موسى وهارون حتى عصرنا. ولقد حاول كثيرون منذ إتمام العهد القديم والمشنا والتلمود بلورة الديانة اليهودية كديانة واحدة ومتجانسة اعتمادا على نظام أحكام شريعة ثابتة، طبقا لآراء الغالبية الموجودة في التلمود.

اتخذ لدى معظم الطوائف المتدينة اليهودية مبدأ الانصياع لأحكام الشريعة والصلاة، إذ أن الفروق بين النصوص الملزمة هي أحيانا فروق حاسمة في تأثيرها على حياة المؤمنين (مثل الفرق بين السماح بتعدد الزوجات وتحريمه، صيغ الصلاة، النظرة إلى السحر، النظرة إلى التوراة الشفهية وإلى كتاب (شولحان عاروخ) "المائدة المرتبة" وصيغ تفاسيره). والديانة اليهودية بوصفها ديانة فرائض فعلية لا تلزم الإيمان بظاهرة إلهية محددة.

ولقد طرأت في القرنين السابع عشر والثامن عشر تحولات جذرية على اليهودية وديانتها مع ظهور عوامل تغيير جذري وهي: انتشار القبالة<sup>(١)</sup> والمسيحانية، وسبينوزا والفلسفة اليهودية، والحسيدية ومعارضيتها، وحركة الإصلاح، والحركة الأرثوذكسية الجديدة، وحركة التنوير اليهودي<sup>(٢)</sup>، والمحافظة المعتدلة والمحافظة المتعصبون، والمعادون للصهيونية، والحركات العلمانية القومية والحركات الدينية الصهيونية.

وتقلص على خلفية تلك التغيرات تأثير عقيدة الشريعة اليهودية الراسخة في التقاليد المقدسة. ففي القرن التاسع عشر وعقب التحرر الذاتي الروحاني زادت مسارات العلمنة لدى اليهود كما في معظم شعوب أوروبا.

(١) القبالة: اسم لحركة تصوف يهودية ظهرت في القرن الثالث عشر الميلادي وتبلورت هذه الحركة في اتجاهين: اتجاه عملي واتجاه نظري. فقد ظهر الاتجاه العملي في الشرق ثم انتقل إلى إيطاليا في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي وبعد ذلك في ألمانيا. وتتخذ مدرسة هذا الاتجاه العمل الصلوات والابتهال والتأمل سبيلا للتقرب إلى الذات العلية، ومعرفته وجهه جبا خالصا متزاها عن كل غرض وأملا في التجلي الإلهي. أما الاتجاه النظري فقد ازدهر في أسبانيا وجنوب فرنسا، واتبع علماء هذا الاتجاه المناهج الفلسفية في الاقتاع. انظر: رشاد عبد الله الشامي: الرموز الدينية في اليهودية. ص ١٦١.

(٢) حركة التنوير اليهودية: وتسمى بالهسكالاه؛ وهي حركة الاستنارة اليهودية وظهرت بين يهود أوروبا في منتصف القرن الثامن عشر، حوالي ١٧٥٠ م واستمرت حتى عام ١٨٨٠ تقريبا. وكانت تنادي بأن على اليهود أن يحاولوا الحصول على حقوقهم المدنية الكاملة عن طريق الاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها، وأن يكون ولاؤهم الأواحد لهذه المجتمعات وليس لقوميتهم الدينية.

ويعتبر أدب حركة الهسكالاه البداية الفعلية للأدب العبري الحديث، وأهم مساهمته أنه حول الاتجاه من أدب ديني إلى دنيوي مما يعد نقطة تحول مهمة في تاريخ الأدب العبري؛ كما أنه تأثر تأثيراً كبيراً بالأدب الأوروبية، فقد أخذ الأدباء اليهود في تلك الفترة على أنفسهم مهمة تنوير يهود الجيتو اجتماعياً ودينياً وفكرياً مقلدين في هذا أسلوب أدباء الغرب، وكتب أدباء هذه المرحلة الشعر والرواية والقصة.

إن حركات الهجرة الجماعية وتفكيك البلدة اليهودية في نهاية القرن التاسع عشر وتجمع السكان اليهود في مدن عواصم الثقافة الغربية قد غير شكل الديانة وشجع مسارات العلمنة في اليهودية.

مرت الديانة اليهودية وأحكام الشريعة بتغيرات بعيدة المدى في معظم الطوائف الدينية المنتشرة في بلدان الغرب. فقد ألغت غالبية الطوائف المقصورة النسائية بالمعبد، وفي هذا الجزء ظهرت نساء تشغل منصب حاخام ومرتل ومفتى وقاضى شرعى، كما طرأت تغيرات في صيغ الصلوات والشعائر، وتوقف أبناء الطوائف الدينية عن الحفاظ على قسم كبير من أحكام الشريعة في معظم مجالات حياتهم.

إن معظم اليهود في العالم وفي إسرائيل ليسوا متدينين: فهم لا يحافظون على أحكام الشريعة، ولا يترددون على المعبد، ولا يسترشدون بالحاخامات، ولا يرسلون أبناءهم إلى المدارس الدينية.

عاد التيار الأرثوذكسى في إسرائيل ليكون قوة مؤثرة بفضل انقسام اليهودية غير الدينية إلى معسكرين متخاصمين في نظرهم إلى العرب والسلام والحرب. وبسبب حاجة كل منهما إلى الأقلية الدينية الصغيرة من أجل الحكم في الديمقراطية الإسرائيلية. وتمثل الجماعات الدينية في إسرائيل حوالى ٢٠٪ من السكان فقط في نهاية القرن العشرين، كما كان الوضع في بداية عهد الدولة.

### يهودية متحررة

اليهودية المتحررة هي يهودية متحررة من قوانين الشريعة أى يهودية يهود علمانيين كما أن "اليهودية الحريدية" هي يهودية يهود أرثوذكس متطرفين، كما أن اليهودية الصهيونية الدينية هي يهودية الأرثوذكس الجدد في إسرائيل، منهم من يتجه نحو الحريدين ويقرب منهم، ومنهم معتدلون يبتعدون عنهم.

وتُعد اليهودية المتحررة أكبر التيارات ولكنها الأقل تأسيسا وتنظيما عن باقى التيارات اليهودية. فاليهودية المتحررة عبارة عن جمهور بدون طوائف. ويعيش معظم اليهود في العالم في أنماطها ومعتقداتها لكنهم تقريبا ليسوا منتظمين في طوائف قائمة على

مؤسسات (ماعدًا أكثر من مائتي كتلة للحركة الكيبوتسية<sup>(١)</sup>) العلمانية في إسرائيل وحوالي ستين جماعة علمانية في أمريكا).

تعبّر حياة اليهود المتحررين عن المعتقدات والآراء السائدة بينهم فيما يختص بمبادئ السلوك وحقوق الإنسان والواجبات تجاه المجتمع والشعب. إنهم يعبرون عن سلطة الإنسان باعتباره إنسانًا: في النقد، وتغيير التقاليد وتجديدها. وتشكيل القيم التي من خلالها يمكن تقييم وتفضيل الشرائع والعادات أو رفضها.

يتحرر اليهود العلمانيون بتوجيه تلك المعتقدات من أحكام الشريعة غير المستحسنه لديهم، لكنهم يتبنون عادات وتقاليد أو فرائض تخضع لاختبار النقد الإنساني. إنهم اجتازوا اختبار القيم الأخلاقية المفيدة لجوهر حياة الفرد والأسرة والطائفة.

يحافظ اليهود العلمانيون على تقاليد يهودية مفيدة ومبهجة، مثل: وجبات السبت والاحتفال بيهجة العيد للأسرة والأصدقاء، وإيقاد الشموع أثناء المآدب الاحتفالية، وأحيانًا أناشيد ونصوص تقليدية مع تغيير في شكلها ومضمونها، حسب المناسبات في نظرهم والملائم لمعتقداتهم، وتغييرات مثل كتابة قصص فصيح جديدة، وابتكار قصص ليوم الخامس عشر من شباط أو لعيد الاستقلال<sup>(٢)</sup>.

(١) الكيبوتس: هو أهم أنواع البناء الاستيطاني وأكثرها شهرة وأشدّها تأثيرًا على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في إسرائيل. وكلمة كيبوتس في دلالتها اللغوية تعني تجميع، وهي إشارة إلى تجميع اليهود في مكان واحد، أما دلالتها الاجتماعية فهي تشير إلى مستوطنة صهيونية ثقافية تضم مجموعة من المستوطنين اليهود يعيشون داخل حيز معين من الأرض، حياة جماعية اشتراكية تعاونية، فالأراضي والباني والآلات، وكل شيء داخل الكيبوتس ملك الجماعة ولا مكان فيه للملكية الخاصة أو الثروة الخاصة. وقد اعتمد الكيبوتس - في صدر إنشائها - على النشاط الزراعي، ولكن في مرحلة لاحقة - تطوّر نشاطها فشمل النشاط الصناعي. وكان النشاط العسكري ملازمًا للكيبوتس منذ إنشائها وحتى الآن.

(٢) "عيد الاستقلال" ترجمة لعبارة «יום העצמאות» العبرية. مصطلح صهيوني ويقصد به العيد الذي يحتفل فيه الإسرائيليون بإنشاء إسرائيل ويوافق ١٤ مايو ١٩٤٨. ويبدأ الاحتفال بالنفخ في البوق. وبعد ذلك يبدأ مركب حملة المشاعل من مقبرة هرتسل ويتبعه استعراض عسكري كبير يتم فيه عرض أحدث الأسلحة التي حصلت عليها الدولة الصهيونية. ولا ندري سبب تسمية هذا العيد بعيد الاستقلال فكلمة الاستقلال تستخدم في العالم الثالث عادة للإشارة لاستقلال بلد مستعمر في آسيا وأفريقيا عن القوة الامبريالية الغربية التي تستعمره، أما بالنسبة لإسرائيل فقد تم إعلان الدولة الصهيونية حينها نجح

اليهودية المتحررة هي يهودية غالبية اليهود وغالبية المبدعين اليهود في العالم في القرن العشرين في إسرائيل وخارجها. وقد ابتكرت معظم الإبداعات اليهودية في عصرنا في إطار اليهودية المتحررة وانضمت إلى ثقافتها؛ حيث يُستخدم بعضها في نظم تعليمها، وتشكل نماذج مختارة منها أسس السلوك المشتركة في حديث اليهود العلمانيين المثقفين في اليهودية العلمانية بإسرائيل، ونماذج لذلك: إبداعات هيانا، وبيالك، وتشيرنحوفسكى، وألترمان، وشالوم عليخيم، وعجنون، ويزهار، وبوبر، وبرينر، وسيجل، وديتسيجر، وماهler، وبرنشتين... وغيرهم.

يجب على التعليم في اليهودية المتحررة السعى لتعريف المتعلمين ثقافة شعبهم وثقافة الشعوب التي يعيشون فيها، مثلما في كل واحدة من تيارات اليهودية. وتؤدي الثقافة التي يتم إكسابها في أطر اليهودية المتحررة إلى تعريف متعلميها باليهودية وثقافة العالم معا والتعريف بالإنسانية على أنها نظام ثقافة وقيم أخلاقية إنسانية عامة ويهودية على حد سواء.

## مصادر اليهودية

بما أن اليهودية ثقافة متطورة ومتغيرة في كل عصر فإن مصادرها موجودة في الإبداعات التي تمثل كل العصور والتيارات والحركات بين اليهود. وتتطور الثقافة اليهودية يستمر العمل بإبداعات قد ابتكرت قبل مئات السنين بجانب إبداعات ابتكرت في الحاضر.

إن التعرف على المصادر اليهودية يوجب الخروج عن "خزانة الكتب اليهودية"

المستوطنون الصهاينة في احتلال جزء من فلسطين وطردوا سكان البلد الأصليين وفرضوا وجودهم عن طريق القوة المسلحة. أى أن ما يسمى "باستقلال" إسرائيل هو في واقع الأمر احتلال واستيطان؛ أى أنه عكس التعارف عليه للكلمة.

انظر: غازي السعدى: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود. دار الجليل، عمان ١٩٩٤، ص ١٨.

ذلك اللفظ الذي تحول إلى لقب يطلق على أدب التلمود والمدراش<sup>(١)</sup>، الأدب الذي يُقال عنه أنه يمثل جوهر اليهودية.

تضم مصادر اليهودية القديمة والجديدة كل الإبداعات التي تمثل ثقافة اليهود في كل وسائل الإعلام التي نشأت بها. ولقد تطورت هذه الإبداعات في: الأدب والفكر و الصور الجسدية و الموسيقى بالمعابد القديمة، والرسم والنحت في فترة الهياكل الثلاثة الأولى ليهوه ومن العصر الهيلينستي وحتى عصرنا، و الموسيقى والمسرح، و السينما والتلفزيون.

صارت ثقافة اليهود في القرن العشرين ثرية بإبداعات كثيرة أكثر من الثلاث آلاف سنة التي سبقتها في تاريخها. ويتجلى هذا الثراء في تشكيلة الإبداعات التي ابتكرت في ثقافة اليهود باللغات المختلفة وفي تيارات الطوائف المختلفة وفي كمية الإبداعات الموجودة بين أيدينا.

إن المنطلق في التعليم اليهودي في أي تيار من تيارات اليهودية هو معرفة العادات والقيم والإبداعات الأدبية والفنية السائدة والتي تمثل ثقافة الحاضر و يتعرف الدارس من خلالها على الثقافة اليهودية التي يدرسها. وعند بلوغه، وبالقدر الذي يتيح له الفرصة والحرية لفعل هذا، فإن الدارس يكون معرضاً لكل تيارات اليهودية فيتعرف على تيارات أخرى في اليهودية وثقافات أخرى.

على اليهودية المتحررة من قوانين الشريعة أن تسلك هذا النهج. وينبغي في كل فصول الدراسة، و كل الموضوعات أن تختار من مصادر اليهودية التي نشأت فيها خلال

(١) مدراش: كلمة عبرية تعنى بالعبرية "دراسة - بحث - تفسير". وتشير إلى إكتشاف الأمور المدونة في العهد القديم إضافة إلى معناها السطحي. وقد وضعه التنايم والأمورثيم لتحديد الشرائع المستجدة في الحياة. وهناك مدراشان: "مدراش هجاده" ويتناول القصص والحكايات والأساطير اليهودية، و"مدراش هالاخاه" (مدراش التشريعات) ويختص بالشرائع الدينية ويطلق على مدونى مدراش هجاده اسم ربنان دأجاداتا (معلموا الهجاده)

انظر: رشاد عبد الله الشامي: الرموز الدينية في اليهودية. مركز الدراسات الشرقية العدد (١١) ٢٠٠١

الماتى عام الأخيرة؛ حيث تشكل هذه المصادر منطلقا لتعريف الدارس بثقافة المجتمع العلمانى الذى يعيش فيه، وللطريق الذى يوضح مصادر اليهودية بتياراتها، وفي العصور الأخرى والتي تحدث وقعاً وتؤثر في اليهودية المعاصرة .

### "الانتفاء إلى اليهودية" - "من هو اليهودى"<sup>(١)</sup>

الانتفاء إلى اليهودية كناية عن ثقافة الفرد اليهودى . ويعد الإنسان يهوديا طالما أنه ولد وتربى في أسرة أو في طائفة يهودية أو لأنه انضم إلى جماعة اليهود من خلال انضمامه إلى أسرة أو طائفة يهودية . والانتفاء إلى اليهودية أو الانضمام إلى جماعة اليهود ليس مشروطاً بديانة الفرد أو بالتيار العلمانى أو الدينى الذى ينتمى إليه، وعلى ذلك فإن الانتفاء إلى اليهودية أو الانضمام لجماعة اليهود مشروط بعملية تهود ما .

ولأن اليهود جماعة لها خصوصيتها، مثل كل الشعوب، ليس فقط في سماتها بل أيضا في تعريفها فإن الانتفاء إلى اليهودية له كذلك خصوصية . فمنذ أن منحت الإمبراطورية الرومانية "جنسية رومانية" لأبناء القوميات المختلفة، ومنذ أن بدأت دول قومية تمنح "جنسية" لمواطنيها فهناك من يتبادلون مفاهيم "انتفاء قومي" و"جنسية في دولة" .

يوجد اليوم في إسرائيل على سبيل المثال أكثر من خمسة ملايين مواطن هم يهود إسرائيليين بجانب مليون مواطن ليسوا يهودا وهم "فلسطينيون إسرائيليون" و"دروز إسرائيليون" و"مسيحيون إسرائيليون" .

(١) من هو اليهودى: لاتوجد مسألة شغلت المجتمع الإسرائيلي منذ تأسيس دولة إسرائيل وحتى وقتنا الحاضر، مثل مسألة تعريف من هو اليهودى . فقد أثارَت هذه المسألة كل قطاعات المجتمع الإسرائيلي، ومست كل المستويات فخاص فيها السياسيون والباحثون والمفكرون على مختلف انتماءاتهم سواء كانوا داخل إسرائيل وخارجها . وشغلت المؤسسات السياسية والحزبية في إسرائيل . وقد عرف اليهودى بأنه من يؤمن باليهودية كدين وتراث، والمولود من أم يهودية، أو من تهود على يد حاخام أرثوذكسى . ولكن هذا التعريف لم يكن جامعا مانعا ذلك لأنه لاينطبق على أى يهودى في فلسطين، فيهود الهند الذين هاجروا إلى إسرائيل لم تعترف دار الحاخامية ببعضهم؛ لأنهم يبارسون الزواج المختلط، وغير ذلك من الأمثلة التى لايشملها هذا التعريف . ولم تصل دولة إسرائيل إلى تعريف جامع مانع لمن هو اليهودى .

للمزيد انظر : محمد عبد الرهاب السبرى: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام . القاهرة ١٩٧٤ . ص ١٧٠ - ١٧١ .



لا تنقص الهوية القومية لليهود والفلسطينيين من كونهم إسرائيليين، تماما مثلما أن الانتفاء للقومية الفالشية لا تنقص من كونهم مواطني بريطانيا، والانتفاء للقومية الفرنسية للكويك لا ينتقص من كونهم "كنديين".

إن الهوية القومية و"الانتفاء إلى اليهودية" في هذا الإطار غير مرهون برغبة أو باختيار، فهو يتحدد من خلال الأصل الأسرى ومسيرة التعلم في مجتمع قومي. وفي حالات تشذ عن القاعدة فقط فإنه يكون نتيجة انضمام الفرد إلى الشعب طواعية، وهو يتم بصفة عامة بانضمامه إلى أسرة أو طائفة في هذا الشعب.

### إنسانية، قيم إنسانية

الإنسانية هي القوة الكامنة الموجودة في كل مخلوق بيولوجي يُسمى إنسانا. وتنبع إنسانية الإنسان من القدرة على الفعل، والتي تتحول إلى مجموعة خصائص مكتسبة للذين يتربون في مجتمع إنساني، تماما كما أن سمة الذئب هي صفة مكتسبة لكل من تربى في قطع ذئب (حتى وإن كان رضيع بشري وترك بينهم).

والإنسانية هي أيضا نتاج لتحقيق قوة كامنة خاصة بالإنسان والتي تحل في العملية الإنسانية عن طريق تعلم في مجتمع قومي وفي مجتمع الشعوب التي عايشتها أمته. ومن هنا فإن إنسانية الإنسان مشروطة بتعليمه في ثقافة قومية؛ لأنه لا يوجد في الواقع ثقافة أسمى من الثقافة القومية.

### إنسانية مرتبطة بقومية فردية

يرتبط التعليم في الثقافة القومية بوعي وانفتاح على ثقافة الأمم التي يعيش فيها الشعب الذي يتعلم فيه الإنسان. وهذا الاستنتاج نابع من أنه لا يوجد في الواقع شعب لا يعيش في مجتمع شعوب أخرى ولا توجد في العالم ثقافة لم تتأثر ولم تشكل جزءا من ثقافات شعوب أخرى. ويشذ عن هذا، على سبيل المثال، قبائل منعزلة منذ عصور، مثل قبائل البابوئه التي أكتشفت في فيجي عن طريق أبناء الشعوب الأخرى في القرن العشرين فقط.

تعد الإنسانية مجموع الصفات التي يكتسبها الإنسان في سياق العملية الإنسانية عن طريق الخضوع لسلطة المجتمع وعملية التثقيف. وتشمل الإنسانية استيعاب قيم

إنسانية بفضلها يستطيع المجتمع العيش كمجتمع تتحقق فيه إنسانية الإنسان وفيه تتحسن باستمرار ماهية حياته.

## إنسانية

تتحول الإنسانية إلى معيار لتقييم وتفضيل القيم، وأشكال التعليم، والعادات والتقاليد، والشرع والأحكام. ويمكن أن تمثل مقولة بروتاجورس "الإنسان هو معيار كل الأمور" القيم الإنسانية بما أنها تتحدث عن فرد إنسانى، أى "صاحب قيم إنسانية". ولا يستطيع الفرد العنصرى أو المتطرف قوميا وعنصريا أن يكون معيارا لتقييم وتفضيل أخلاقى، لأن قيمه تتجاهل واجباته تجاه الغير والإنسانية عامة، ولأن سلوكه على هذا النحو يؤدي إلى معاداة إنسانية المستعبدين والقاهرين والمستعبدين والمقهورين في داخلها. ويؤدي استعباد النساء إلى معاداة لإنسانيتهن وإنسانية مضطهدتهن، ويؤدي استعباد شعوب وقهرها إلى معاداة إنسانية المحتلين ومن وقع عليهم الاحتلال.

واللإنسانية هي فقدان القدرة على التمييز بين الخير والشر لدى الإنسان- ويُعرف هذا الوضع في علم النفس بالسيكوباتية. وتتجلى اللإنسانية في السلوك الذى لا يوضع الغير في الاعتبار سواء أكان فردًا أم أبناء جنس معين أم شعب، كما تتجلى اللإنسانية في الأنانية المفرطة والتي تضر بقدرة المجتمع في أن يلعب دورا إنسانيا وبشكل يمنع غالبية الأفراد من تحقيق القوى الإنسانية المميزه لهم.

وتؤدي اللإنسانية للحكام والمحكومين في الأسرة وفي شعب أو في جماعة الشعوب على مدى طويل إلى انهيار المجتمع وقدرته على التماسك من ناحية الاقتصادية ونظام الحكم كما حدث في مجتمعات حكمها طغاة أنانيون وسيكوباتيون، مثل الحكم النازى والبلشفي والحكم في كمبوديا وفي العراق.

## قيم إنسانية

القيم هي معايير لتقييم وتفضيل السلوكيات والشرائع. ومن هنا تأتي احتمالية وجود قيم إنسانية وقيم معادية للإنسانية.

القيم الإنسانية هي قيم توافق قيم "هليل" السامية والتي تقول "ما تبغضه لا تفعله لغريك"، وقيم "كانط" القائلة "لاتنظر إلى الإنسان على أنه وسيلة بل هو غاية في ذاته، ولا تنظروا إلى مبدأ على أنه أخلاقي إلا إذا كان صالحا لكل البشر". وهذه المبادئ الثلاثة هي قيم سامية (وبناء عليها تُقيم وتُفضل القيم الأخرى) متسقة.

وبناء على ذلك تضم القيم الإنسانية مبادئ المساواة بين الأجناس والشعوب، ومبادئ حرية التعبير واستقلالية الفرد، ومبادئ واجب الفرد تجاه المجتمع، وحقوق الفرد في كل مجتمع، ومبادئ واجبات المجتمع تجاه الفرد، ومبادئ الديمقراطية كأسلوب حكم مفضل على كل بدائلها.

إن معيار تقييم القيم وتفضيلها هو العملية الإنسانية نفسها؛ حيث إن القيم التي تساعد على تحقيق الإنسانية هي فقط الجديرة بالتقييم والتفضيل وما يؤدي إلى اللإنسانية يجب رفضه.

والإنسانية هي إيمان بقيم إنسانية وبسلطة البشر في تحديد قيم ومبادئ من أجل ضمان حقوق كل البشر وخلق أوضاع اجتماعية وتربوية تؤدي إلى إنسانية الفرد.

## قيم يهودية

القيم اليهودية هي قيم إنسانية عامة ذات طابع يهودي، مثل القيمة السامية لهليل والتي وفقا لرأيه تقول "(يكون الإيمان) بالتوراة كلها" ويعد مدلول هذه القيم هو القاسم المشترك لوصايا موسى وتفضيل الأنبياء للعدل الاجتماعي على واجبات العبادة والصلاة ولاعتراض إبراهيم على ظلم العقاب الجماعي، ولاعتراض أيوب على من ينسبون الخطيئة لكل من يتعرض لكارثة، وينسبون العدل للإله أيضا حتى عندما يفعل مكيدة مع الشيطان، ويؤدي إلى كارثة للأبرياء مثل الكارثة التي أدت إلى موافقة الإله والشيطان على أذى أيوب وأولاده وأحفاده.

إن القيم الإنسانية العامة والتي تساعد على الإنسانية وماهية الحياة مشتركة بين أبناء شعوب كثيرة، مثل اليهود المتدينين والعلمانيين. والقيم المعادية للإنسانية، التي تساعد على اللإنسانية، من شأنها أيضا أن تكون قيما يهودية دينية وعلمانية.

ولقد وضع تراث اليهود التاريخي والأدبي أساسا لقيم الحرية والمساواة والعدل عندما جعل ملحمة التحرر من العبودية في مصر قصة لتكوين جماعة اليهود ومبررا جوهريا لشرائع العدل والحكم. (مثل: إذا نزل عندك غريب في أرضكم فلا تظلموه، كما مواطن منكم يكون لكم .. وتجه كنفسك ، لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر.) (لاوين ١٩)

إن "إريك فروم"، الذي يرى في الإنسانية تطلعا لوحدة الجنس البشري وحرية الإنسان، يرى في أسطورة الخروج من مصر ومركزيتها في ثقافة اليهود أساسا لنظام القيم الإنسانية في اليهودية.

تتصارع القيم اليهودية الإنسانية مع القيم اليهودية اللاإنسانية العنصرية التي تسمح لليهود بالتعالى على أبناء الشعوب الأخرى، وتسمح باستعلاء الرجال على النساء، أو القيم التي تمنح اليهود حقا لطرد الشعب المنهزم من أرضه أو قتله كما يرد في سفر يشوع، ويظهر في تصريحات أهداف الأحزاب السياسية اليهودية العلمانية والدينية المعاصرة.

أدت القيم اللاإنسانية إلى قتل جماعي لمجموعة من المصلين عند قبر آباء الأمة اليهودية على يد طبيب قاتل من مستوطنة كريت أربع. وقد تحول القاتل إلى قديس مبجل من قبل الحاخامات وغيرهم. ووجهت تلك القيم حاخامات لإصدار حكم بإهدار دم رئيس حكومة إسرائيل "إسحاق رابين"، وبذلك شجعت قتل رئيس حكومة الدولة اليهودية على يد قاتل يهودى متدين لأنه عمل على دفع مسيرة السلام للأمام.

## القيم في مقابل الفرائض

يجب على التعليم الإنساني اليهودى استيعاب "قيم يهودية" إنسانية تتطابق مع القيم الإنسانية العامة وحميتها من القيم اللاإنسانية المتعصبة قوميا وعنصريا.

يختلف "القانون" أو "الفريضة" في الطبيعة عن "القيمة"، لأن القانون أمر يسمح أو يمنع أو يلزم بسلوك معين، أما "القيمة" فهي معيار لتقييم وتفضيل القوانين والفرائض والشرائع والسلوكيات؛ أى أنها تتبلور في الإيمان بالإنسانية أو باللاإنسانية. أما القوانين

والفرائض فهي أوامر لمشرع حاكم أو رأى للأغلبية، وقد شرعها الناس في ظروف معينة، والتي يجب أن يعاد النظر فيها مع كل تحول في الظروف والمعتقدات.

سُرعت فرائض تقديم القرابين، على سبيل المثال، طبقاً لرأى موسى بن ميمون<sup>(١)</sup> في الوقت الذي كان اليهود يعبدون آلهة كثيرة خاصة بشعوب أخرى قد أمنت بوجود تغذية الآلهة ومنحها رائحة لحم محروق وظلت هذه الفرائض موجودة حتى بعد الثورة الدينية التي قام بها موسى؛ لأنه من الصعب التوقف دفعة واحدة عن هذه العادة حتى وإن كانت قائمة على معتقد قد ثبت بطلانه وعدم صحته. وكان يمكن بالتدريج فقط وقف هذه العادة عديمة المغزى في نظر مؤمنين ياله ليس له جسد أو شكل أو أعضاء وليس في حاجة أو رغبة لأن يذبحوا ويحرقوا من أجله مخلوقات حية. ويأتى موسى بن ميمون في نقاشه لهذه القضية بمثال يوضح رؤيته: لو جاؤوا لبني إسرائيل، عقب منح التوراة لموسى، وقالوا لهم توقفوا عن تقديم القرابين كانوا سيندهشون مثل يهود عصرنا، لو اقترح عليهم فجأة التوقف عن الصلاة والحفاظ على فرائض الشريعة.

وتؤكد رؤية موسى بن ميمون الفرق بين القيم والفرائض. فالقيم نابعة من اعتقاد الإنسان ذى الإدراك والبدئية. ويجب الانصياع للفرائض التي يشرعها الناس (والذين يتظاهرون أحيانا بالحديث باسم الإله) طالما أن العادة أو القانون الديمقراطي يوجب ذلك.

إن فرائض الشريعة الخاصة بسلطات الدين، مثل قوانين الدولة لا يمكن أن تعد قيماً أو قيماً يهودية. وبعد تفضيل الفرائض على القيم تنازلاً عن الجوهر الإنساني للتوراة

(١) موسى بن ميمون: هو أبو عمران عبد الله موسى من ميمون، يمثل الفكر اليهودي في القرن الثاني عشر الميلادى وكان أثره في الاجيال اللاحقة عظيماً. ويسميه اليهود "رامبام" أى الربى موشيه بن ميمون. وقد نشأ في بيئة عربية وأتصل بكثير من عظماء العرب في الاندلس والمغرب. وقد ولد في ٣٠ مارس ١١٣٥ بقرطبة وتعلم في القسطنطينية عن العرب الفيزياء والطب ومارسهما. وقد كتبت مؤلفاته بالعربية بحروف عبرية. ومن أشهر مؤلفاته "دلالة الحائرين" وكتب هذا الكتاب بين عام ١١٨٦ و١١٩٠ وهو كتاب فلسفى مهم وقد سعى فيه إلى التوفيق بين الفلسفة والدين وإلى توضيح أن الفلسفة تساعد على إثبات مدى صحة وصدق الوحي الإلهي، وحظى هذا العمل باهتمام كبير.

للمزيد انظر: إسرائيل ولفنسون: موسى بن ميمون، حياته ومصنفاته مطبعة التأليف والترجمة والنشر،

اليهودية كلها كما رأها هليل. وبما أن الفرائض مناقضة للقيم يستمر الفرد، عيسى المثل، يحقر في صلواته النساء اللاتي هن نصف الجنس البشري ونصف اليهود بصفة عامة، وذلك عندما يشكر في صلواته اليومية إلهه على أنه لم يخلقه امرأة.

إن الذي يظلم النساء وفقا لتقاليد مقدسة في نظره وفقا للشرعة، في قوانين الطلاق والزواج وانتخابات قضاة وحاخامات وزعماء للطوائف، فإنه يتصرف بشكل مناقض للقيم اليهودية التي تطابق قيما إنسانية عامة خاصة بمساواة كل البشر - ذكر وأنثى على حد سواء. والذي يبعد المقصورة النسائية بالمعبد والبعيدة عن الرجال وعن كتاب التوراة (لقد كانت المقصورة في الهيكل<sup>(١)</sup> في القدس عبارة عن فناء داخلي يقف فيه رجال ونساء معا) يتصرف وفق مبادئه المتعصبة للرجال والمناقضة للقيم وبدون مبرر شرعي. وإذا كان حقا الهدف فقط هو فصل الرجال عن النساء خوفا من "نجاستهن" في فترة الحيض فلماذا يجلس الرجال في ما يسمى اليوم مقصورة النساء ويتركون النساء يقفن بجوار كتاب التوراة ومنصة المرتل؟

إن الاعتقاد السائد بين المتحررين من الديانة بأن القيم أسمى من فرائض الشرعة يناقض تماما الاعتقاد السائد بين تيارات ديانة الشرعة والتي ترى أن فرائض الشرعة أسمى من القيم الإنسانية، بما فيها القيم التي تبنتها اليهودية.

يعد هذا التناقض بين الاعتقاد بسمو القيم وبين الاعتقاد بسمو الفرائض أساس الفجوة الشاسعة بين اليهودية العلمانية واليهودية الدينية. فجوة بين الديمقراطية التي تُقيم

(١) الهيكل: هو أهم مبنى للعبادة اليهودية في فلسطين شيده سليمان الحكيم<sup>عليه السلام</sup> وهدمه البابليون عام ٥٨٦ ق.م، ثم أعيد بناؤه عام ٢٥١ ق.م. وأدخل المكابيون بعض التعديلات والتجديدات عليه. ثم قام هيرود بتوسيعه وبنى حوله سورا عاليا، ولكن الرومان حطمو الهيكل في عام ٧٠ م. على إثر ثورة قام بها اليهود. وكان هيكل سليمان لا يزيد في حجمه عن كنيسة صغيرة الحجم، فقد كان طوله ١١٣٧٥ قدم وعرضه ٣٢٥ قدم. وبعد تشييد الهيكل أصبح هو المكان الوحيد الذي تقدم فيه القرابين، ولم يكن دخول الهيكل مباحا للجميع؛ وإنما كان مقصورا على الكهنة. أما قدس الأقداس الذي يحفظ فيه تابوت العهد فكان لا يفتح إلا مرة واحدة في رسوم الغفران ولا يدخله إلا كبير الكهنة. انظر: غازي السعدى: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود. ص ٧٨.

قوانينها ونظام حكمها في محكمة العدل العليا والتي تحكم وفق القيم الإنسانية وبين اليهودية الدينية التي تتبع الشريعة والتي تتصرف وفق فرائض مقدسة وفتاوى لحاخامات غير منتخبين من قبل النظام الديمقراطي. وحقا كما قال يشعياهو ليفوفيتش على ذلك: "إنه لا يعتبر نفسه إنسانا طالما أنه يقدس كل فريضة حتى إن كانت عنصرية وتدعو للقتل؛ كالفرائض التي تدعو لقتل شعب العماليق نساء وأطفالا حتى وان لم ينصع لها.

### مستوى الثقافة ومستوى الإنسانية وتأثيرهما في نوعية الحياة

يرتقى مستوى إنسانية الفرد وثقافته كلما ارتقى مستوى تحقيق القوى الإنسانية الكامنة داخله في النشاط الروحاني والتجريبي، وفي مستوى استيعاب القيم الإنسانية وفي مستوى اندماج الفرد في الثقافة القومية والعالمية التي يعيش فيها. وفي عصرنا يتعرض معظم الناس لوسائل إعلام وفيض من المعلومات، ورموز وإبداعات مشتركة لثقافات مختلفة بجانب الإبداعات والأحداث والظواهر التي تمثل الثقافة القومية التي يعيشون بها.

عندما يكرس الناس كل وقتهم ونشاطهم لمجال تخصصهم الضيق، في العلوم أو في التكنولوجيا أو في الأعمال، تبقى القوى الروحية الكامنة الخاصة بهم معطلة نتيجة عدم النشاط. أما إذا اشترك الناس في نشاط روحاني وفني يدمجهم في ثقافة ويطلعهم على إبداع ثقافة شعبهم وبيئتهم، تنشط القوى الروحية والنفسية الكامنة لديهم وتتحقق. ويشرى العالم الروحاني بالتجارب والتحديات وبالاطلاع وبموضوعات النقاش التي تربطهم بالمجتمع، والذي يحول تخصصهم بينهم وبينه.

إن رفع مستوى الثقافة يحسن نوعية حياة الأفراد داخل الأسرة وفي محيط الأصدقاء والطائفة التي يعيشون فيها. وكلما ازداد وعيهم بالإبداعات التي تمثل ثقافتهم كلما زاد اندماجهم في النشاطات الروحانية والاجتماعية والتربوية، وبذلك تثرى وتنوع حياتهم. ويكون نتيجة ازدياد عناصر المتع وأنواعها الحسية والروحية هو ثراء الحديث بين الأصدقاء وأفراد الأسرة، وتنوع الموضوعات وعناصر الانطباعات والمشاعر فتشمل موضوعات لاتتعلق بعوامل اقتصادية أو صحية، كما أوضح أرسطو في كتاب "علم الأخلاق".

كان أرسطو أول من أشار إلى الارتباط بين علم الأخلاق وماهية الحياة؛ حيث إن الأفراد الذين يتصرفون مع أنفسهم وغيرهم وفق المبادئ التي تملئها عليهم قيمهم الإنسانية هم أناس يحرصون على تحقيق الحد الأقصى من قدراتهم الروحية والأسرية والاجتماعية، ويثرون حياتهم بنشاط ممتع ومتحد حتى وإن كانوا يفتقرون إلى الممتلكات المادية.

إن نوعية الحياة مشروطة بنشاط روحاني واجتماعي، ويتاح هذا فقط عندما يجيد الخبراء عن مجال تخصصهم الضيق ويشاركون باقي أفراد المجتمع في نشاط ثقافي مشترك بينهم.

لقد عاشت المشاركة الفعالة في حياة اليهودية بوصفها ثقافة وتطورت كجزء من ثقافات الشعوب، تدعم ثراء كهذا الذي يرفع مستوى الثقافة وماهية الحياة. وتتيح الثقافة التي تحول أناسا مدركين لثقافتهم ومصادرها اندماجا فعالا في الحياة الروحية لطائفتهم.

## قومية وهوية وتضامن

تعنى القومية عضوية في شعب بهدف تحقيق هوية الفرد القومية واندماجه في ثقافة شعبه. وفي حين أن الهوية القومية هي حقيقة لا يتسبب فيها الفرد، بصفة عامة، فإننا نجد أن التضامن القومي هو نظام لنشاطات اجتماعية وروحانية وتعليمية مرتبطة بمعرفة ثقافة الأمة ومشاكلها والمواقف التي تتخذ لحلها. ويلزم التضامن القومي الإمام بمطالب وواجبات ذلك التضامن مع أبناء المجتمع القومي ومعرفة الحقوق الناتجة عن العضوية في الشعب.

يشكل مستوى ثقافة الفرد مقدار انتباهه القومي، وإدراكه واندماجه في الثقافة القومية والعالمية، وإدراكه للإبداعات التي تمثلها، وقدرته على المساعدة في تعليم أبنائه وأبناء الطائفة التي يعيش فيها وفي الثقافة القومية وقدرته على تعليم القيم الأخلاقية التي تتيح وجود المجتمع القومي والدولي ومعرفة تعبيراتهم في التراث الثقافي للشعب.

وتحدد قومية الإنسان عن طريق عوامل غير متعلقة برغبته، وهي تشكل قوى كامنة وتحث لنشاط ثقافي واجتماعي وسياسي يمكنه تحقيقه.



لقد آمن كثيرون أن القومية قد اختفت كعامل في حياة الفرد والمجتمع؛ بسبب اتجاهات عولمة الاقتصاد والتكنولوجيا والحاجة إلى الجماعة الدولية التي تتعاطم في مقابل ضعف الدول ذات الانتماء القومي. ورغم كل هذا شاهدنا في نهاية القرن العشرين تعاطم القومية سواء بتطلع شعوب صغيرة للاستقلال السياسي لأقصى حد عن طريق تشجيع الوعى بمصادر الثقافة القومية وخصوصيتها في مقابل ثقافات أخرى، أو بترسيخ التضامن القومي في الحياة الثقافية والروحية.

يتنامى في عصرنا بجانب التعرض المتزايد لوسائل الإعلام الدولية وللإبداعات الترفيهية المألوفة لدى أبناء الأمم المختلفة نشاط ثقافي في أطر قومية من خلال البحث عن الجذور والمصادر في ثقافة الشعب.

إن أبرز التعبيرات في مجال إبداعات الصحوة القومية في القرن العشرين يتمثل في إحياء اللغة العبرية وثقافتها في إسرائيل، والتي تجمع بها اليهود من عشرات الدول والثقافات، والذين يعلمون أبناءهم التضامن مع ثقافة جماعات اليهود. ويعد الانشغال بقضية دلالة "الهوية اليهودية" للإسرائيليين أو ليهود العالم هو شكل من أشكال نشاطات تضامن اليهود مع شعبهم، في عصر فقد فيه الانتماء إلى اليهودية شكله الديني من وجهة نظر معظم اليهود ذوى الهوية القومية اليهودية. والانتقال من هوية إلى تضامن قومي مشروط بالانتقال من السلبية إلى الفاعلية الثقافية والتعرض لفيض متنوع من إبداعات ثقافية يهودية في كل مجالات الإبداع في اليهودية الإسرائيلية والذي يؤثر على بؤر الإبداع والتعليم في التيارات اليهودية في بلدان العالم.

## تعلم إنسانى يهودى

يسير التعليم الإنسانى والتعليم الإنسانى اليهودى بصفة عامة في اتجاهين متناقضين ظاهريا على النحو التالى:

١ - السعى لتحقيق إنسانية الإنسان أثناء تكييفه مع مجتمعه وثقافته، من أجل استيعاب القيم الإنسانية السائدة به، ومعرفة الإبداعات التى تمثله وإدراك واجبات الفرد وحقوقه طبقا لقوانين هذا المجتمع.

٢ - السعى إلى استقلال الفرد الروحاني وتطوير الشخصية المتميزة له، والاهتمام بقدرته الإبداعية والنقدية تجاه المسلمات في المجتمع، والإبداعات الكلاسيكية التي تمثل ثقافته، وتجاه التقاليد والتراث الديني والثقافي والقوانين والفرائض التي تسير الحياة على نهجها.

في الواقع لا يتناقض الاتجاهان مع بعضهما البعض. فكما يقول أرسطو يؤمن دارسون كثر بالتعلم الإنساني أن عليهم المساعدة في تحقيق القوى الكامنة المستترة في كل إنسان والتي تشمل: قوى إنسانية لعضوية في مجتمع إنساني، وقوى كامنة فردية تتيح له المساهمة في مجتمع إسهاما متميزا.

تساعد تنمية الاتجاهات النقدية والإبداعية المجتمع على تطوره وإثراء حياته الثقافية، وانفتاحها على آراء وإبداعات جديدة، كما تساعد على التمحيص المتجدد والمتكرر للقوانين وللمسلمات في ضوء الظروف المتغيرة. ويرى "ارسموس" أن الثقافة شرط لحرية إنسانية الإنسان، وبما أن الإنسان أكثر ثقافة فهو أكثر إدراكا للواقع الذي يعيش فيه وللوقى الكامنة والخيارات المعروضه بها وللتغيرات التي تطرأ عليه وأساليب التعامل معها.

وتُعد الثقافة شرطا ضروريا للتعليم الإنساني إلا أنه ليس كافيا؛ فبدون استيعاب القيم الأخلاقية التي تؤلف معيار التقييم والتفضيل، يمكن للثقافة أن تضر بإنسانية الفرد، وذلك عندما تزوده بالأدوات التي تدعم قدرته على التصرف كعنصرى أو كمتعصب لقوميته.

إن التعليم الإنساني اليهودى، مثل التعليم الإنساني لدى كل شعب غربى آخر، يسعى إلى أهدافه عن طريق تنوع النشاطات الثقافية، وتفعيل دارسيه في الإبداع والبحث والنقاش، مع الإلمام بثقافة الحاضر والتراث الثقافي للشعب والشعوب.

تلعب الإبداعات الفنية والأدبية والفكرية دورا مركزيا في التعليم الإنساني؛ لأنها تجعل الفرد يلتقى مع التراث الثقافي لمجتمعه، ومع نماذج إبداعية جديدة لا مثيل لها ومع نقد اجتماعى وأخلاقي.

إن أبطال الإبداعات المثالية ليسوا مثاليين في سلوكهم؛ فحياتهم مكتظه بالآثام والخطايا طبقا لمعيار القيم الإنسانية، فأبطال الأدب مثل: إبراهيم، والإله، ويعقوب وداود، ومداه، وأوديب، وماكبث، ولير، وفاوست كلهم يرتكبون خطايا جسيمة حسب معيار هذه القيم.

وتتمثل القيمة التربوية للإبداعات التي تشكل أبطالاً كهؤلاء، في الشكل الذي يعرضه العمل لهم، عندما يلتقى به متلقيه ليس فقط مع أشكال التعابير المتميزة والمثيرة للمتعة الحسية والجمالية، بل أيضا مع معضلات إنسانية وأخلاقية دائمة في مجال التصارع بين الفرد والمجتمع، وبين الفرد ونفسه وقيمه، وبين الإدراك والانفعال.

يؤدي الإبداع الكلاسيكي الذي يمثل الثقافة وظيفة مزدوجة وحيوية في التعليم الإنساني؛ فهو يساعد على إلمام الدارس بالقواسم المشتركة لثقافة المجتمع الذي يعيش فيه ويشير لديه النقد والتفكير في المشاكل التي يواجهها.

لا تشمل الإبداعات التي تمثل الشعب والشعوب التي يعيش فيها الدارسون إبداعات كلاسيكية (سامية في نظر منتقديها عبر أجيال كثيرة) على الدوام فحسب؛ بل تشمل أيضا إبداعات كثيرة معاصرة.

إن التعليم الإنساني هو مسيرة دائمة من المعرفة من خلال الاحتكاك بالإبداعات الفكرية والفنية الماضية والمعاصرة في كل المجالات. ويتعرف الإنسان عن طريق مثل هذا التعليم في اليهودية على ثقافة اليهود الثرية التي تعتبر جزءا من ثقافات الشعوب التي يعيش بينها اليهود.

## تعددية في اليهودية

تجلى التعددية في اليهودية في كثرة التيارات والمعتقدات والآراء في كل عصور تاريخها، بداية من أدب التلمود وحتى تطور المبادئ التعددية التي أرست الفكر والحوار في اليهودية. وتتعرف بشرعية الخلاف وفائدته طالما يقرب من الحقيقة ويخضع المواقف المتعارضة لاختبار المبدأ الذي يقول "هذه وتلك أقوال الإله الحي".

تجلى التعددية في ثقافة اليهود في فترة الهيكل الأول ليهوه في القدس، وفي هياكل يهوه في بيت إيل وفي بدان في أسفار العهد القديم التي تعرض وتصف تعدد الديانات والمعتقدات والعبادات لألهة كثيرة قد انتشرت بين اليهود آنذاك. وتصطدم النظرة إلى يهوه على أنه إله مجرد بالنظرة إلى إله إسرائيل على أنه عجلا ذهبيا. كما تصطدم آراء حول العدل الإلهي في أقوال الأنبياء بآراء مناقضة لها، كما في قصص إبراهيم وأيوب والجامعة.

ظهرت في يهودية العصر الهيلينستي حركات وفرق مستقلة تختلف عن بعضها البعض -مثل يهود متأغرقون ومعارضون للأغرقة، وصدوقيون، وفريسيون، وحسيديون، وأسينيون، ومسيحيون يهود، وقناؤون ومعارضون لهم. ومع ازدياد انتشار اليهود في بلدان أفريقيا وآسيا وأوربا ازداد أيضا توزيع الصلاحيات في اليهودية. كما نشأت في فلسطين معارضة على مؤسسة الحكم الديني الكهنوتي للصدوقين. واندلعت في فترة المكابيين مرة أخرى حروب أهلية بين اليهود الذين يتبنون ثقافة الغرب والمعارضين لهم.

تقترب المؤسسة الدينية الصدوقية من أنماط حياة الغرب وتؤمن بالشرعية المكتوبة والمقدسة وتعارض أي إصلاح أوإضافة. وترفض المعارضة الإصلاحية الفريسية اتجاهات الهلينية والمحافظة الجامدة، وتطالب بمواصلة تطور الديانة اليهودية والشرعية والعقيدة عن طريق التوراة الشفهية.

تطورت أثناء الحرب مع روما كذلك معارضة ضد أحزاب الحرب فتنتقل شخصيات يهودية مثل يوحنا بن زكاي وتلاميذه والقائد العسكري اليهودي، المؤرخ يوسف بن متياهو، إلى الجانب الروماني وبياركون قائد الجيوش الرومانية، ويحظون بحمايته والاستمرار في إبداعهم اليهودي تحت الحكم الروماني. أما الأحزاب المؤيدة للحرب فتتقسم وتحارب بعضها البعض وتؤدي بمملكة اليهود إلى الدمار.

إن مبدأ "هذه وتلك أقوال الإله الحي" هو مبدأ تلمودي يرمز إلى تحويل التعددية من سمة لليهودية إلى مبدأ موجه في فكرها. ويعبر هذا المبدأ عن الإيمان بأنه لا يمكن لإنسان الحديث باسم الإله، وعلى ذلك يجب الإصغاء لكل أطراف الخلاف، والحفاظ

أيضا على رأى الأقلية فربما يتحول في المستقبل ليكون رأيا للأغلبية ويحسم القرار النهائي. والاعتراف بوجود خلافات لا يمكن أن تُحسم، والإعلان عن ذلك يُعد أحد المفاهيم الثورية في تاريخ الديانات وعلم اللاهوت.

تتميز الشريعة بأنها ليست كالدستور؛ وإنما كالتطور، فهي مسيرة لا تتوقف بهدف استنباط الحقائق والعدل. وتتنوع منذ العصر الوسيط وعصر النهضة الأوربية وتتعاظم التعددية المتمثلة في كثرة الطوائف التي تعيش في قارات وثقافات مختلفة، بالإضافة إلى كثرة التيارات الفكرية والدينية مثل: العقلانيون، والمتصوفون، والمسيحيون، والحسيديون والمعارضون لهم، والمتنورون والاندماجيون، والمرتدون عن الديانة طوعا أو كرها. ويتزايد في العصر الحديث معدل تطور التعددية في اليهودية بالانقسام إلى يهودية علمانية ودينية، وبالتيارات التي تنشط في بلدان العالم، وفي طوائف بعيدة عن بعضها البعض. ويلتقى في إسرائيل أبناء الطوائف والأجناس والتيارات اليهودية. وتقوى العلاقة بين فئات اليهودية التعددية بسبب النظام الديمقراطي في إسرائيل والذي يزيد من تعلق التيارات والفئات باليهودية. ومن المحتمل أن تؤثر كل فئة وتيار في اليهودية على السياسات وعلى تشكيل الحكومة، وعلى الاقتصاد وأمن كل المواطنين في دولة إسرائيل.

إن وحدة اليهود مشروطة بانعدام وحدته وتجانسه، وبكثرة السبل التي من خلالها يستطيع الفرد أن يحقق انتماؤه لليهودية دون أن يفصل نفسه عن اليهودية.

## تعددية ليست نسبية

التعددية هي الاعتراف بتعدد المعتقدات وكثرتها وتعدد الآراء والتيارات وأنماط الحياة والديانة في ثقافة اليهود. والتعددية سمة لليهودية منذ تأسيسها في عصر العهد القديم، كما تعد أيضا مبدأ موجهاً في اليهودية منذ عصر التلمود ومبدأ "هذه تلك أقوال الإله الحي".

والتعددية ليست مثل النظرية النسبية التي تنسب قيمة مساوية لكل معتقد ورأى، ولكل موقف إنساني ومعادى للإنسانية. وتشجع التعددية اليهودية الخلاف والنقاش بين

أصحاب الآراء المختلفة الذين يؤمنون بتفضيل رأيهم على رأى معارضيههم ويسعون لإثبات صدق موقفهم بحزم وقوة وبشكل مغال وغير متردد كما حدث بين مدرسة هليل ومدرسة شهاى<sup>(١)</sup>، وكما يتصرف منذ ذلك الحين وحتى اليوم كل المختلفين فيما بينهم في اليهودية.

تتجلى النسبية في عصرنا في التخلي عن الإيمان بتفضيل موقف واحد على الآخر، والتخلي عن الإيمان بقيم مطلقة يقوم عليها المجتمع، وتلزم النسبية تسامحا أيضا تجاه العنصرية والتعصب القومى.

إن التعصب القومى والعنصرى هو نوع من أنواع الاستعلاء الذاتى الذى يعتبر قوماً أو جنساً أو جماعة عرقية أو دينية والتي ينتمى إليها العنصرى، هى الجماعة التى

(١) مدرستا هليل وشهاى (أواخر القرن الأول قبل الميلاد وبدايات الأول الميلادى): ولقد اتسمت آراء المدرستين بالتناقض. فلم يرد رأى لمدرسة منها إلا وخالفته المدرسة الأخرى. ومؤسسا هاتين المدرستين «شهاى وهليل» هما آخر زوج في فترة الأزواج والتي سميت بهذا الاسم لتعاقب علماء الشريعة اليهودية خلالها اثنين اثنين وكانت فترتها الزمنية أيام الملك هيردوس (أى قبل ميلاد المسيح أو نفس الوقت تقريباً). وتؤرخ الموسوعة العبرية لشهاى بالفترة التى تمتد من ٥٠ ق.م - ٣٠ م. ولم يكن شهاى فى البداية هو الطرف الثانى لهليل بل كان مناحم هأس هو الذى كوّن مع هليل الزوج الأخير فى تلك الفترة ثم بعد وفاته تولى مع هليل وانهج شهاى أسلوب التشدد والصرامة فى آرائه وفتاواه وسار على دربه كثير من مريديه كوّنوا مدرستهم الدينية الخاصة بهم وأطلقوا عليها اسم معلمهم. ومعظم آراء شهاى المتشددة تتركز على أحكام النجاسة والطهارة. أما هليل فيلقب بالشيخ تقديراً واحتراماً له. ويذكر أنه من مواليد بابل ويُدعى لذلك بهليل البابلى. وترجع المصادر نسبة إلى بيت داود وكان عاشقاً للعلم والمعرفة ودراسة الشريعة على وجه الخصوص. ولم تقتصر آراء هليل على الأمور الفقهية والتشريعية وإنما تطرق كذلك للقضاء والاقتصاد والزراعة وغيرها من الشؤون الخاصة بحياة اليهود ومعاملاتهم اليومية..

ومثل شهاى وأتباعه كوّن كذلك مريدو هليل مدرسة أطلقوا عليها اسم معلمهم. وقد ازدهرت مدرستا شهاى وهليل فى عصرهما ثم بدأت فى الضعف والزوال حتى تلاشتا تماماً فى فترة التنايم وبما سجله التاريخ التشريعى لمدرستهما أن القواعد الشرعية قبلهما كانت مقررة بإجماع الآراء لا يختلف عليها إثنان ولما وضع التناظر بينهما ابتداء عصر الجدل فى تطبيق الأحكام الموروثة على الأحوال والأوضاع التى استجدت طبقاً لقانون الارتقاء المدنى الإنسانى، ومن ثم تكررت هذه الطريقة حتى صارت قاعدة للمباحث الشرعية عند الخلف، فكثرت الأسئلة والأجوبة وتفرعت المباحث فاتسع نظام التلمود إلى أن صار بحجمه الكبير. للمزيد انظر: مصطفى عبد المعبود سيد: التطهر فى التشريع اليهودى من خلال المشنا. ص ٦.

اختيرت لتكون الأسمى وصاحبة الحقوق التي تفوق حقوق أبناء الجماعات الأخرى في المجتمع الإنساني، مثل النازيين "الأريين" أو المتعصبين قومياً. ويتجلى التعصب القومي والعنصرى كعناصر معادية للإنسانية وهدامة للمجتمع وموضوعه، من خلال الإيمان بقيم تتجاهل حقوقاً لأفراد من مجتمعه؛ لكن ليسوا من بنى جنسهم أو من قوميتهم أو من عرقهم أو يتبعون رأيهم.

تُعد قيماً عنصرية، مثل معاداة السامية، بالتأكيد قيماً سيئة وبصورة ليست نسبية. فلا توجد نظرية نسبية تستطيع أن تبررها حتى وإن استوعبها المؤمنون بها عن طريق آرائهم ومعلميهم وتراث ثقافتهم.

وتهدد العنصرية و التعصب القومي ماهية حياة كل خلية أسرية وطائفية، مثل حركة طالبان في أفغانستان، الخاميل الحمر في كمبوديا أو النازية في ألمانيا. ويبعد كل عنصرى نفسه عن ثقافة المرفوضين - في نظره - ومجتمعهم، وتتدنى حياته الروحانية والانطباعية، ويهدد خطر السيكوباتية إنسانيته.

لقد حظيت النسبية الثقافية التى بدأ "هردر" تطويرها فى القرن التاسع عشر، باعتقاده بأنه لا توجد "ثقافة وضيعة" أو "سامية" عن الأخرى، بالانتشار فى نهاية القرن العشرين عقب نظريات الحدائثة وما بعد الحدائثة.

ويتنازلون هؤلاء الذين يرفعون شعارا ويعادلون ثقافة القسوة بثقافة المجتمع المفتوح فى الغرب عن إيمانهم بقيم إنسانية كمييار لتقييم المرغوب والمرفوض، والشر والخير.

ومن أجل وجود التعليم الإنسانى لابد من الصراع ضد العنصرية وكل الذين يبررونها من النظرين، وعلى ذلك فهو لا يسعى للتوفيق بين آراء ومعتقدات؛ وإنما للحوار بين الذين يتمسكون بها.

### وحدة الشعب - تراث تاريخى واحد ومعتقدات كثيرة

يسود فى اليهودية بوصفها ثقافة، دائماً وفى كل التيارات، الاعتقاد بتاريخ قومى مشترك. وتطور هذا الاعتقاد بجانب معتقدات مختلفة ومتصادمة داخل الديانة اليهودية

وخارجها. ويسود في الثقافات التي تطورت تحت تأثير الديانتين المسيحية والاسلام اعتقاد ديني واحد بجانب معتقدات تاريخية قومية مختلفة عن بعضها البعض.

لقد سادت في كل عصر من عصور اليهودية معتقدات متناقضة مع بعضها البعض فيما يتعلق بالإله وكونه إلها مطلقا وماهيته ووجوده، وباليهودية بوصفها ديانة ملزمه أو بوصفها ثقافة متطورة، وبالانتماء إلى اليهودية وتعريفها وشروط الانضمام إليها، وبفرائض الشريعة وسمو القيم الإنسانية على الشريعة، وبانفتاح اليهودية على تأثيرات الثقافات والديانات الأخرى، وبالتعليم اليهودي وأهدافه وسماته. ولا يقوض تعدد المعتقدات والتيارات الاعتقاد المشترك لليهود في التيارات اليهودية المختلفة بوجود تاريخ قومي مشترك، وأن العهد القديم هو أساس اليهودية وأنه إبداع يشكل وثيقة تاريخية قديمة.

تتجلى وحدة اليهود في موضوعات خلافية مشتركة؛ حيث تشارك كل التيارات اليهودية في تلك الخلافات السائدة بها. وتتحول العلاقات الوطيدة بين المتجادلين والمتعارضين في الموضوعات الخلافية المشتركة لتصبح أيضًا من عناصر وحدة اليهود.

ومن تلك النماذج: الخلافات في إسرائيل حول أساليب الحفاظ على يوم السبت، وأشكال الأعياد وسماتها، وحول العهد القديم أم التلمود أيها أساس التعليم اليهودي، وحول "من هو اليهودي"، وقانون العودة<sup>(١)</sup> هل هو تصحيح للترفة أم هو تعبير عن حق مقدس في أرض فلسطين، وحول العلاقة بين الدين والدولة، وحول حق الإصلاح في الشريعة (مثل: حاخامات التوراة الشفهية، والإصلاحيون في عصرنا) أو حول التحرر من كل فرائضها.

(١) قانون العودة: صدر هذا القانون عام ١٩٥٠ م، بعد أن تقدم به بن جوريون، رئيس الوزراء آنذاك - للكنيست وعدل عام ١٩٥٤ و عام ١٩٧٠. ونص القانون على حق كل يهودي في الهجرة إلى إسرائيل، شريطة ألا يكون قد مارس نشاط معاديا لليهود، وألا يحمل مرضا معديا يهدد الصحة العامة، وألا يكون له ماضي إجرامي، وبمقتضى هذا القانون يمنح الأشخاص الذين يدخلون إسرائيل الجنسية وحقوق المواطنة. انظر: العنصرية الصهيونية في الفكر والتطبيق. الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، الإدارة العامة لشئون فلسطين القاهرة ١٩٧٣ ص ٧٤.



تأخذ الخلافات بين المعتقدات لدى اليهود في إسرائيل شكلا سياسيا وتلزم بانتفاء واندماج كل المشاركين في الديمقراطية الإسرائيلية، علمانيين ومتدينين على السواء. وتعضد هذه الخلافات، مثل كل الخلافات الأخرى في اليهودية، في إسرائيل الاحتكاك والاتصال بين تيارات اليهودية المختلفة والتي تعمق الإدراك بكونهم جزءا من جماعة واحدة.

## انفتاح اليهودية على تأثيرات ثقافات الشعوب

لقد تأثرت اليهودية بثقافات الشعوب الأخرى طيلة تاريخها، وظلت في إبداعات دينها وسياستها، وفي ثقافتها- منذ العهد القديم وحتى عصرنا- آثار واضحة لتأثيرات ثقافات بلاد النهرين، وكنعان وفينيقيا، ومصر، واليونان، والإسلام، والمسيحية، وثقافات الهند، وفارس، وثقافات سلافية، وثقافات علمانية في أوروبا، وأمريكا.

شجعت هذه التأثيرات- في كل عصر من عصور اليهودية- إبداعا يهوديا أصيلا. وعقب "نقد المقرأ"<sup>(١)</sup> أميط اللثام عن أصالة إبداعات العهد القديم، من خلال مقارنتها بإبداعات الثقافات القائمة على أساس أساطير شعوب الشرق؛ حيث تأثرت بها كذلك إبداعات توراتية أصيلة. ومثل كل الإبداعات في ثقافة العالم تأثرت بالطبع إبداعات العهد القديم بالثقافات الأقدم، وبثقافات جيرانها. وتبرز بالمقارنة أصالة شكل إبداعات العهد القديم ومضمونها، ورسالتها الدينية والمثالية، مثل أصالة قصة الخلق التي تُعد بمثابة صيغتين متناقضتين مع بعضهما البعض. والبناء القصصي لأسطورة بلاد النهرين

(١) اللفظ الوارد هو المقرأ: كلمة مقرأ هي إحدى المسميات المنشرة لدى اليهود لكتابهم المقدس ولفظ مقرأ يعنى المقروء وذلك اعتمادا على ماورد في يشوع (١:٨) من الدعوة بعدم مبارحة الشريعة فم الإنسان لايرح سفر هذه الشريعة من فمك بل تلهج فيه نهارا وليلا لكي تحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه وفسروا ذلك بأن عدد الذين يقرؤون هذا الكتاب في أيام السبت والأعياد في المعابد يفوق عدد من يقرؤون أى كتاب آخر . وورد ما يؤكد هذا المعنى في سفر نحemia (٨:٨) وقرأوا في السفر في شريعة الله ببيان وفسروا المعنى وأفهموهم القراءة.

للمزيد انظر: د. عمر صابر، د. أحمد هويدى: المدخل إلى عبرية العهد القديم. دار الثقافة العربية. القاهرة،

المؤمنة بتعدد الآلهة قد نسجه مؤلفو الإبداع ومحرروه، والذي يشكل أساس التوحيد أيضا وكذلك المعتقد الإنساني الذي يساوى بين أبناء "أدم" وبناته، والذي خُلِق أصلا كذكر وأنثى وعلى صورة إله.

ويتجلى هذا الانفتاح المتواصل على تأثيرات الثقافات في عصرنا في تطور اليهودية والثقافة الإسرائيلية العلمانية التي تأثرت بكل الثقافات التي دخلت معها في علاقه يومية وابتكرت في نفس الوقت إبداعات أصيلة خاصة بها. خلق هذا التركيب من الانفتاح على التأثيرات والأصالة في الإبداع في الماضي البعيد، جسورًا ثقافية بين اليهودية وثقافات الشعوب الأخرى. وتنسب الذاكرة القومية المختزنة في العهد القديم إلى الملك سليمان رؤية تعددية لثقافة عاصمة المملكة اليهودية. فهو يبنى ويفتح في القدس فروعًا لكل ديانات الشعوب المجاورة وثقافتها، يتزوج منهم، ويحول القدس ليس فقط إلى عاصمة التوحيد الأولى في العالم، بل أيضا إلى المدينة الأولى لتعدد الأديان (بالطبع لا توجد حقائق تاريخية فعلية حول ما رُوي عن سليمان، لكن توجد دلالة لوصف يخص المملكة والذاكرة القومية؛ حيث تنسب إليه كل هذا وتراه ملكًا مثاليًا للعصر الذهبي في تاريخ اليهودية).

بفضل انفتاح اليهودية على التأثيرات وأصالة إبداعاتها فقد حافظت على تواصلها وتميزها عن ثقافات الشعوب ودياناتها، وفي الوقت نفسه حافظت على العلاقات معهم. ويتمثل تأثير اليهودية في ديانات كل الشعوب وثقافتها في تأثير المسيحية والإسلام في الإمبراطورية الرومانية في بداية القرن الأول الميلادي.

## إسهامات اليهودية في ثقافة الشعوب

في الجزء الذي توحد من العالم وأصبح كيانا سياسيا واحداً في الإمبراطورية الرومانية اتيح الانتشار لصيغ المعتقدات اليهودية بين "أتقياء يهوه" الذين قبلوا مبادئ معتقد التوحيد الأخلاقي اليهودي، ولكن لم يأخذوا على عاتقهم فرائض الشريعة.

كان لدى جماعات أتقياء يهوه التي كانت متواجدة بجانب جماعات يهودية في أنحاء الإمبراطورية الرومانية الاستعداد لقبول صيغ مسيحية لليهودية. وتشير صيغة "بولس" إلى أن واجب الإيمان جاء عوضا عن واجب الحفاظ على فرائض تم تبنيها بسهولة من قبل الذين يميلون للإيمان بتوحيد أخلاقي بدون واجب الحفاظ على فرائض الشريعة.

إن توحيد كهذا، يهدف إلى تحقيق العدل والبر وضمان الخلاص. وكان ذلك أحد إسهامات اليهودية للشعوب التي تبنته عن طريق اليهودية المسيحية. والأسطورة الجديدة، التي تحول فيها يسوع، معلم الحسيدين اليهود من الناصرة إلى ابن للإله وقربان بشري يكفر عن كل الآثام، ويخلص روح المؤمنين، قد خفت من انتشار الديانة الجديدة التي ابتدعها "بولس" والتي امتزجت في أسطورتها عناصر وثنية كثيرة.

إن الإيمان بالديانة المسيحية الجديدة التي كانت مبنية على كتابات يهودية مقدسة أدى إلى نشرها في أقاليم مختلفة من الإمبراطورية الرومانية. وعندما تحولت المسيحية إلى ديانة رسمية للإمبراطورية وانتشرت في ثلاث قارات تحيط بالبحر المتوسط انتشرت أيضا المؤسسات التي نشأت في اليهودية: المعبد كتنقيض للهيكل، والسبت والصلاة كبديل للقربان، ودراسة الكتابات المقدسة وتفسيرها.

لم تقم المسيحية بالحفاظ على مجموعة أسفار الكتاب المقدس المعترف بها ونشرها فحسب؛ وإنما قامت أيضا على الإبداعات اليهودية الأخرى التي أخرجتها اليهودية الربانية من تراث اليهودية، وظلت خارجها أكثر من ألف وخمسمائة عام، وعادت إليها فقط في عصرنا مثل: أسفار العهد الجديد، والأسفار الخارجية<sup>(١)</sup> "بما فيها أسفار المكابيين، وكتب الفلسفة الخاصة بفيلون السكندري، وكتب عن تاريخ اليهودية، وكتب المحاربين ضد المعادة للسامية الخاصة بيوسف بن متياهو.

تحول يوم السبت من قاعدة يهودية متميزة إلى قاعدة عالمية عامة عبرت عن رؤية جديدة للزمن: الزمن الإنساني الذي ينقسم إلى أسابيع من العمل تنتهي بيوم راحة إجبارية تنطوي مبادؤه على مساواة لم يسبق لها مثيل؛ حيث وجب حق الراحة على كل البشر، أزواج وعبيد وإماء، وآباء وأبناء، ورجال ونساء، ويضم إضافة إنسانية تخص راحة للبهائم العاملة.

(١) الأسفار الخارجية: هو مصطلح يشير إلى الكتب التي لا يعترف اليهود بها ضمن أسفار العهد القديم "المقدسة" وتسمى أحيانا بالأبوكريفا، وهي كلمة يونانية تعنى "الخفية" أو "غير الموثوق بها" وتسمى أحيانا بالكتابات الخارجة أو الخارجية. وأشهرها أسفار المكابيين الأول والثاني.

نُخصص يوم السبت لتحرير الإنسان من كل الأشغال على أن يتوجه للراحة من كل أعماله وأشغاله وتكدست على مدار السنين نواهي العمل والنشاط بصورة كبيرة في شرائع السبت الدينية، حتى إنه في عصرنا لم يعد يلتزم بها معظم اليهود، وتحول يوم السبت من جديد إلى عيد للراحة والفراغ والتسلية والمتعة.

## الإله بوصفه بطلا أدبيا

ابتكر الناس الإله وصوروه في إبداعاتهم ومعتقداتهم التي تغير هيئته، وجوهره، ومضمونه. وفي وعى المؤمنين وإحساسهم بوجود الإله بوصفه كيانا فاعلا في الطبيعة أو فيما وراء الطبيعة لا يُعد بالنسبة للأغلبية خالقا فحسب؛ وإنما حاكما كذلك، يأمر ويراقب البشر ويعاقبهم بقسوة وبشكل غير متوقع. وعلى ذلك فهو يثير لدى المؤمنين به خوفا ورغبة في إرضائه بالتضحيات أو بالحفاظ على الفرائض.

في الحياة الروحية عند من لا يؤمن بالإله ككيان موجود، خالق وحاكم أو مراقب، يكون الإله بطلا أدبيا ابتكره الناس مبدعو القصص الأسطورية أو الإبداعات الأدبية والفنية التي شكلت آلهة في صور متعددة، ومنحوها أدورا متنوعة في الثقافات المختلفة. وتعيش الآلهة أبطال الأدب في إبداعات إلى جانب أبطال الأدب الآخرين، وأحيانا في هيئة إنسان أو حيوان.

يرى الأدب اليهودي في العهد القديم، وعلى إثره الديانة اليهودية بكل تياراتها، الإله دون ماض، ولا توجد قصة حول حياة الإله أقدم من التي تتجلى في القصص المختلفة حول البشر الذين انتسبوا للإله في العهد القديم. ولا يوجد للإله في العهد القديم تاريخ أسرى وسيرة ذاتية شخصية على عكس آلهة الديانات الأخرى.

كما يُعرض الإله أيضا في اليهودية في مجموعة مفاهيم ومعتقدات لدى المتدينين والعلمانيين. ولا تلتزم الديانة اليهودية الإيمان باله محدد ومعين، ولذلك تمت فيها محاولات كثيرة رفضتها غالبية التيارات لتقليد المذهب الكاثوليكي من خلال إيجاد المبدأ الملزم "أنا مؤمن".

وذات مرة رأى موسى وجه الإله وظهر له، في اللقاء المصيري، أمام النار التي لا تحرق، رآه موسى مجردًا من كل صورة وشكل، مثل: "أكون الذى أكون" كموجود يكون كما يكون، وكيان لا يمكن تحديده بمصطلحات الحاضر، ولكن بمصطلحات المستقبل فحسب، وقوى كامنة لما يحدث في العالم. (ما هو قريب من مقولة أرسطو "مُحرك غير محرك" والتي قبلها فلاسفة مسلمين ومسيحيين في العصر الوسيط بصيغ مختلفة، والذين انقسموا "بين حقيقتين" حقيقة الإدراك لأنهم كانوا مقتنعين مثل "أفلر" أنه يجب أن نؤمن فقط بما نفهم بشكل عقلائي).

وفي مقابل تصور موسى للإله نجد تصور أديب سفر التكوين؛ حيث نجد إلهًا على صورة إنسان يسير في جنته طوال اليوم، ويحل ضيفا على إبراهيم على وجبة، أو يتصارع كإنسان مع يعقوب، أما هارون ومعظم الجماعة التي معه فقد تصوروه في شكل عجل. ورآه إياهو على هيئة صوت سكون. أما في الأسطورة الجديدة التي بدأت في التطور من أدب التصوف في عصر التلمود وبخاصة في العصر الوسيط فالإله هو قيصر جالس على عرش ملكه محاط بوزراء وملائكة مثل الروح القدس.

والإله في الآداب الفكرية، مثل أعمال موسى بن ميمون، هو إله مجرد ليس فقط من كل محسوس، بل أيضا من كل تصور يستطيع الإنسان إدراكه. أما الإله لدى سبينوزا فهو مطابق للطبيعة. وفي نظر الملحنين الذين تأثروا بفكره لا يوجد إله إلا في الأدب والفكر الذى يهتم به. كما رأى المفكرون المتدينون مثل موسى بن ميمون أن الإله الموصوف في قصص العهد القديم على هيئة الإنسان وشكله، والمجازات المروية فيها، لا تعدو كونها نتاجا خياليًا للبشر، بمعنى: أن الإله في قصص العهد القديم حسب هذه الرؤية ما هو إلا بطلا أدبيا ابتكره الأدباء الذين شكلوه كمثال، ولا يستطيع فهم نسيج وحدته إلا الفلاسفة فقط.

ولأن الإبداعات الأدبية تمنح حياة مستقلة "لأبطال الأدب" التي تشكلهم، فإن الإله يواصل العيش كبطل أدبي أيضا بين الذين لا يؤمنون بوجوده خارج إطار تلك الإبداعات. إن التعامل مع الإله على أنه بطل للأدب اليهودي القديم يميز مدرسة "العهد القديم بوصفه أدبا قصصيا" والتي تتجدد في عصرنا (أورباخ، ودينشيس، وكرمود،

وألتر، وبلوم، وميلس، وتلمون، وزيكوفيتش، وهوفمان، وبري، وغيرهم كثير). وتعتبر مدرسة "العهد القديم بوصفه أدبا قصصيا" أيضا الإله أحد أبطالها الأدبيين.

إن ابتكار الإله على يد البشر وعلى هيتهم وشكلهم يُعد تعبيرًا للسعى الإنساني لفهم المتعذر فهمه، كما إنه تعبير عن جنون العظمة الإنسانية وتطلعها في أن تصور نفسها وتشبه بقوة قادرة على خلق الطبيعة والمخلوقات، والسيطرة عليها أو تدميرها.

لم يمت الإله فهو يواصل العيش أيضا في وعي المؤمنين وفكرهم بأنه موجود فقط في الأدب والفن. وكتبت بالجرافيت في ستينيات القرن العشرين على جدار في باريس عبارة "مات الإله موقع عليها نيتشه، وفي أسفلها أضافوا عبارة "مات نيتشه تحت توقيع الإله".

## إلحادية إنسانية في اليهودية

إن الاعتقاد الإلحادي الإنساني يرى أن الإنسان هو مصدر السلطة والقيم، ويمكن قيام المجتمع عن طريق الإخلاص لها، وتحقيق السعادة، وتحسين حياة الفرد والكيان الاجتماعي. ويرى المعتقد الإلحادي أن الإنسان مبتكر الإله، وعلى ذلك فهو لا يشمل الإيمان بالحفاظ على الفرائض التي ابتكرها البشر كذلك.

إن معتقدات الملحد الإنساني تلزمه بتعليم يحثه على النقد وليس الانصياع، كما تلزمه بوضع الغير في الاعتبار وليست الشرائع المقدسة التي تضر به، وتلزمه أيضا بمعرفة الإبداع الثقافي والفكري والكلاسيكي المتجدد في كل جيل والذي يكشف القوى الكامنة في الإنسانية وتحقيقها على مرأى منا.

إن جوهر الإلحادية الإنسانية هو الإيمان بمسئولية الإنسان عن أفعاله واختياره للأسلوب الذي يوافق القيم الأخلاقية، وتشكيل حياته، وخلق واقع روحاني في إبداعاته الثقافية، واقع يشمل ابتكار الإله بوصفه بطلا أدبيا. ويرى إلحاديون مثل "برتراند راسل" أن الإيمان بالإله ليس فقط إيمانا بمفهوم لا فائدة منه لتفسير الكون، بل إنه أيضا اعتقاد ضار يفضل المصلحة الإلهية على المصلحة الإنسانية. وتوجد بجانب المعتقدات الإلحادية

الإنسانية معتقدات إلحادية معادية للإنسانية، على غرار وجود معتقدات دينية إنسانية أو دينيه معادية للإنسانية.

يواصل كثير من اليهود المؤمنين بالإلحادية أو بالألدرية إقامة بعض من فرائض الشريعة، بدون تبرير منطقي أو أخلاقي، بل من منطلق احترام التقاليد والإيمان بقدرتها على توحيد اليهود. فيقوم معظم الملحدون اليهود بختان أولادهم الذكور، وقيم بعض منهم الطقوس التقليدية للبلوغ إلى سن التكليف بالوصايا<sup>(١)</sup> في المعبد (حتى وإن كانت هذه الزيارة هي الأولى والأخيرة لهم في المعبد)، ويعقدون قرانهم لدى حاخام ويوقعون على تعهد بتعويضات طلاق سخيفة في "عقد النكاح" المكتوب بالأرامية ولا يفهمون المكتوب فيه. ولا تتناقض كل هذه الأفعال مع المعتقدات الإلحادية الإنسانية طالما أنها تحقق لهم إرضاء ولا تضر بالغير.

يرى المؤمنون بالإله وبأنه يأمر ويجب الانصياع له، أن الملحدون "كفار". وحسب رأى الكثير منهم فهم يستحقون الموت (مثل رأى أفلاطون وموسى بن ميمون). وبدل هذا العداء للإلحاد على انتشاره في العصر القديم سواء في مجتمع اليهود أو في ثقافات الشعوب في الزمن الغابر. وتدل وثائق أخرى على وجود معتقدات إلحادية في بداية الألف الثاني قبل الميلاد.

يوجب الاعتقاد الإلحادي الإنساني انصياعاً للقوانين الديمقراطية وملائمتها مع القيم الأخلاقية. ويسعى الملحدون الإنسانيون والمتدينون لإبطال صلاحية فرائض الشريعة التي تتعارض مع أسس إنسانية مثل: القوانين التي تشمل ظلماً لحقوق النساء

(١) سن التكليف بالوصايا (بر متسفا): عبارة آرامية تعنى الابن المسئول عن تنفيذ الأوامر والنواهي وهي تطلق على اليهودي عند بلوغه سن النصح: الثالثة عشر ويوم بالنسبة للذكور، والثانية عشرة ويوم بالنسبة للإناث - بت متسفا) ويقام في هذه المناسبة احتفال ديني في المعبد وأول شيء يفعله اليهودي البالغ هو قراءة التوراة وتنفيذ الوصايا، وتنص الشريعة اليهودية على أن سن الثالثة عشر هي السنة المثلى لقيام الشخص الصغير بتحمل مسئولياته الدينية والقانونية كاملة استناداً إلى أن إبراهيم عليه السلام كان في الثالثة عشر عندما تصرف كشخص ناضج وأنكر على أبيه عبادة الأصنام  
أنظر: غازي السعدى: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود. ص ٣٦.

اللاتى يمثلن نصف الإنسانية والشعب، أو فرائض وشرائع تضر بحقوق أبناء الأقليات وكرامتهم، والمثلين أو "الذين ليسوا أهلا للزواج" طبقا للشريعة.

## تعصب دينى وأيديولوجى

التعصب هو اعتقاد دينى أو علمانى يلغى الإيمان بكل القيم الأخلاقية، وقيمة ميزة الحياة على الموت (كتعصب الانتحاريين "من أجل الحرية" كما فى قلعة مسادا) أو حق الناس فى التمسك بأرائهم ونشرها حتى وإن كانت لا تتفق مع آراء المتعصب. نماذج لذلك: معتقد مؤيدى الطغاة المتدينين فى إيران وفى أفغانستان أو الطغاة العلمانيين فى ألمانيا النازية أو فى روسيا البلشفية، والذى بسببهم اعتقل ونفى وقتل أناس لأنهم كانوا "كفاراً" فى نظر المتعصبين.

"اقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه. ووقع من الشعب فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل. وقال موسى املاؤا أيديكم اليوم للرب حتى كل واحد بابنه وبأخيه فيعطيكم اليوم بركة". تلك الأقوال قد وضعها أديب العهد القديم على لسان موسى (الخروج ٣٢: ٢٧ - ٢٩) عندما قاد الحرب الأهلية ضد الذين آمنوا مثل هارون أنه يمكن تجسيد يوه الرب فى شكل تمثال لعجل. وقُتل ثلاثة آلاف من المؤمنين بتفسير هارون لتوراة إسرائيل على يد جنود موسى؛ ذلك الرجل الذى فى قصص أخرى فى أنتولوجيا العهد القديم ينسب له التوحيد الأخلاقى والفرائض التى تعبر عن مبادئ أخلاقية إنسانية عامة بما فيها وصية "لا تقتل".

من هنا يمكن تفسير التعصب الذى يؤدى إلى القتل، فمن المحتمل أن يُوجد فى نفس البشر إلى جانب المثل العليا لدى المتدينين والعلمانيين سوياً.

يعادى المتعصب إنسانيته لاعتقاده بمعاداة إنسانية الغير التى تحل فى وعيه، مثل اللاإنسانية التى حلت فى نفس الطبيب القاتل فى الحرم الإبراهيمى فى الخليل والذى قتل المصلين أثناء صلاتهم، وكأنهم ليسوا بشرا. وتحل اللاإنسانية فى المتعصب عندما يرى الغير، الذى لا يوافق أو لا يتصرف أو لا يعيش وفق معتقده، لا إنسانيا فى نظره.

لم تقلل مسارات العلمنة من مخاطر التعصب فمنذ الثورة الفرنسية وحتى الثورة



النازية والبلشفية ظهرت قسوة التعصب الأيديولوجي العلماني وهذه القسوة ليست أقل من التعصب الديني. ويعد الجمع بين التعصب السياسي والتعصب الديني أخطر أشكال التعصب في التاريخ، كما أظهر المتعصبون في القدس عندما تسببوا في دمارها في بدايه الألف الأول، وكما أظهر المتعصبون في إسرائيل عندما أرادوا قتلا جماعيا للعرب في الحرم القدسي، وقتلوا رئيس حكومة إسرائيل اليهودي كدلالة على نواياهم المستقبلية.

إن تحويل الإيمان بزعيم أو بفكرة دينية أو علمانية إلى قيمة عليا ينزع من المؤمنين قدرة التمييز بين الخير والشر، وكأنها أعادهم التعصب إلى جنة عدن السيكوباتيين عديمي الضمير والحياء أو مشاعر ذنب وكأنها لم يطعموا بعد من شجرة معرفة الخير والشر.

تعد لاإنسانية المتعصب وضحاياه هي القاسم المشترك لكل أنواع التعصب الديني والأيديولوجي والقومي والعنصري والطبقي والثقافي. ويشبه قتلة أطباء النساء الذين وافقوا على إجراء إجهاض شرعى قتلة الذين يؤمنون بأن يهوه مجسد في شمال عاجل، ويشبه القتلة والمحرضين على قتل رئيس حكومة إسرائيل الذى قدم مسيرة السلام وفضلها على سلامته قتلة اليهود المعادين للسامية في أوروبا.

غالبا ما يتجلى التعصب أيضا في الإخلاص الأعمى للزعيم الذى يتظاهر بالحديث باسم الإله أو فكره، وأحيانا يدعمه فكر "علمي" (عنصرى أو طبقي) منفصل عن قيم أخلاقية إنسانية عامة، وينكر صلاحية مبدأ "كانط" الذى يقول 'إن مبادئ الأخلاق العالمية هي فقط التى يمكن اعتبارها أخلاقية.

## تيارات يهودية

يعد التيار في اليهودية حركة اجتماعية دينية أو ثقافية لدى اليهود تختلف عن الحركات الأخرى في كل أو بعض السمات. ومن السمات التى تختلف فيها السمات التالية: المعتقدات التى تنتشر بين هذه الحركة، والمؤسسات التعليمية والمناهج الدراسية التى يتم اختيارها حسب تلك المعتقدات، وأطر اجتماعية وطائفية خاصة، ووسائل إعلام توضح الواقع في ضوء المعتقدات الشائعة في هذا التيار، وزعمات وأحزاب سياسية تمثله، وأنماط حياة تميز الناس الذين يعيشون في هذا التيار وتتجلى في الملابس والمأكول والحياة الجنسية

والأسرية، كما تتجلى في الإبداعات الأدبية والفنية والفكرية التي تنشأ وتنتشر داخل هذا التيار بين اليهود. وتتجلى أيضا في الإبداعات التي تعتبر في نظر معظم أفرادها من مصادر اليهودية.

تشكل التيارات بين اليهود "التوجهات اليهودية" المختلفة التي تعيش جانبا إلى جنب في اليهودية وفي ثقافة اليهود، مثل: تيار الأغلبية هو "اليهودية المتحررة من الديانة التشريعية" والمسمى بـ "اليهودية العلمانية"، وتيارات الأقلية المتدينة: "اليهودية الحريدية" و"اليهودية الدينية الصهيونية" و"اليهودية الأرثوذكسية الأمريكية الجديدة" و"اليهودية الإصلاحية" و"اليهودية المحافظة" و"اليهودية القرائية" و"اليهودية السامرية"<sup>(١)</sup> وغيرها.

بدأت تتبلور في القرن الثامن عشر الأرثوذكسية في تيارات اليهودية الحريدية. وكان هذا الاتجاه يسعى لفرض الشريعة بجمودها وتفسيرها خاخاماتها ولكتاب "شولحان عاروخ" (المائدة المرتبة)، بالتوافق مع معتقدات التيارات الحسيدية والمعارضة لها والتي ظهرت في اليهودية الحريدية. ولقد أحييت اليهودية الحريدية الأرثوذكسية المبدأ الصدوقي

(١) فرقة السامريين: إحدى الفرق اليهودية وترجع أهمية هذه الفرقة إلى أنها صاحبة أول خلاف عقائدي بين أتباع الديانة اليهودية. وكان هذا الخلاف حول قدسية العهد القديم إذ أن أتباع هذه الفرقة لا يؤمنون بالعهد القديم كاملاً وإنما يعتبرون كتابهم المقدس يتكون من أسفار موسى عليه السلام الخمسة (التوراة) ويضيفون إليها سفر يشوع تلميذ موسى عليه السلام وخليفته وهم بذلك ينكرون قدسية الأنبياء والمكتوبات ويعتبرونها من صنع البشر ونتاج ضلالهم. وعلى ذلك فهم يرفضون المشنا وشروحها شكلاً وموضوعاً، ويقولون بأنها من الأعمال التي تبعث على الضلال والكفر وأصل هذه الفرقة وتاريخها يُعد مبهماً ومعقداً حيث ينكر معظم اليهود نسبهم إلى بني إسرائيل ويقولون إنهم لا يمتنون بصلته إلى موسى عليه السلام أو ديانته فهم في نظرهم مجموعة من أخلاط الناس «الجويم - الأغيار» حيث نقلهم الملك الأشوري من بلاد مختلفة حسب ما ورد في الملوك الثاني ١٧: ٢٤، وأتى ملك أشور يقوم من بابل وكوث وعوا وحماة وسفروايم واسكنهم في مدن السامرة.. «بيننا هناك نظرية أخرى تقول أنهم يرجعون إلى بقايا أسباط إسرائيل الشماليين الذين مكثوا في السامرة بعد السبي الأشوري - ٧٢١ ق.م. - ونجوا بذلك من المنفى وكانوا يمثلون آنذاك عدداً لا بأس به من الإسرائيليين. انظر: أبو الحسن اسحاق الصوري: التوراة السامرية، نشرها وعرف بها د. أحمد حجازي السقا، دار الأنصار، الطبعة الأولى، ١٩٧٨، ص ١٧.

وانظر: د. سلفيا باولز. السامريون وإرثهم. مجلة الدراسات الشرقية. - العدد الثامن (١٩٨٨). ص ١-٢.

القرائي<sup>(١)</sup> "الجديد محظور من التوراة". ولقد تطورت اليهودية الحريدية ردا على حركات التجديد والتنوير والإصلاح التي ظهرت في اليهودية الدينية، وفي اليهودية المتحررة من الديانة التشريعية، في ثقافات الطوائف اليهودية في أوروبا وأمريكا وأفريقيا وآسيا.

ظهرت أيضا في اليهودية العلمانية تيارات مختلفة، مثل: تيار اليهودية اليديشية المضاد للصهيونية في شرق أوروبا قبل الحدث النازي، وذلك في مقابل تيار اليهودية الصهيونية الإسرائيلية الذي يحيا في الثقافة العبرية في فلسطين قبل إقامة إسرائيل.

يعد تنوع التيارات لدى اليهود تعبيرا عن التعددية التي سادت في ثقافتة في كل عصر. وتشكل جميعها منظومة متكاملة للتيارات اليهودية.

## شعب اختيار

إن اليهود هم "شعب اختيار" بمعنى أنهم جماعة يختار أفرادها أسلوب انتمائهم لليهودية وليهوديتهم، ويختارون التيار الذي ينتمون إليه ومجموعة الإبداعات التي تمثل حسب وجهة نظرهم ثقافة اليهود. واختار غالبية اليهود، التي تركزت في أوروبا وأمريكا الانتقال من تيار اليهودية الحريدية إلى تيار اليهودية المتحررة من ديانة الشريعة، وعلى

(١) فرقة القرائين: وهي الفرقة التي اكتسبت تسميتها من إيمان أتباعها الشديد بنص العهد القديم والمعروف كذلك بالمقرا. فكلمة قرائي نسبة إلى مقرا، وقد ازدهرت هذه الفرقة تحت رعاية الحكم الإسلامي في العراق في القرن الثامن للميلاد. وتأثرت بالنشاط الديني الذي كان شائعا في ذلك القرن بين التكلمين المسلمين. وقد تزعم هذه الفرقة «عنان بن داود» (٧١٥-٨١١م). وكان محور الخلاف بينهم وبين الطوائف اليهودية الأخرى وبخاصة طائفة الفريسيين يدور حول رأيهم في المشنا وما يتعلق بها من شروح وتفسيرات أدت إلى تكوين التلمود.

فأتباع هذه الفرقة لم يرفضوا فقط الاعتراف بالتلمود والإبعاد عنه وعن أحكامه - شأن الفرق الأخرى التي أنكرته - وإنما أخذوا يجاربون التلمود وينقدون آراءه وأحكامه مما أثار عليهم سخط الفريسيين وحقدهم وزادت الصراعات والعداوات بين الطائفتين لدرجة أن أعلن رؤساء كل طائفة تكفير الطائفة الأخرى ونجاستها وحرمانها من رحمة الله، كما منعوا الصلاة كل منهم في معابد الآخر، وحرّموا كل مشاركة دينية أو شعبية من قبل أية طائفة من الطائفتين مع الأخرى، ومن الأكل على مائدة السبت أو الأعياد إلى الزواج الذي حرّم نصاً بين الطائفتين.

انظر: مصطفى عبد المعبود سيد: التطهر في التشريع اليهودي من خلال المشنا. ص ٣٤.

الفور واجهت خيارات جديدة بين تيارات تلك اليهودية. كما اختار غالبية اليهود الذين تركزوا في إسرائيل أيضا اليهودية المتحررة من ديانة الشريعة والثقافة العبرية الجديدة التي أفرزتها. واختارت أقليات صغيرة من اليهود ولازالت تختار العيش حسب الثقافة اليهودية الحريدية الشرق أوربية حيث الحديث باليديشية<sup>(١)</sup>، وارتداء ملابس العصر الوسيط الخاصة بالنبلاء البولنديين، التي صارت في نظرهم ملابس يهودية مقدسة، وتعلم الدراسات التلمودية فقط وتجاهل ثقافة القرن العشرين بقدر الإمكان.

الاعتقاد الديني بأن اليهود هم جماعة اختيار بمعنى "شعب مختار" من قبل إله الكون، ولذلك فاليهود أسمى من كل الشعوب الأخرى، هو اعتقاد يشكل خطورة على عقلية المؤمنين به وإنسانيتهم. إنه مثل كل اعتقاد يتسبب في الخط من إنسانية الغير والذي يشكل الإنسانية كلها. ويرتبط التعصب الديني والسياسي بفكرة "شعب مختار" من قبل إله الكون كله والذي اختير ليكون سبب الخلاص للعالم.

إن كثرة تيارات اليهودية يجعل كل يهودي يواجه خيار العيش في واحد منها، أو تركه والانضمام إلى آخر، أو أن يخلق لنفسه أسلوبا خاصا يحقق من خلاله انتمائه لليهودية. وبما أن معظم اليهود في العالم وإسرائيل اختاروا الانتماء إلى اليهودية المتحررة من ديانة الشريعة فقد تحرر معظمهم من المفهوم الخاطى والخطير "شعب مختار" وبدأوا يؤمنون بحرية اختيارهم لحياتهم كيهود وللتيار اليهودى الذى يعلمون أبناءهم فيه.

اختار معظم الآباء اليهود في إسرائيل (الثلاثين) إرسال أبنائهم لمدارس غير دينية فاخاروا بذلك التيار الذى يريدونه لأبنائهم.

واختار معظم الآباء اليهود فى الخارج (المتدينون المرتبطون بالمعبد والعلمانيون الذين لا يرتبطون بالمعبد) تعليم أبنائهم فى مدارس غير يهودية لا يدرسون فيها ثقافة اليهود، وأدبهم الكلاسيكى المتمثل فى العهد القديم. واختار بعض الآباء اليهود فى

(١) اليديش: لهجة ألمانية جنوبية استخدمها يهود شرق أوروبا وقد ظهرت بين عامى ١٠٠٠ - ١٢٥٠ م وهى خليط من المفردات الألمانية والسلافية والعبرية وما زالت لغة الدراسة فى المدارس التلمودية بإسرائيل وتصدر صحف بها فى إسرائيل، كما أن هناك أدب مكتوب بها.

الخارج (حوالي الثلث) بالفعل إرسال أبنائهم (حتى سن الثالثة عشر) عدة ساعات في الأسبوع لتعليم يهودى في المعبد، لكن في معظم الحالات لا تشمل هذه الدراسات الاطلاع على ثقافة اليهود المعاصرة والمتطورة واكتفت بدراسة عدة نصوص توراتية أو نصوص مرتبطة بالصلاة وبعض كلمات باللغة العبرية. وأدى هذا الاختيار إلى أن غالبية اليهود الذين نشأوا في الخارج عرفوا ثقافة شعب الدولة التي ينشأون فيها (مثل الثقافة الإنجليزية، الفرنسية، الأمريكية) دون أن يعرفوا ثقافة اليهود - الدينية أو العلمانية.

يحقق اليهود الذين يرغبون في الاندماج والتكسر ليهوديتهم هم أيضا اختيارا. فيما أنهم يعلمون أنهم يهود ومدركون بأن المحيطين بهم يرون أنهم يهود فهم مضطرون لاختيار الشكل الذى يعيشون به حياة يهودية أو يتجاهلون يهوديتهم وينكرونها أو يخفونها عن المحيطين بهم وعن أولادهم، كما فعل آباء كثيرون في أوروبا بعد الحدث النازى.

يوجد من بين اليهود المندمجين وحتى من بين الذين يستبدلون ديانتهم بديانة مسيحية من يختار التمسك بعبادات وتقاليد معينة تربطهم بماضيهم اليهودى، كما فعل كثير من اليهود، أفراد غيروا دينهم اليهودى إلى المسيحية في إسبانيا، والذى يطلق عليهم أيضا "المرغمون على تغيير دينهم"، وكانت لديهم في معظم الحالات إمكانية الخيار بين الهجرة والارتداد عن دينهم. وعندما اختاروا قبول المسيحية أتاحت لهم مناصب في مختلف المهن والتي جعلت كثيرا منهم يصلون إلى قيادة الحكم ومحاكم التفتيش الكاثوليكية حتى ثار ضدهم حقد وتعصب "المسيحيين الحقيقيين" والذين اشمئزوا من "المسيحيين الجدد" (اليهود) فأسسوا بذلك العنصرية في أوروبا. وارتد يهود كثيرون في غرب أوروبا في القرن التاسع عشر مثل "هيانا" و"ماهلر" عن ديانتهم إلى المسيحية لأن تغيير الديانة كان شرطا للحصول على الدكتوراه، أو للحصول على وظيفة عالية في المؤسسة الثقافية في غرب أوروبا حتى بعد حركة التحرر الذاتى.

يعى اليهود في إسرائيل يهوديتهم بأنها هويتهم القومية، واللغوية، والثقافية، والاجتماعية والسياسية. فهم لا يواجهون الاختيار بين الانتماء لليهودية وبين الاندماج. فالأفراد الذين يستطيعون الاندماج في داخلهم هم يهود آخرون.

يجب على اليهود في إسرائيل أيضا الاختيار: اختبار أحد تيارات الهوية الإسرائيلية فيحققون به يهوديتهم عن طريق اختيار مدرسة لأولادهم، واختيار نمط حياة ديني أو متحرر، واختيار إجابة على السؤال "من هو اليهودي؟" والتي تحدد النظرة إلى قانون العودة والمشاركة في تشكيل الطابع اليهودي للدولة.

## التيار العلماني في اليهودية

يبرز التيار العلماني في اليهودية في معظم أشكال تيارات اليهودية. وزادت في القرن التاسع عشر مراكز اليهودية العلمانية وبخاصه في المدن الكبرى في أوروبا والتي تدفق إليها يهود من البلدات التي تجمع فيها غالبية اليهود حتى ذلك الحين. وفي القرن العشرين ازداد التيار العلماني تطورا ونموا بين تجمعات اليهود في أوروبا والأمريكتين، والتي عاش فيها غالبية اليهود. وظهرت فروعه بين كل الطوائف في آسيا وشمال أفريقيا عقب انتشار حركة التنوير وشبكة تعليم جمعية "إليانس يزرائيليت".

أسست حركات الهجرة من أوروبا إلى أمريكا وجنوب أفريقيا وفلسطين مراكز جديدة لليهودية العلمانية في النصف الأول من القرن العشرين. وتطور في فلسطين المركز المزدهر لليهودية العلمانية مع إحياء الثقافة العبرية في النصف الأول من القرن العشرين، وتحول منذ قيام إسرائيل إلى المركز الروحي والثقافي الذي تنتمي إليه كل تجمعات اليهودية في العالم.

لقد نشأت في التيار العلماني معظم الإبداعات اليهودية المعاصرة وظهرت به الحركات الاجتماعية والسياسية الجديدة والتي أعادت تشكيل حياة اليهود في الخارج وفي فلسطين. وحدث في اليهودية العلمانية المتحررة من ديانة الشريعة تطور غير مسبوق في تاريخ اليهود لأنظمة التعليم اليهودي اللاديني في الخارج وفي إسرائيل، ابتداء من رياض الأطفال وحتى مؤسسات التعليم العالي. وامتزحت في تلك الأنظمة الدراسات العلمية، والعلوم الإنسانية ودراسة الإبداعات الثقافية العامة واليهودية. وكانت اللغات الأساسية للدراسة في اليهودية العلمانية العبرية واليديشية والفرنسية والإنجليزية.

ظهرت في اليهودية العلمانية تيارات وأيديولوجيات تتعارض مع بعضها البعض

وضمنت مئات آلاف من الأفراد . ومن هؤلاء: البوندى<sup>(١)</sup> والشيوخى والمؤيد لجعل اليديشية لغة قومية والمعادى للصهيونية، والحركة الصهيونية والحركة العلمانية الإسرائيلية التي رسخت مجددا العبرية كلغة حديث وإبداع لليهود.

ونشأت منظمات عالمية لليهود لم تقم على أساس دينى مثل المنظمة الصهيونية، والمؤتمر اليهودى العالمى، وأحزاب يهودية علمانية عالمية.

لقد كان أكبر وأهم مشروع للتيار العلمانى هو إقامة كيان يهودى فى فلسطين وإحياء الثقافة العبرية. وشكل هذا التيار قبل الحرب العالمية الثانية حوالى ٥٪ فقط من اليهود لكنه تحول سريعا إلى عنصر مؤثر للغاية فى يهود العالم وفى ثقافتهم وفى الحركات السياسية والتعليمية التى نشطت بها.

كان معظم اليهود فى فلسطين عشية قيام إسرائيل ينتمون إلى اليهودية العلمانية. و تطور فى ظل قيادتها الحكم الذاتى لليهود فى ظل السلطة البريطانية قبل إنشاء إسرائيل. فنشأ نظام تعليم بالعبرية، وجامعات وكليات ومدارس، ورياض الأطفال، ومؤسسات ومنظمات ثقافية مستقلة، ومجمع للغة العبرية، ومسارح أكاديمية للفنون، ومتاحف، ودور نشر، ونقابات لدفع الثقافة الإسرائيلية العلمانية للأمام (مثل نقابة المعلمين ونقابة المصورين، ونقابة الأدباء). كما نشأت صحف يومية، ومجلات بالعبرية، ومحطة راديو بالعبرية وستوديو لانتاج أفلام سينما إسرائيلية. وقامت جماعات ثقافية علمانية لأول مرة فى التاريخ بحركة كيبوتسية، وابتكروا أنماطا للعيد واستقبال يوم السبت وطقوس الاحتفال ببلوغ سن التكليف والزواج ومراسم الحداد، وتتميز بأنها أنماط متحررة من ديانة الشريعة.

وعملت مؤسسات ديمقراطية منتخبة فى الحكم المحلى والقطرى بفلسطين قبل قيام إسرائيل من خلال نظام جمع تبرعات وضرائب مستقل. وتكون كذلك جيش لحركة سرية مؤلف من عشرة آلاف جندى وجندية تخضع لسيادته المؤسسات المنتخبة. وقوة من

(١) البوند : أى الرابطة وهى اسم حزب يهودى اشتراكى ديمقراطى كان يعمل فى روسيا وبولندا وغيرها ناهضت الحركة الصهيونية ودعت إلى منح اليهود حكما ذاتيا فى الشؤون الثقافية.

الشرطة تحت إمرة قيادة بريطانية في معظم التجمعات اليهودية تتشكل من جنود وضباط يهود، بعضهم من قبل المؤسسات المنتخبة للحكم الذاتى اليهودى العلمانى. ولقد أيدت الأحزاب الدينية الصهيونية التى شكلت أقلية من السكان اليهود أيضا مؤسسات الحكم الذاتى اليهودى العلمانى، مع أن الحريدين قاطعوا معظمها.

ولقد دُمرت في أحداث النازية<sup>(١)</sup> غالبية مراكز التيارات اليهودية في أوروبا بما فيها مراكز التيار العلمانى الذى انتمى إليه معظم اليهود في أوروبا. وتفككت في السنوات التى أعقبت ذلك أيضا في الولايات المتحدة حركات التيار العلمانى في اليهودية ومؤسساتها التعليمية فتوقف معظمها عن النشاط، كما توقفت صحفها اليومية عن الظهور.

خلق التيار المتحرر من ديانة الشريعة في فلسطين كيانا يهوديا مستقلا وثابتا حيث شكل قاعدة لدولة يهودية علمانية وديمقراطية لأول مرة في التاريخ. ويعيش اليوم بها أكثر من ثلث يهود العالم ومعظمهم شباب يهودى أقل من سن الثامنة عشر. وسيتجمع في بداية الألف الثانى من الميلاد معظم يهود العالم في إسرائيل، بينما ظل أعضاء كل التيارات الدينية يشكلون حوالى خمس السكان اليهود فقط.

## ضعف في بنية التيار العلمانى فى اليهودية

على عكس تيارات أخرى في اليهودية ليست للتيار العلمانى زعامة تمثل مصالحه كتيار في الثقافة والتعليم اليهوديين. فليست له نظريات تعليم خاصة وصيغ شائعة لدى

(١) أحداث النازية: يطلق اليهود عليها بالعبرية "هشوتنا" والترجمة الحرفية لها النكبة النازية والمقصود بها الوقائع التى حدثت لليهود إبان الحكم النازى في ألمانيا والدول التى وقعت تحت السيطرة النازية خلال الحرب العالمية الثانية، حيث يدعى اليهود أنهم قد تعرضوا للاضطهاد والتعذيب والمطاردات، وتم نقل أعداد كبيرة منهم إلى معسكرات الاعتقال حيث تمت إبادة أعداد كبيرة. وحسب الزعم الصهيونى يصل عدد القتلى اليهود في هذه الأحداث إلى ستة ملايين، وعمل اليهود على ترويح هذا الادعاء لاستغلال الدول النازية وكسب عطف الدول الكبرى الأخرى. وقد ظهرت الكثير من الحقائق التاريخية والأبحاث العلمية التى تثبت كذب وزيف ادعاءات اليهود بشأن أحداث النازية.

للمزيد انظر: روجيه جارودى: الأساطير المؤسسة السياسية الإسرائيلية. ترجمه محمد هشام. دار الشروق القاهرة ١٩٩٨.



معظم المعلمين الذين يدرسون به. ويصيح قليل منهم لأنفسهم معتقدات يعيشون بها ويتعلمون طبقا لها. وتهتم في التيار العلماني جماعات ثقافية قليلة ومنظمة بالمتطلبات الروحانية التعليمية الاجتماعية والخاصة بأعضائها.

لا تشكل الجماعات العلمانية المنظمة القليلة (في كيبوتسات، وفي جماعات المعابد العلمانية في الولايات المتحدة، وفي بعض الجماعات المستقلة التي تعمل في العالم) نماذج للتقليد. فمعظم اليهود الذين يعيشون في أنماط حياة التيار اليهودي العلماني ليسوا منظمين في أية أطر اجتماعية وثقافية. وتعد مراكزهم الجماعية التي تسمى مراكز للثقافة والشباب والرياضة بمثابة مراكز خدمة الهوايات والثقافة البدنية، وليست مراكز نشاط روحاني تعليمي للجماعات العلمانية.

لا يوجد في التيار العلماني مؤسسات لتثقيف وتأهيل "معلمي لليهود" (التي حاول بوبر تطويرها) تستطيع أن تلعب دورا حيويا من أجل تكوين جماعات ثقافية في اليهود وتفعيلها. ونتيجة لذلك ينقص التيار العلماني زعامة محترفة تعمل على تفعيل جماعات ثقافية وتعليمية، مثل الحاخامات الكثيرين الذين ينشطون في التيارات الدينية، وحفنة المرشدين والحاخامات العلمانيين الفاعلين في التيار العلماني.

أدى الضعف التنظيمي والسياسي لتيار اليهودية العلمانية إلى أن تيار التعليم ونظام المدارس غير الدينية في إسرائيل والذي يشكل غالبية مطلقة في اليهودية الإسرائيلية، قد أصبح الوحيد الذي يفقد إلى شبكة تعليمية مستقلة تحت قيادته. وفي حين أن لكل تيار من التيارات الدينية في إسرائيل استقلالا ذاتيا تعليميا، يدعمه دافع الضرائب، ويديره المعينون من قبل التيار الديني والسياسي الذي ينتمون إليه (شاس، أجودات إسرائيل، ديجل تواره، همفدال) فليس للتيار غير الديني زعامة تحت إشرافه. وسيطر على مدار جيل وزراء تعيينهم حكومة إسرائيل، غير أنهم يتم اختيارهم من خلال ممثلي التيار الديني أو بتأثيره.

## حرب ثقافية

تعني الحرب الثقافية في اليهودية صراعا بين تيارات في جماعة اليهود لها معتقدات مختلفة أو متعارضة. فبصفة عامة يتطلع زعماء هذه التيارات إكساب مبادئهم وأنماط الحياة

اليهودية الخاصة بهم لأفراد التيارات الأخرى. وهناك عوامل أيديولوجية واقتصادية وسياسية تحرك هذه التصادمات بين التيارات المتعارضة مع بعضها البعض في الثقافة والمجتمع ودولة اليهود، وتشكل تلك التصادمات حربا ثقافية. ويتجلى الاختلاف بين تيارات اليهودية في الاختلاف بين أنماط حياة المنتمين إلى التيارات المتصارعة فيما بينها؛ فهو اختلاف في أساليب العبادة وطقوس الأعياد وفي المواقف الأيديولوجية تجاه تاريخ اليهود وفي النظرة إلى الإله ودوره في الحياه الإنسانية وهو اختلاف في الاعتراف بواقعية أو عدم واقعية الآخرة والبعث، وفي وظائف الدولة اليهودية وفي انفتاحها على تأثيرات الشعوب. إنه اختلاف أيضا في النظرة إلى المستقبل ودور المسيح المخلص وفي النظرة إلى الشريعة وتبرير إقرارها أو التسليم بالتحويلات التي يجب إحداثها بها. علاوة على هذا إنه اختلاف أيضا في النظرة إلى فرائض الشريعة، وإلى أى مدى هي أسمى من قوانين الدولة الديمقراطية، كما أنه اختلاف أحيانا في الملابس وفي لغة الحديث (مثل الاختلاف بين تيارات الحريدية وباقي التيارات في اليهودية).

ارتبطت الحروب الثقافية بتاريخ اليهود منذ نشأته. ذلك لأن اليهودية بطبيعتها ثقافة ينتشر بها الإيمان بتاريخ قومي مشترك بجانب مجموعة معتقدات مختلفة أو متصادمة، ولا تهدد الحروب الثقافية وحدة اليهود. فهي تهدد وحدته فقط في حالات نادرة، عندما تتحول إلى عنف وتندهور إلى حروب أهلية.

استمرت في معظم سنوات تاريخ اليهود حروب ثقافية بدون عنف. وعاشت الطوائف اليهودية التي انضمت إلى التيارات المختلفة منفصلة عن بعضها البعض وأحيانا في نفس التجمع السكانى. ولقد أتاح الانتقال من سلطة مركزية للمؤسسة الدينية الكهنوتية والساهدرين إلى لامركزية مفرطة في الشتات اليهودى وإلى إستقلال الطوائف، وحاخاماتها وزعمائها، في الماضى ولا يزال يتيح أيضا في عصرنا تعايشا سلميا للتيارات المختلفة والتي تخوض حربا ثقافية فيما بينها.

إن ذوى المعتقدات المتناقضة مثل طوائف الحريديين، والعلمانيين الإصلاحيين والمحافظين في الولايات المتحدة، يعيشون منفصلين بشكل مغال فيه جنبا إلى جنب ولا يلتصقون أو يصطدمون مع بعضهم البعض عندما لا توجد لهم مصالح توجب اللقاء فيما بينهم.

تكثر في دولة إسرائيل المصالح المشتركة والمتعارضة لأبناء التيارات المختلفة ويزداد الاحتكاك فيما بينهم. وتؤثر تناقضات المعتقدات والمواقف بين زعماء التيارات المختلفة وأعضائها على اللقاء الدائم بينهم في المؤسسات التشريعية والمؤسسات التنفيذية للدولة، وفي الحكم المحلي والجهاز القضائي.

وعلى ذلك تتفاقم في إسرائيل الحرب الثقافية بين الأقلية الدينية والأغلبية العلمانية. وتأخذ شكل صراع بين أحزاب؛ حيث إن بعض من التيارات الدينية ممثلة في أحزاب سياسية وهؤلاء ينصاعون لرأى حاخامات غير مُتخبين لكنهم يستطيعون التأثير على قرارات الكنيست والحكومة عن طريق المعينين من قبلهم. وتظهر اندلاعات عنف نادرة في مظاهرات، وإتلاف ممتلكات، ومهاجمة عنيفة على أفراد، ويظهر في إسرائيل حجم التناقضات والفجوة الشاسعة بين المعتقدات السائدة في التيارات المتصارعة في يهوديتها.

ما جوهر الحرب الثقافية في إسرائيل؟ إنه الخلاف بين الأغلبية السكانية اليهودية والأخرى حول سمو قوانين الديمقراطية على أى شريعة دينية، أو سمو الشريعة على سلطات القانون والقضاء للديمقراطية الإسرائيلية. وانبثقت من هذا الخلاف باقى الخلافات بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل، مثل الاختلاف بشأن تفضيل القيم الإنسانية على فرائض الشريعة، وكذلك الاختلاف حول المساواة التامة بين النساء والرجال، وأيضا الاختلاف حول التعليم الإنسانى اليهودى، والخلاف كذلك حول قانون العودة، وقوانين التهود، وتعريف الانتماء إلى اليهودية، ومكانة المحاكم الربانية وحقوقها وتشكيلها (ضم النساء ومثلى كل تيارات اليهودية الدينية والعلمانية). والاختلاف أيضا حول واجب التجنيد للجيش للدفاع عن مواطنى الدولة، وواجب الانصياع لحاخام أو قائد الجيش، وفرض أحكام يوم السبت وشرائع دينية أخرى على علمانيين... إلخ.

في الذاكرة القومية الجمعية ترافق حروب ثقافية تاريخ اليهودية منذ تأسيسها في جبل سيناء. وبدأت في اليهودية منذ استيطان أسباط اليهود فلسطين حرب ثقافية بين يهود يؤمنون بالتوحيد وبين يهود يؤمنون بتعدد الآلهة، عبدوا أيضا الآلهة بعل وعشروت ومولوخ.

استمرت الحروب الثقافية في العصر الهلنستي، بين اليهودية التي انفتحت على تأثيرات الغرب وبين تلك التي قد انغلقت، بين المؤمنين باقتصار الحياة على هذا العالم وبين المؤمنين بالبعث والآخرة، بين الفرق الكثيرة والمختلفة والتي نمت بين السكان اليهود الذين ازدادوا في فلسطين وخارجها. وأخذت الحروب الثقافية أشكالا جديدة ومتنوعة في العصر الوسيط حيث قل التعبير عنها بعنف لأن اليهود كانوا متواجدين في طوائف صغيرة وتنقصها وسائل الحرب. ودارت حروب ثقافية غير عنيفة بين العقلانيين والمتصوفين، بين اليهود المسيحانيين ومعارضيهم، غير أن تلك الحروب الثقافية شهدت أحيانا بعض العنف، مثل حادثة إحراق كتب موسى بن ميمون في شوارع "فريسي" (وكما في شهادة الحسيد مورونا في القرن الثالث عشر).

زادت في فترة النهضة الأوروبية والتنوير اليهودى الفجوات بين تيارات اليهودية. وتعاضمت في الغرب اتجاهات الانفتاح على ثقافة الشعوب، والمذهب العقلانى الذى يوجهها. وظهرت في شرق أوروبا الحسيدية التى تنشر القبالة والصوفية فى اليهودية الدينية وازدادت الحروب الثقافية بين الحسידين والمعارضين لهم، بين الحريديين والمنورين ووصلت إلى ذروتها مع تطور مسارات العلمنة والحركات القومية الصهيونية والمعادية للصهيونية فى القرن العشرين.

لاتلغى الحروب الثقافية وحدة جماعة اليهود التى تتجلى فى الشعور بتضامن اليهود مع يهود آخرين فى بلدان العالم والشعور بالهوية القومية القائمة على ارتباط باض مشترك. وتدهور الحروب الثقافية فى أحيان متباعدة فقط إلى أعمال عنف، وأفظعها قتل رئيس الحكومة إسحاق رابين.

وقعت فى القرن العشرين صدمات عنيفة وإن كانت قليلة قد نتجت عن الحروب الثقافية. من أمثلة تلك : اضطرابات متعصبي رابطة "أيها العبرى تحدث بالعبرية" فى سينما "موغرابى" بتل أبيب عندما عرضت بها أفلام باللغة اليديشية، وتشهير وتحريض من قبل الحريديين الذين تسببوا فى سجن "اليعاذر بن يهودا" فى سجن تركى بسبب دوره فى إحياء اللغة العبرية كلغة حديث وإبداع. والضرر الجسدى لفتيات بالقدس من قبل حريديين بسبب ملابسهن غير اللائقة فى نظرهم، وكذلك الضرر البدنى والضرر بالمتلكات الذى

قام به الحريديون في مظاهرات يوم السبت بالقدس، وأيضا الضرر بالملكات الذى قام به العلمانيون في مدارس دينية أقيمت مخالفة للقانون في وسط أحياء علمانية.

دارت أيضا صراعات فكرية بين التيارات المختلفة في كثير من الأماكن وفي معظم سنوات الحروب الثقافية في اليهودية، وذلك منذ فترة التنوير اليهودية والحسيدية وحتى عصرنا، بغية الاستيلاء على مراكز القوى في الطائفة، وفي المجتمع أو في الدولة. ولقد كانت التصادمات العنيفة بين التيارات نادرة وقصيرة مقارنة بالحروب الأهلية الجماعية المدمرة والطويلة التي نجمت أيضا عن حروب ثقافية ودينية في دول أوروبا.

ولقد ازدادت بالتدريج حدة الحرب الثقافية بين التيارات الدينية والعلمانية مع إنشاء إسرائيل وانتقال إمكانيات الدولة ومواردها إلى سلطة الحكومات اليهودية. و تدور الحرب الثقافية الآن حول مراكز قوى وموارد اقتصادية ومالية؛ حيث إن أساس الحرب الثقافية في إسرائيل يتمثل في التناقض بين النظرة إلى الشريعة على أنها أسس من الديمقراطية، وبين النظرة إلى الديمقراطية والقيم الإنسانية وترجيحها على أى رأى تشريعى مناقض لها، فلا احتمال لحل وسط بين المواقف المبدئية للأطراف المتشدة.

إن الاحتمال الذى بقى هو حوار من أجل تعايش سلمى متعدد لكل الذين يأخذون على عاتقهم عبء رأى الأغلبية للحكم الديمقراطى الإسرائيلى، مع الاهتمام بتنمية أقصى حد من الاستقلال الذاتى في المجالين التعليمى والثقافى داخل كل تيار من التيارات. هذا بشرط أن يقوم الجميع بواجباتهم تجاه المجتمع، وأن يزودوا تلاميذهم بمعرفة قيم الديمقراطية والمهارات المطلوبة لتحقيق نشاط فعال في الاقتصاد والمجتمع المعاصر.

## الفصل الثالث



### التعددية سمته اليهودية في كل عصورها

يوضح التغيير في النظرة إلى اليهودية في عصرنا التعددية التي هيمنت على اليهودية في كل فترات تاريخها. ويتجلى التغيير في تعدد الآراء والديانات والمعتقدات والتيارات الموجودة بها. وبرز التحول الذي صاحب النظرة إلى تاريخ اليهودية بوصفها ثقافة اليهود في تشكيلة الموضوعات والإبداعات والشهادات والوثائق التي تعتبر "مصادر اليهودية".

#### تاريخ يبدأ من الحاضر

قال "فروست": يتعرف كل قارئ في الأدب القصصي على أبطال الروايات من خلال تذكّر أناس معروفين له، وكذلك الأمر بالنسبة للمؤرخ وقرائه فهم يحكون عن الماضي من خلال التعامل مع الحاضر والأحداث المؤثرة عليهم.

تختلف في الحاضر صورة ماضي اليهودية؛ بتأثير الأبحاث والاكتشافات الأثرية وآراء المفكرين والمعتقدات والتفسيرات الجديدة للنصوص القديمة. ولا تماثل صورة ماضي اليهودية في نهاية القرن العشرين صورتها في وعى اليهود قبل مائتي أو ثلاثمائة عام. ولا تماثل صورة الخلفية والعوامل الخاصة بنشأة عيد الحانوكا في وعى من لم يعرف أسفار المكابيين، لأنها أستبعدت عن اليهودية، صورة مصادر العيد في وعى قرائها.

نحن الذين نعيش داخل تاريخ اليهودية ونشارك في إبداعاتها نتعامل مع صراعات جذورها متأصلة في ذاكرة الماضي وبنمط نعيد من خلاله بلورتها. ويؤثر هذا الإدراك الجديد في عصرنا على المواقف السياسية ليهود إسرائيل وعلى نظرتهم إلى مسيرة السلام، وتحديد حدود الدولة؛ حيث يوجد من بين هؤلاء من يقدر أي مكان يُنسب إليه حدث تاريخي، بينما يرى آخرون في الحدود الدائمة التغيير للاستيطان والمالك اليهودية في الماضي مبررا لتسوية إقليمية مقابل السلام. فالطرفان يعتمد في نظرتهم على الماضي بعيون الحاضر.

يتعلم الأطفال والكبار في كل تيار من تيارات اليهودية التراث الثقافي الخاص باليهودية التي يعيشونها حاليا. هذا ما يحدث في اليهودية الحريدية واليهودية الدينية الصهيونية واليهودية الإصلاحية على اختلاف أنواعها، أو اليهودية العلمانية المتحررة من ديانة الشريعة وتفاسيرها لنصوص من الماضي.

تتحول مشاكل وخلافات وثيقة الصلة بحياتنا المعاصرة إلى منطلقات لدراسة اليهودية وتاريخها. وتؤثر وجهات نظر حول الماضي في طبيعة خلافات ومضمونها مثل: الخلاف حول أحكام يوم السبت، هل هي أبدية أم متغيرة؟، والخلاف حول وضع المرأة في الطائفة وفي الدولة وغير ذلك.

تعد التعددية سمة مميزة لثقافة جماعة اليهود منذ بدايتها؛ حيث ترافق جماعة اليهودي منذ نشأتها التعددية والتصارع بين تيارات الديانة والعقيدة، منذ الحرب الثقافية الأولى في جماعة اليهود. واستمر هذا التصادم بين تيارات العقيدة والديانة المختلفة في اليهودية في العصر الوسيط وعصر النهضة الأوروبية وفترة التنوير اليهودي.

إن التعددية تمثل اعترافا بنظام التعدد في اليهودية بوصفه سمة لثقافة جماعة اليهودي في كل العصور. والتعددية التي تحولت إلى مبدأ موجه في الفكر اليهودي - "هذه وتلك أقوال الإله الحي" - في عصر التلمود تحولت في عصرنا إلى مبدأ مشروع لكل التيارات والآراء والمعتقدات في اليهودية. ولا يمثل أي تيار منها "اليهودية المعيارية" كما أنه لا يشكل أي واحد منها انحرافا عن النموذج المعياري. كما أن اليهودية لا تطابق أي تيار من تياراتها، فإنها تشملها جميعا.

وبناء على هذه الرؤية يمكن التعرف على كل تيار من تيارات اليهودية؛ سماته والمعتقدات والعادات السائدة فيه، وجذوره في تاريخ اليهودية بوصفه ثقافة، وكذلك التعرف على التشابه والاختلاف بينه وبين التيارات التي كانت مهيمنة في ماضيها.

وبما أن التعددية ليست نسبية فهي تشمل رؤية تعددية تجاه اليهودية وأيضا نقاشات حول القيم - تقييمات وأولويات - على أساس قيم إنسانية معاصرة، لفرائض وشرائع وعادات وتقاليده تسود في التيارات المختلفة أو تلك التي سادت بها في الماضي.

وعلى ذلك فتشمل دراسة اليهودية بوصفها ثقافة التعرف على الاختلاف بين تيارات اليهودية والمشارك بينها، كما تشمل أيضا تشجيع الرؤية النقدية لدى الدارس لآراء ووصايا أفعال ولا تفعل - منها وصايا تقديست في التقاليد ولا تضر برجل أو امرأة، ومنها وصايا يرى الدارس أنها تجور على حقوق الأفراد وكرامتهم، وحرثهم وعلى الحد الأقصى من فرص تنمية القدرة الإنسانية المتميزة والكامنة داخل كل واحد منا.

يدرس اليهودية أفراد ذوو معتقدات وآراء تؤثر في رؤيتهم، وتؤثر كذلك في نخبة الإبداعات التي تمثل التيارات المتنوعة في عصر معين في اليهودية. ومن المحتمل أن يكون السعى إلى "حقيقة تاريخية" أمر مشترك بين ذوي الآراء والمعتقدات المختلفة وذلك عندما يتجاهلون كل حظر ونهى مفروض حول البحث في المصادر والوثائق وبالنسبة التي يعترفون فيها بكل تيار فاعل في اليهودية وبأنه جزء لا يتجزأ منها، حتى وإن كانوا يرفضون الفرائض والعادات المألوفة التي تميزه.

### موجز تاريخ التعددية في اليهودية

تظهر التعددية في ثقافة اليهود في كل فترة من فترات تطورها منذ نشأة اليهودية وحتى انتشار الحركات المتحررة من ديانة الشريعة، وتتجلى في التنوع المتعدد للإبداعات الأدبية والتاريخية والفنون التشكيلية والصلوات والإبداعات الفكرية والبحثية. ويحدث تعدد للتيارات والحركات المتصادمة في اليهودية في كل عصر داخل اليهودية الواحدة. وتتطور ثقافة جماعة اليهود وتثرى من التعدد والتناقضات التي بها عبر ثلاثة آلاف عام على الأقل.

وفي فترة تكوين الشعب والانقسام إلى مملكتين وتأسيس اليهودية يتصارع في اليهودية الإيمان بالاله مجرد والإيمان بالاله مجسد، أو ممثل في تمثال عجل من الذهب. ويتواصل الخلاف والتناقضات في فترة المملكتين<sup>(١)</sup> بسبب إقامة تمثال عجل ذهبي في مراكز عبادة يهوه في مملكة الأسباط العشرة.

(١) المملكتين: بعد موت سليمان الملك انقسمت مملكته إلى مملكتين: المملكة الجنوبية يهودا وكانت تضم سبطي يهودا وبنيامين، وهما السبطان اللذان بايعا رجوعا، بينما بايعت الأسباط العشرة الباقية بربعام ملكا على الجزء الشمالي الذي سمي بمملكة إسرائيل.



وتنتشر في اليهودية منذ فترة احتلال أسباط بنى إسرائيل لأرض كنعان ديانات الكنعانيين وبخاصة ديانة عشترت<sup>(١)</sup> وديانة أشيرا<sup>(٢)</sup>، وديانة البعل<sup>(٣)</sup> والمولوخ<sup>(٤)</sup>. وعاشت تلك الديانات المؤمنة بتعدد الآلهة في اليهودية وفي ثقافة شعب اليهود في مملكته، بجانب ديانة التوحيد، وأحيانا بدلا منها، مثلما في الفترة التي تحولت فيها ديانة البعل وعشترت إلى الديانة الرسمية في مملكة الأسباط العشرة.

كان سلمياني أول ملك اعترف بإمكانية تعدد إقامة شعائر لآلهة كثيرة في الثقافة اليهودية بسلام. وبنائه هيكل لآلهة كثيرة في عاصمة المملكة اليهودية الأولى تحولت القدس إلى العاصمة الأولى للتوحيد وعاصمة التعددية الأولى أيضا والتي يوجد بها أيضا هيكل لديانة التوحيد. وكان هذا جزءا من عملية ضمان السلام مع الشعوب والقوى الكبرى التي وراء حدود الدولة الجديدة. وصارت المعارضات المتنوعة على حكمه داخل مملكته - بسبب عبء الضريبة التي فرضها - أساسا لمعارضة أنبياء يهوه على تعدد الهياكل

(١) عشترت: هي إلهة شعبية انتشرت عبادتها في العالم القديم كله. وهي إلهة الحب والحرب معا. وقد ذكرتها أسفار العهد القديم بالصفتين معا: الأولى حيث توقع أسلحة شاؤول وأبنائه التي غنموها في الحرب في معبد الإلهة ووضعوا سلاحه في بيت عشترت وسمرها جسده "صموئيل الأول ٣١: ١٠"، وكان سلمياني عليه السلام يقدها - حسب ماورد في العهد القديم - بالصفة الثانية وبنى لها معبدا شرق القدس فقد "أحب الملك سلمياني نساء غريبة كثيرة فأمالته نساؤه وراه آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب فذهب سلمياني وراء عشترت فغضب الرب على سلمياني لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل .. لأنهم تركوني وسجدوا لعشترت" سفر الملوك الأول ١١: ٤ و٥ و٣٣.

للمزيد انظر: جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب القديمة. ترجمة د. إمام عبدالفتاح إمام. عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت. عدد ١٧٣. ص ١٧.

(٢) أشيرا: وهو اسم الإلهة "أثرت" زوجة الإله "أل" رأس آلهة الكنعانيين وقد ذكر اسمها في التوراة باسم أشيرا. وكما زوجها "أل" خالق الخلق، فكذلك هي خالقة الآلهة. وكانت ذات كلمة مسموعة عند زوجها. وكذلك كان أصحاب الحاجات يلتمسون وساطتها لديه وكانت وساطتها دائما ناجحة. انظر: سبتيو موسكاتي: الحضارات السامية القديمة. ص ٢٤٣.

(٣) بعل: كان بعل أبرز الآلهة الكنعانية، وكلمة بعل اسم عام الأصل معناه "سيد"، ولهذا أمكن إطلاقه على آلهة مختلفة، ولكن بعل الأكبر كان إله العاصف والبرق والمطر والإعصار.

انظر: سبتيو موسكاتي: الحضارات السامية القديمة. ص ١٠٠.

(٤) مولوخ: إله كنعاني كان يعبد عن طريق تضحية الأطفال على مذبحه بتمريرهم في النار.

التي أقامها سليمان وانفتاحه على تأثيرات ثقافات الجيران وفنهم. وقد عين نبي يهوه "يربعام بن نبط" ليكون على رأس التمرد ضد سليمان وأكد له أن هذه هي رغبة الإله.

تأتى معارضة اتجاهات التعددية تلك من دوائر المعارضة الصغيرة نسبياً لأنبياء يهوه، والذين ظلوا يؤمنون بخصوصية إله إسرائيل وحاربوا كل ظاهرة شرك. وتطورت التعددية الدينية في اليهودية بتشجيع مؤسسة الحكم الملكية وبمشاركة كهنة وأنبياء يهود قام بتشغيلهم بلاط مملكة إسرائيل.

كما يعارض محررو العهد القديم أيضاً هذه التعددية الدينية والثقافية في ملاحظاتهم على النصوص (كما في سفر القضاة، والملوك وفي أسفار أخرى) ولكن لم تمنعهم معارضتهم الصارمة للتعددية الدينية التي هيمنت على اليهودية من إدراج وصف تفصيلي لتعدد الآلهة والشعائر الدينية في يهودية عصرهم - والذي يصف ثقافة الشعب في كتاب العهد القديم.

ويتحول التناقض بين الإيمان بتراث تاريخي واحد وبين تعدد معتقدات دينية وأخلاقية في اليهودية إلى حقيقة في فترة ثلاثة هيكل يهوه الأولى - في القدس وفي بيت إيل وفي بدان. والتي تسمى فترة الهيكل الأولى.

### الانقسام في يهودية العصر الهلينستي وفترة الهيكل الثاني

تنقسم اليهودية في فترة الهيكل الثاني<sup>(١)</sup> إلى يهودية هلينية ويهودية ربانية، إلى يهودية فلسطين ويهودية بلدان العالم الشرقي والغربي. وتظهر في جموع اليهودية تيارات وفرق تتصارع فيما بينها وتكرر كل واحدة الأخرى داخل اليهودية الواحدة؛ حيث صدوقيون وفريسيون وأسانيون ومسيحيون يهود، ويهود منفتحون على ثقافة الغرب ويسميهم معارضوهم "متأغرقيين" ويهود منزوين عن الثقافة الهلينستية لكنهم متأثرين بها (انظر

(١) الهيكل الأول والهيكل الثاني: ومرحلة الهيكل الأول، تبدأ مع بناء الهيكل في عهد سليمان عام ٩٦٠ ق.م أو قبل ذلك بقليل (مع بداية مؤسسة المملكة العبرانية عام ١٠٢٠ ق.م أو باعتماد داود سدة الحكم عام ١٠٠٤ ق.م)، ثم تنتهي بسقوط المملكة الجنوبية عام ٥٨٦ ق.م. أما مرحلة الهيكل الثاني، فتبدأ عام ٥١٦ ق.م مع عودة اليهود من بابل إعادة تشييد الهيكل، وتنتهي بتحطيم تيتوس له عام ٧٠ ميلادية.

ليرمان حول تأثير ثقافة اليونان على حاخامات التلمود، وانظر الموزيكو والصور الجبسية في المعابد، وانظر طراز المدينة على جبل الهيكل وساحة التدريب وميدان سباق الخيل).

عقب تدمير الهيكل الثاني في القدس وتقويض المملكة اليهودية انهارت مؤسسة الحكم الملكية والكهنوتية، وبدلاً منها تطورت المعابد والطوائف والمؤسسات الربانية والقيادات المحلية في فلسطين والبلدان التي تتحدث وتبدع باليونانية والآرامية واللاتينية.

واصل خلال الألف الأول من الميلاد في العصر الهلينستي البيزنطي في تاريخ اليهودية، حاخامات التوراة الشفهية إصلاح الديانة والعقيدة اليهودية والشريعة والعادات في المؤسسات وفي الأعياد. ونجد مناقشاتهم وفتاواهم مكتتزة في المشنا والجمارا<sup>(١)</sup> والأدب المصاحب لهما. إنهم يطورون الشريعة بنقاشاتهم وبآراء الأغلبية منهم، ويبدعون أدبا ثريا من القصص والأساطير الصوفية، ويطورون واقعا أسطوريا حول الآخرة، الحياة بعد الموت، حيث بلاط مُلك ملك الملوك الذي في السماء، وكائنات ملائكية وإلهية، وجنة عدن المنتقلة من بداية التاريخ إلى نهايته، وجهنم لتعذيب الذين يتسمون بالقسوة المطلقة وعدم الرحمة (لا يوجد ذكر لكل هذا في العهد القديم والمعتقدات السائدة به).

تتطور في العصر الهلينستي آداب يهودية تمثل تيارات يهودية مختلفة، مثل: أدب اليهودية الهلينية<sup>(٢)</sup> (يشمل فيلون، فلافيوس، مجزقال همحزاي، أسفار المكابين، إبداعات

(١) الجمارا: لفظة آرامية تعنى التكملة أو الخاتمة، والجمارا هي نتاج "الأمورائيم" أي الشراح (٢١٩-٥٠٠) الذين شرحوا أبواب وفصول المشنا التي كتبها جيل "التنائيم" أن أن الجمارا هي عبارة عن شرح وتفصيل لما جاء في المشنا، كما يلاحظ أن الجمارا كتبت بالآرامية الخالصة.

(٢) اليهودية الهلينية أو التيار الهلينستي: هو تيار ظهر بين اليهود أثناء حكم الإغريق لفلسطين، حيث قام الملك انتيوخوس الرابع العمل على تأكيد سلطانه على كافة الولايات التابعة له. ورأى أن ذلك يتم بتوحيدها جميعا تحت راية الثقافة الهلينية؛ وذلك بإرغام الأهالي على عبادة الآلهة اليونانية، واتباع كافة العادات والتقاليد الخاصة بها. وقد لقيت دعوة انتيوخوس الرابع باتباع الثقافة الهلينية استجابة عدد كبير من اليهود الذين رحبوا بها، وبدأوا في عبادة الآلهة اليونانية، وبناء الملاعب والمدن على نفس الطراز اليوناني، فاتشرت المدن الرياضية على الطراز اليوناني في يهودا والقدس وكان المواطنين يقضون فيها أوقاتا طويلة وأهمل الكهان الصغار دروسهم الدينية كنتيجة طبيعيه للانصراف عنها. وأصبح الشائع هو اتباع الأسلوب اليوناني في

شعراء وأدباء) وأدب اليهودية الربانية (مشنا، تلمود، مدراشيم) وأدب اليهودية المسيحية (أقسام من العهد الجديد قبل أن تفصل المسيحية عن اليهودية) وأدب فرق الصحراء (لغائف البحر الميت).

### أنواع التعددية فى يهودية العصر الوسيط

زاد فى العصر الوسيط الانقسام بين التيارات اليهودية الطائفية التى تنمو فى مراكز جغرافية وثقافية مختلفة فى القارات الثلاث - أفريقيا، وآسيا وأوربا. ونمت فى مناطق منفصلة عن بعضها البعض داخل كل قارة تيارات يهودية لها خصوصيتها ومختلفة عن بعضها البعض، مثل يهودية بنى إسرائيل فى جنوب الهند، ويهودية اليمن، ويهودية الصين، ويهودية أثيوبيا، ويهودية القوقاز وعلاقتها مع مملكة الخزر، ويهودية شرق أوربا التى نشأت عن لقاء مهاجرين يهود من ألمانيا ومن مناطق سلافية وخزرية، واليهودية الأسبانية والبرتغالية وغيرها.

وأضيف إلى الانقسام الطائفي فى العصر الوسيط الانقسام الفكرى الدينى: ففى مقابل عقلانيين مغالين يؤمنون بإله خاص ومجرد (مثل موسى بن ميمون فى كتابه "موريه نفوخيم" "دليل الحائرين") تنتشر تأثيرات القبالة والتصوف فى حركات كبيرة فى اليهودية - مثل حركات الحسيدية والمعارضين لها. وتشجع الحركات المسيحانية بأنواعها - هرؤبين، شبتاي تسفى، فرنك - التمييز بين الشعب وديانة الشريعة، وتضع أساسا للفكر الصهيونى المعادى للمسيحانية. ويواصل بجانب اتجاه إقرار الشريعة فى نظام تشريعات وأحكام (من كتاب مشنه تورا<sup>(١)</sup> "تثنية التوراة لموسى بن ميمون وحتى كتاب

الملايس، وانتشر شراب الخمر، وأكل لحم الخنزير، وأصبح اليهود يسمون بأسماء يونانية. وأطلق على أصحاب هذا التيار اليهود المتأرقون.

للمزيد انظر: منى ناظم الدبوس: أضواء على تاريخ اليهود من القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن الثانى الميلادى. ص ٣٦ : ٣٨.

(١) مشنه تورا: ألف موسى بن ميمون كتاب "مشنه تورا" ويعنى بالعربية إعادة الشريعة وهو من أهم الكتب الخاصة بالفقه الإسرائيلى. وقسمه إلى أربعة عشر جزءا، صاغ فيها كل أحكام التلمود والمشنا والتوراة

شولحان عاروخ "المائدة المرتبة" ليوسف كارو<sup>(١)</sup> وتفاسير يسرائليس) كثيرون الإيمان بالمبدأ التلمودى "هذه وتلك أقوال الإله الحى" ومواصلة تطور الشريعة. وفي مقابل معتقدات قبالية (لوريا) حول واجبات الحفاظ على الفرائض، وإصلاح العالم وتقديم الخلاص، نجد إيمان قوى بالعرفان والتنجيم وبتجسيم الإله وبكتاب "شعور قوما" (قامة مديدة).

### الاندماج فى ثقافات الشعوب فى عصر النهضة الأوربية والتنوير اليهودى

تتطور مسارات التحرر من عبء الفرائض ومن سلطة حاخامات الطوائف على فترات وفى المناطق التى عاش بها اليهود وبها ثقافة النهضة الأوربية والتنوير. واندماج يهود إيطاليا أثناء فترة النهضة الأوربية فى ثقافة جيرانهم مع الحفاظ على يهوديتهم. وعادت أثناء فترة التنوير اليهودية فى هولندا جماعات "المسيحيين الجدد" إلى اليهودية (المتنصرون قهرا فى أسبانيا والبرتغال) وأخذوا يتصارعون مع المفكرين المطورين لرؤية جديدة فى اليهودية والمنفصلين عن التقاليد المحافظة التى تؤمن بأن الإله كتب العهد القديم وأنه يجب النظر إليه على أنه شخصية منفصلة عن الطبيعة (سبينوزا والمذهب الحلولى<sup>(٢)</sup>).

بأسلوب عبرى سهل واضح ودقيق. وقد اشتهر باسم "يد" لأن الياء تساوى عشرة والداد أربعة، مما يرمز إلى الأربعة عشر جزءا التى يتألف الكتاب منها. ثم ذاع صيته بعد هذا باسم "يد حزاقه" أى "اليد القوية". انظر: د. حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى "أطواره ومذاهبه". ص ١٠٤ - ١٠٥.

(١) يوسف كارو: هو إيطالى عاش فى القرن السادس عشر. وفى اتجاه معاكس للتصوف، أخذ يوسف كارو سنة ١٥٥٥ يصنف دليلا للحياة مبنيا على قوانين التلمود وشروحه. ونشره سنة ١٥٦٧ وأسماه "شولحان عاروخ" (أى المائدة المرتبة) وكان هذا الكتاب بمثابة قائمة يرجع إليها فى كل كبيرة وصغيرة، من قبل الرجال والنساء والأطفال فى كل ما يخص أمور الحياة، فهو تلمود مصغرا لا يقبل الجدل ولا المخالفة ولا التفسير. وقبله اليهود كأنه مفتاح الخلاص وعذروا أنفسهم من عناء البحث والدرس، بل من عناء الفهم لدينهم وقانونه وراحوا يقيسون كل كبيرة وصغيرة بهذا المختصر المسهل. فأصبح تفكيرهم ميكانيكى لا حياة فيه. وأصبحت حياتهم جافة لا قيمة فيها سوى المادة والبيولوجيا.

انظر: د. إسماعيل راجى الفاروقى الملل المعاصر فى الدين اليهودى. ص ٢٢.

(٢) المذهب الحلولى مذهب يعتقد أصحابه بأن الله يحل فى كل مكان فى الطبيعة.

تجلى مسارات العلمنة لدى اليهود في تيارات فكرية وعقدية جديدة بداية من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في يهودية الشرق والغرب وذلك في فترة التنوير والهجرة الجماعية إلى المدن الكبرى بأوروبا وأمريكا. وتشكل اليهودية المتحررة من ديانة الشريعة والمعتقدات الإلحادية في القرن التاسع عشر جزءا من مصادر الإلهام الأساسية للإبداع اليهودى في كل المجالات. وتنشط في مقابلها تيارات أرثوذكسية دينية محافظة، ماثلة للصدوقيين والقرائيين المؤمنين بمبدأ "الجديد محظور من التوراة".

وظهرت بجانبها حركات إصلاح في الديانة اليهودية - بداية "الإصلاحيون" وبعد ذلك "المحافظون" في أوروبا وأمريكا.

تحول اليهودية في القرن العشرين - الدينية والعلمانية على حد سواء - أكثر فأكثر إلى يهودية مؤمنة بنظام التعددية إلى أن عُرِفَتْ بأنها ثقافة للشعب وليست ديانة له. وبدأت اليهودية الأمريكية تتسم بالتفرد بوصفها طائفة جديدة في اليهود، وأصبحت أكبر طوائفه. وتطورت اليهودية الإسرائيلية سريعا بوصفها ملتقى لكل الطوائف بإسرائيل، من كل القارات والتيارات الدينية والعلمانية، وبوصفها مركزا روحانيا ثقافيا وتعليميا لليهود (في نهاية القرن العشرين يتعلم في إسرائيل معظم الشباب اليهودى في العالم وعمرهم أقل من سن الثامنة عشر).

تطورت اليهودية الإسرائيلية من خلال الصهيونية العلمانية وإحياء العبرية كلغة حديث وإبداع إعلامى في كل وسائل الإعلام، علاوة على هذا فهى تمثل اليهودية والتى تزداد تلاشيا في الخارج من الناحية العددية ومن ناحيه كونها دافعا لتعلم اليهودية. ومعظم اليهودية في عصرنا اليوم ليست دينية بالمعنى الذى يعرف به المتدينون الديانة اليهودية. فمعظم اليهود لا يحافظون على الفرائض ولا يترددون بانتظام على المعبد، ولا يدعون الإله ولا يصلون له، ولا يعلمون أبناءهم وفقا للديانة اليهودية. غير أن تنوع الحركات الدينية في اليهودية مستمر ويزداد، ويستمر ويتأكد طابع التعددية سويا مع التيارات اليهودية العلمانية.

## تنوع الإبداعات يمثل كل عصر فى الثقافة

تعرض مجموعة الإبداعات التى جمعت فى العهد القديم آراء ومعتقدات متنوعة، وتصف أنماط حياة وشعائر وآراء دينية متنوعة قد سادت بين عامة اليهود والزعماء والملوك والكهنة وأنبيائهم.

وتمثل مجموعة النصوص الواردة فى العهد القديم كل الأنواع الأدبية المعروفة فى الأدب الغربى المعاصر: نثر وشعر ملحمى وغنائى، ودراما، ومقال فلسفى شعرى، وتاريخ، ووصف للشعائر الدينية والعادات، وأنماط الحياة اليومية، والأعياد وإبداعات الفن التصويرى فى المعابد وفى الميادين العامة وفى القصور والهاياكل والتشريعات، ووصف الطقوس والإبداعات البلاغية النبوية.

تعبر التناقضات بين الآراء والمعتقدات التى تتجلى فى مجموعة نصوص العهد القديم عن إيمان وكفر بعدالة الإله، إيمان وكفر بخصوصية يهوه وآراء متناقضة حول العلاقة بين الإثم والعقاب، وآراء مختلفة حول تفضيل العدالة الاجتماعية على التمسك بفرائض الديانة، وتكشف عن الظلم الواقع على المرأة فى المجتمع اليهودى وآراء متناقضة حول حقوق الحاكم على رعاياه، وماهية العهد بين الشعب وإلهه.

تُعرض فى مجمل إبداعات العهد القديم الفترة التاريخية الثقافية الأولى فى تاريخ شعب اليهود - منذ نشأته من ذرية أسرة واحدة ينتسب إليها الكثير من شعوب مختلفة، حتى تدمير هياكل يهوه الثلاثة فى المملكة، ودمار مملكتى اليهود، المتجاورتين، ونفيه وعودة قسم صغير من اليهود من بلاد ما بين النهرين إلى يهودا تحت حماية الإمبراطورية الفارسية، وبداية تأسيس كيان يهودى مستقل فى القدس وحولها بجانب كيان يهودى سامرى فى نابلس وما حولها.

وعلى الرغم من عدد الأسفار القليل المدرج فى أنتولوجيا العهد القديم يستطيع القراء التعرف على مجمل ثقافة اليهود فى الفترة المذكورة والتيارات المختلفة التى تصارعت فيها، والفنون التى ابتكرت بها، وتأثيرات الثقافات الأخرى على الحياة والإبداع فيها، والتحويلات الجذرية التى طرأت على أنماط حياة اليهود خلال مئات السنين التى تنتمى إليها الأعمال الواردة فى العهد القديم.

يتضح على ضوء البحث والاكتشافات الأثرية المعاصرة أنه لا يجب بالضرورة النظر إلى المكتوب في العهد القديم على أنه تقارير تاريخية موثوق بها لأحداث قد وقعت بالفعل في المكان والزمان المشار إليهما. ومثل كل مجمل الإبداعات الأدبية تعرض أيضا إبداعات العهد القديم واقعا تاريخيا يستمد منه الأدباء عناصر نتاجهم الأدبي. ومثل مجمل الإبداعات فهي تعرض واقعا تاريخيا قد تشكل في ذاكرة اليهود الجمعية، وأصبح عنصرا تاريخيا مؤثرا في ثقافته، وأحيانا أيضا في حياته الاجتماعية وسياسة زعمائه.

ومن كل تلك النواحي فمن المحتمل أن العهد القديم بحسب ادعاء "بيالك" يُستخدم نموذجا ساميا لمجموعات مشابهة لنخبة من الأعمال التي تمثل الفترات الأخرى في تاريخ الثقافة اليهودية. وتُعرض كل فترة من خلال نخبة مؤلفات يهودية تضم كل الأشكال والتيارات والطوائف والفرق والحركات يهودية الموجودة في تلك الفترة.

## التحولات المستمرة في اليهودية

تظهر في اليهودية في كل عصر من العصور معتقدات وشعائر وعادات وتقاليد وطقوس أعياد ومواقيت جديدة لدورة الحياة، كما تظهر رؤية جديدة إلى الإبداعات الكلاسيكية وقداستها أو إلى اللغات اليهودية ولغات الشعوب ودورها في اليهودية وإلى صورة أبطال التاريخ والأدب الكلاسيكي بما فيهم الإله. وتضاف تلك الأشكال والمضامين الجديدة إلى ثقافة اليهود، لكنها لاتأتي دائما عوضا عن أشكال ومضامين قديمة راسخة فيها لأنها تقديست في نظر بعض من الشعب.

عندما حرم الحاخام جرشوم التزوج بامرأتين على شعب إسرائيل قبل أكثر من ألف عام، استمر كثير من اليهود في التزوج بامرأتين وكأنه لم يحدث تغيير جذري في مفهوم الأسرة. وعندما عينت النساء في منصب حاخامات ومرتلات في معابد حركة الأغلبية في اليهودية الدينية (الإصلاحيين والمحافظين)، وبدأت اليهودية العلمانية في تعيين نساء في وظائف قضاة شرعيين وقضاة في كل الدرجات، استمرت طوائف اليهود الأرثوذكس في حرمان النساء من تقلد مناصب حاخامات أو مرتلات أو قضاة شرعيين. وعندما أعلن فلاسفة يهود مثل موسى بن ميمون أنهم يؤمنون بإله مجرد من كل محسوس



ومن كل تصور إنساني استمر يهود آخرون في الإيمان بإله ذو شخصية إنسانية يجلس على عرش ملكه ذو "قامة مديدة"، ويمكن قياس أعضائه التي تشبه أعضاء جسم الإنسان.

كل شيء يتغير في اليهودية، لكن التغيرات تتراكم بجانب القديم المخزون - معتقدات وعادات حديثة موجودة بجانب معتقدات وعادات قديمة. وهذا التركيب هو أساس التعددية في ثقافة اليهود. واليهودية غير مستوفاة ولم تستنفد مطلقا بنظام ثابت من الشرائع والقوانين والعادات والمعتقدات. حيث مر كل قانون وعراف ومؤسسة ونمط حياة وشعائر دينية في اليهودية، ولا يزال يمر بتغيرات بعيدة المدى في الثقافة اليهودية وفي تيارات الديانة اليهودية التي بها.

لقد حلت التحولات في اليهودية في القطاعات المختلفة لليهود عبر أزمنة مختلفة وبمعدل مختلف. وتم تسريع التحولات في اليهودية عندما تحولت الديانة اليهودية من ديانة قرايين وهياكل إلى ديانة معابد وصلوات. وجلب هذا التحول في أعقابه لامركزية مغال فيها بعيدة المدى، وشجعت تغيرات قد حلت في طوائف معينة وليست في أخرى. ولقد أبدع اليهود في ظل تأثيرات البيئات المختلفة التي عاشوا فيها.

وتتجلى في الذاكرة الجمعية لليهود والمكونة في العهد القديم تلك التغيرات في فترة الترحال في الصحراء. حيث كانت خيمة اجتماع هارون وتمثيله مختلفة تماما عن خيمة اجتماع موسى والتي لم يكن بها مذبح أو قرايين أو كهنة. وكان هيكل يهوه الذي بناه سليمان، وبه تماثيل لها وجه إنسان وأجنحة ضخمة في قدس الأقداس<sup>(١)</sup>، مختلفا عن هيكل يهوه التي وضع في وسطها تماثيل العجل في بيت إيل وبدان. وكان الهيكل الثاني في القدس مختلفا عن سابقه فقد مر بتغيرات كثيرة مبالغ فيها عندما بنى مجددا على يد هوردوس. حيث كثرت الصور والإبداعات الفنية المتنوعة والتميزة مع تعدد المعابد التي

(١) قدس الأقداس: أقدس الأماكن في الهيكل اليهودي، وهو عبارة عن حجرة بدون نوافذ تقام على مستوى أعلى من بقية الهيكل، وتحتوى على تابوت (تماما مثل قدس الأقداس في خيمة الاجتماع) وكان الاعتقاد السائد أن روح الله تحل في هذا التابوت. وكان لا يدخل قدس الأقداس سوى كبير الكهنة في عيد يوم الغفران ليتفوه باسم الخالق "يهوا" الذي لا يمكن لأحد التفوه به في أى مكان أو زمان.  
انظر: غازي السعدي: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود. ص ٦٩.

بُنيت في فلسطين وفي خارجها - كما بدأ بوضوح في الاختلاف بين رسومات الحائط والمرأة العارية التي تنتشل موسى من النهر في معبد منطقة دورا إيروفوس وبين الصور المتنوعة مع علامات النجوم وعناصر من الأسطورة اليونانية في المعابد التي في فلسطين.

مرت المعابد نفسها بتحويلات جذرية مما زاد الخلاف والتعددية في ثقافة اليهودية. ففي البداية لم يكن فيها فصل بين رجال ونساء، ولم تضم مقصورة خاصة بالنساء (طبقاً لتقاليد الهيكل) وبعد مرور قرون ظهر في بعض منها مقصورات نسائية وبمرور قرون أخرى اختفت من معظم معابد اليهود في العالم المقصورة النسائية. وحالياً يقف الرجال والنساء في بعض المعابد متقابلين يغنون ويرقصون صحبة على رنين أدوات أو جوقة موسيقية مرافقة للصلاة والإنشاد في السبت والأعياد (كما كان في تقليد المعبد)، ويقابلها معابد بها نساء موجودات وراء حائط يفصلهن عن القاعة التي بها التوراة والجمهور المحافظ على طهارة الجنس الذكرى، وتجري الصلوات بدون مصاحبة موسيقية وجدران المعابد خالية من الصور ومن الإبداعات الفنية.

تنوعت في عصرنا مجدداً الإبداعات الفنية التصويرية أو التجريدية في المعابد ودور العبادة اليهودية في إسرائيل والعالم بكثرة. ويتدفق أيام السبت الآلاف إلى مراكز التجمعات في مئات المتاحف الموجودة في إسرائيل للاستمتاع بإبداعات فنية يهودية وغير يهودية، وكأنه لم يحرم مطلقاً رسم ونحت تماثيل لشخصيات إنسانية بين دوائر معينة في اليهودية.

لقد طرأت تحولات في طبيعة التيارات المتصارعة في اليهودية وفي المعتقدات المتنوعة التي تطورت في اليهودية تقريباً في كل موضوع متعلق بالثقافة والديانة اليهودية؛ مثل: الاعتقاد السائد في العهد القديم باقتصار الحياة على هذا العالم، والإيمان بالمسيح المخلص والعناية الإلهية وبكيان الإله، وبدولة الشريعة وبضرورة التمسك بالفرائض، وبنمطية الاحتفال بالأعياد، ومغزاها من ناحية الشكل والمضمون.

تطورت في ثقافة اليهود تيارات دينية وعلمانية كثيرة، وكل واحد منها يمثلها بطريقته الخاصة به؛ كما مثلها المذهب العقلاني المغالي لموسى بن ميمون، والمذهب الصوفي لموسى بن نحمان والمذهب الحثولي لسبينوزا.

بدأت التغيرات السريعة والجارفة في تشكيل يهودية متجددة مع انتشار القيم الإنسانية العلمانية والمعتقدات اللاأدرية<sup>(١)</sup> والإلحادية التي تحولت إلى عناصر سائدة في يهودية العصر الحديث وإلى جزء لا يتجزأ من ثقافتها، بجانب تاريخ التيارات الدينية التي بها.

أدت التغيرات المفرطة في نظم التعليم في اليهودية غالبية الشباب اليهود إلى ترك المدارس الدينية والانتقال إلى نظم تعليم غير دينية في إسرائيل والخارج.

ولقد ساعدت طلائع التعليم المتحرر من ديانة الشريعة (مثل منظمة الإليانس<sup>(٢)</sup>) في بلدان البحر المتوسط، ومدارس "تربوت" العبرية ومدارس "تسشا" اليديشية في أوروبا، وبخاصة نظام التعليم العلماني في إسرائيل، والذي يدرس فيه اليوم معظم الشباب اليهودي بالعالم) على التغيير وعجلت به. وانضم مثقفو الطوائف التي عاشت في دول عربية، من العراق حتى المغرب، إلى دوائر المبدعين اليهود باسثناء مجالات الثقافة الدينية، وانضم بعضهم إلى طبقة المثقفين العلمانية اليهودية في العالم والتي تتحدث وتبدع بلغات أوروبا وتدرك الكلاسيكية العالمية وتعلم أبناؤها روح الانفتاح على الغرب. ونشط أدباء يهود علمانيون من بلدان تتحدث العربية في ثقافات أوروبا بجانب أدباء وفنانين يهود من شرق وغرب أوروبا وأمريكا.

وفي الوقت نفسه استمرت نظم التعليم اليهودية الدينية في الحفاظ على أشكال ومضامين تعليمية قدستها تقاليد عمرها قرون وتجاهلت التغيرات التي طرأت على يهودية العصر الحديث. وتواصل اليهودية الحريدية إقامة مدارس دينية للأطفال والصبية الذكور، والتي حظيت بازدهار غير مسبوق في تاريخ التعليم عند اليهود بخاصة في

(١) اللاأدرية مذهب يقول بأن أصل الكون بما في ذلك وجود الله وطبيعته لا سبيل إلى معرفته خارج مدارك الإنسان وحواسه وعقله.

(٢) الأليانس: كلمة فرنسية تعني التحالف. والأليانس الإسرائيلي الدولي تنظيم يهودي تأسس في باريس عام ١٨٦٠ بهدف الدفاع عن التحريات المدنية والدينية لليهود وتنمية المجتمعات اليهودية المختلفة عن طريق التعليم والتدريب المهني وإغاثة اليهود في الأزمات. وقد أسس التحالف شبكة تعليمية واسعة في آسيا وشمال أفريقيا وفلسطين.

إسرائيل العلمانية، وبفضل قوة الأقلية الحريدية يحصل معلمو وتلاميذ المدارس الدينية الحريدية على رواتب وإعفاء من الخدمة العسكرية في الجيش وذلك عن طريق الضغط على الأحزاب العلمانية. وذلك رغم من كون الحريدين أقلية صغيرة في اليهود. وقربت نظم التعليم غير الدينية التي بالعبرية واليديشية والألمانية وبالإنجليزية آلاف الشباب إلى أفكار حركة التنوير اليهودية وقوت مسارات العلمنة في ثقافة اليهود، وخلقت جسورا بينها وبين ثقافات الغرب وعجلت مسارات التغيير في اليهودية في إسرائيل وفي العالم على حد سواء.

### لا يجب أن يُقال "تقول اليهودية" كما لا يجب أن يُقال "يقول العهد القديم"

يوجد في اليهودية، كما في العهد القديم، تشكيلة آراء ومعتقدات مختلفة، متناقضة أو تنكر بعضها البعض وعلى ذلك لا ينبغي القول: "تقول اليهودية" بل نقول "في اليهودية"، كما لا ينبغي القول "يقول العهد القديم" بل نقول "في العهد القديم".

واليهودية هي ثقافة تؤمن بنظام التعددية وليست أيديولوجية مصنوعة من كتلة متجانسة، ولا يمكن أن ننسب مواقف في موضوع ما لمجمل اليهودية، أو لمواقف تمثل اليهود كلهم، كما أنه لا يمكن أن ننسب مواقف كتلك لمجمل العهد القديم.

الذين ينظرون إلى اليهودية بوصفها ثقافة متطورة لليهود لا ينسبون إلى تاريخ اليهود مدلولاً مثالياً أو دينياً، وكأنه موجه لهدف مسيحاني أو إلهي. وطبقاً لهذه الرؤية فتاريخ اليهود يمثل نفسه. ومثل تاريخ أى شعب في العالم يوجد عوامل وأسباب أدت إلى تطورات في هذا الشعب. كما أنه ليس له هدف محدد مسبقاً. ويشكل التاريخ الخاص باليهود خصوصية للشعب، تماماً مثلما تشكل السيرة الذاتية خصوصية لكل إنسان.

يسعى علم تاريخ اليهود المعاصر إلى رسم صورة لما قد حدث في الواقع وليس لما مقدر له أن يحدث. وقال "برجسون" عن "بوذا": كان رجلاً رائعاً فلم يسمح مطلقاً لفكرة أن تقف بينه وبين الواقع. وتاريخ اليهود ليس تطبيقاً أو تعبيراً لفكرة، بل صورة لتطور مجموعة أحداث وإبداعات تشكل معاً تاريخ ثقافة متعددة التناقضات والتي عاش بها يهود طوال أكثر من ثلاثة آلاف عام.

يعتمد السعى لوصف ما حدث في الواقع على وثائق متقاطعة وعلى إبداعات أدبية وفنية تتحول بعد وقوع الحادث إلى وثائق تاريخية يسهم بعضها في خلق الصورة التاريخية. ويمكن من خلال تلك الصور ملاحظة التعددية التي تتجلى في ثقافة اليهود دون أن ننسب لأي من تعابرها استفادا إجماليا لما قد يظهر.

## تعدد التيارات في اليهودية

توجد في اليهودية تيارات كثيرة: طائفية وإقليمية ودينية وأيديولوجية. وتنضم إبداعات كل تيارات اليهودية إلى مجمل ثقافة اليهود. وتعيش التيارات المختلفة في اليهودية بجانب بعضها البعض، وأحيانا مناقضة لبعضها البعض.

تؤثر التيارات ذات الاتجاهات الدينية والأيديولوجية على نمط حياة أفرادها وتمسكهم بالفرائض، وتؤثر في بعض الأحيان أيضا على الملبس واللغة والعلاقات الجنسية والأسرية والتعليم والانضمام إلى معسكرات سياسية. وتبرز تباينات كتلك في الفجوات التي بين اليهودية الحريدية واليهودية العلمانية واليهودية الدينية الصهيونية، واليهودية الدينية الإصلاحية، واليهودية القرآنية واليهودية السامرية واليهودية الإنشائية... إلخ.

كما تعيش في اليهودية أيضا تيارات قطرية مختلفة عن بعضها البعض في ثقافتها ونمط حياتها، وأحيانا في لغة الحديث وصيغ الصلاة والشعائر، ونظرتها إلى التيارات الأخرى وإلى ثقافات الشعوب التي تعيش بها، مثل: "اليهودية الأمريكية" و"اليهودية البولندية" و"اليهودية الإسرائيلية".

ويتطور مجمل ثقافة اليهود عقب لقاء كل التيارات الموجودة في اليهودية فيشمل كل تشكيلة الإبداعات التي تمثل تلك التيارات المختلفة. وتمثل ثقافة اليهودية البولندية الشرق أوروبية جزءا فقط من اليهودية، وهي مختلفة وبعيدة تماما عن ثقافة الطوائف اليهودية القابعة في سواحل البحر المتوسط، وفي شبه الجزيرة العربية، أو شبه الجزيرة الهندية، وفي شرق أفريقيا أو في شمال أمريكا. وتختلف كل تلك تماما عن ثقافة اليهودية التي تتطور في إسرائيل بوصفها ناتجة عن ملتقى كل أبناء الطوائف والتقاليد في دولة قومية واحدة.

وتحيا الأقلية الفلسطينية في إسرائيل التي تشكل حوالى خمس سكان الدولة داخل الثقافة العربية للمنطقة ولا تشكل عنصرا مؤثرا في الثقافة الإسرائيلية اليهودية، وعلى كل حال ليس بالشكل الذى به تؤثر الثقافة الأمريكية على ثقافة اليهود في الولايات المتحدة أو الثقافة الفرنسية على يهود فرنسا.

تطورت الطائفة الأمريكية، أكبر طوائف اليهود، والتي اكتسبت طابعها الخاص في القرن العشرين فقط، بيد أن سماتها تميزها عن كل طوائف اليهود الأخرى. ولا تظهر ثقافة هذه الطائفة وتميزها في غالبية مناهج الدراسة رغم تأثيرها وأبعادها. فلا يعرف معظم الإسرائيليين إجمالى النتاج الدينى والعلمانى الذى ألفه يهود أمريكا رغم أن مئات الآلاف من الإسرائيليين يقيمون في أمريكا بصورة دائمة.

تتمثل إبداعات هذه الطائفة باليديشية والإنجليزية في فنون المسرح والفن التشكيلى والموسيقى والسينما والفكر الدينى والعلمانى الإنسانى في مؤسسات الثقافة العليا اليهودية، وفي مشروعات الطائفة وإبداعات كبيرة قد نشأت نتيجة اندماج اليهود في ثقافة الولايات المتحدة، مما يشكل أحد المظاهر الكبيرة للثقافة اليهودية الواجب معرفتها لفهم ثقافة اليهود في عصرنا.

ومن يرغب التعرف على اليهودية عليه التعرف على أجزاء معينة فقط من يهودية شمال أفريقيا المعروفة في إسرائيل (وهى غير معروفة لدى معظم يهود العالم)، ومن أجل معرفة العالم الروحانى وإبداع يهودية شمال أفريقيا - من مصر مرورا بليبيا وتونس والجزائر والمغرب - يجب عليه معرفة مختارات من تاريخ الإبداع الذى بها، من بداية الألف الثانى من الميلاد وحتى عصرنا. وقد نشط في يهودية تلك البلدان مبدعون ومفكرون ومؤرخون وشعراء وعلماء دين وعلماء قبالة. واشتهر في عصرنا أدباء ومثقفون في ثقافة اليهودية وفي ثقافات شعوب أخرى. وتتمثل يهودية شمال أفريقيا في مختارات من إبداعات ضمت إبداعات فيلون وموسى بن ميمون والترجمة السبعينية<sup>(١)</sup>،

(١) الترجمة السبعينية: تعد أهم الأحداث الدينية في فترة الحكم اليونانى تتجسد في ترجمة التوراة إلى اليونانية أو ما يعرف باسم "الترجمة السبعينية" ويروى ذلك المؤرخ اليهودى يوسفوس بأسلوب خيالى قائلا: "إن بطليموس

وسفر المكابيين لياسون (وموجزه الذى وصل إلينا)، وإبداعات ألبير ميمى وإبداعات مبدعين كثيرين آخرين فى طبقة مثقفى يهود شمال أفريقيا الذين تعلموا فى ظل ثقافة يهودية فرنسية، وأبدعوا وابدعوا فى المجال الأكاديمى والأدبى والفلسفى والفنى والاجتماعى فى إسرائيل وفى فرنسا.

لا تمثل يهودية شمال أفريقيا فقط مواعظ الحاخامات الذين يترأسون حزبا سياسيا أو فى معرفة المأكول والعادات الشعبية لعيد الميمونا<sup>(١)</sup> أو قصص الجن والعماريت وقبور الصديقين وأضرحة الأتقياء والقديسين، بل يتبع كل هذا بالطبع الثقافة الشعبية للطوائف اليهودية التى عاشت فى شمال أفريقيا، لكن لا يمثل إجمالى الثقافة التى تطورت فى

الثانى الذى حكم فيها بين (٢٨٢ - ٢٤٧ ق.م) قد طلب من ألباخر رئيس الكهنة اليهود أن يرسل إليه إثنان وسبعين عالما من علماء التوراة - ستة عن كل سبط. لترجمة أسفار موسى الخمسة إلى اليونانية، وأن بطليموس قد جعل لكل عالم مسكنا خاصا، وحظر عليهم الاجتماع فيما بينهم، وزود كل واحد منهم بكتاب حاذق فى اليونانية. وأنذرهم بالعذاب والإعدام إذا وجد إختلافا فى ترجمتهم، وبعد إنتهاء جميع الكهنة من إعداد الترجمة قام الملك بمضاهاة النسخ المختلفة فوجدها جميعا متطابقة، فابتهج وأمر لألباخر بجائزة عظيمة ولسائر العلماء بأموال كثيرة وأطلق أسرى كثيرين ابتهجا بهذه المناسبة .  
ومن الواضح أن رواية يوسفوس للكيفية التى تمت بها ترجمة العهد القديم إلى اليونانية لا تخرج من كونها درب من الخيال. وعلى أية حال فإن ما نستشفه من تلك الرواية هى أن الترجمة اليونانية لأسفار التوراة قد تمت خلال القرن الثالث قبل الميلاد .

انظر: منى ناظم الدبوس : أضواء على تاريخ اليهود من القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن الثانى الميلادى. ص ٣٠-٣٢.

(١) عيد الميمونا أو احتفال الميمونا هو احتفال شعبى كان يقوم به يهود شمال أفريقيا فى وقت الربيع فى اليوم الثامن من عيد الفصح . والعيد هو احتفال بتجدد الطبيعة حيث يحتفل اليهود فى الحدائق، كما أنه كان مناسبة لإظهار العلاقات الودية بين اليهود والمسلمين ، وكان يعبر عنه ببساطة وتلقائية طبقا لتقاليد الفلكلور المغربى القديم.

واللفظ ميمونة قد فسر عدة تفسيرات منها أنهم يرجعون الكلمة إلى موسى بن ميمون ، الذى يقال أنه مات فى اليوم الأخير من عيد الفصح وهو توقيت الاحتفال بالميمونا. والميمونا هى العيد المغربى المحلى الوحيد الذى احتفظت به طائفة شمال أفريقيا وحملة معها إلى أماكن استقرارها الجديدة ، وأصبح له فى إسرائيل الآن طابع العيد القومى.

للمزيد انظر : سوزان السعيد يوسف: موسى بن ميمون ومهرجان الميمونة. مجلة الدراسات الشرقية ، العدد الخامس عشر يوليو ١٩٩٥.

اليهودية الخاصة بها، تماما كما لا تمثل عادات ومأكولات وقصص أتقياء شرق أوروبا التي تلاشت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقصص الجحش والعفراريت وقبور الصديقين ومعجزاتهم الثقافة الثرية للأدب والفكر والفن التي ابتكرت في يهودية شرق أوروبا.

معظم الإبداعات التي تمثل التيارات الإقليمية المختلفة في القرن العشرين هي إبداعات متحررة من ديانة الشريعة، إبداعات تم تأليفها خارج إطار الديانة اليهودية. ومن هنا تأتي صعوبة اعتبار أنها تمثل تقاليد قديمة نموذجية للطائفة التي ألفت فيها. وتمتزج في الثقافة عادات وإبداعات قديمة بعادات وتقاليد وإبداعات معاصرة ويشكلون معا المجموع الكلي الذي يمثل ثقافة حية، ثقافة يتعرض لها الناس الذين يعيشون بها. وعن طريق مجموعة إبداعات مختارة تمثل تنوعا يميز كل واحد منها تيار من تيارات اليهودية ويمكن التعرف عليها وعلى ما يميزها والمشارك بينها وبين تيارات أخرى في اليهودية.

### كل التيارات اليهودية شريك في عملية تأسيس اليهودية بوصفها ثقافة

إن كل ما ألفت في أي تيار من التيارات اليهودية قد تم تأليفه في اليهودية بوصفها ثقافة مشتركة لكل اليهود. وتبدو الإبداعات والعادات المبتكرة في أي تيار من تيارات اليهودية من الوهلة الأولى وكأنها مميزة لها فقط. ويتحول المختار منها عبر الزمن إلى تراث لليهودية بوصفها ثقافة خاصة باليهود.

إن إبداعات التوراة الشفهية الخاصة بيهود العراق، وإبداعات موسى بن ميمون في مصر، وإبداعات القبلاه في بروفانس<sup>(١)</sup>، أسبانيا وفرنسا، وفلسفة سبينوزا من الطائفة اليهودية البرتغالية في أمستردام، وأدب حركة التنوير في ألمانيا وروسيا، وأدب الديدش في الزاس في إيطاليا، وفي بوهيميا فيبولندا وأوكرانيا وليتوانيا، وإبداعات بلغة اللادينو<sup>(٢)</sup> في

(١) بروفانس منطقة في جنوب فرنسا تضم خمس محافظات وأهم مدنها مرسيليا ونيس.

(٢) اللادينو: لهجة أسبانية يتحدث بها اليهود السفارديم (الشرقيون) وتتكون مفرداتها من أسبانية العصر



بلدان البحر المتوسط، وآداب يهودية في ألمانيا وانجلترا في غرب أوروبا وفي أمريكا، والآداب والفن اليهودي في القرن العشرين في فلسطين، تضم تلك الإبداعات مجتمعة في ثقافة يهودية واحدة مشتركة لكل التيارات اليهودية. وتحولت مختارات منها عبر الزمن إلى عناصر مؤثرة ومشكلة لثقافة اليهود كلهم.

وتشارك في عملية خلق ثقافة اليهود كل التيارات الطائفية والدينية المتحررة من ديانة الشريعة والفاعلة بها. ولمعرفة اليهودية يجب معرفة هذا التطور.

لا يوجد تعارض مطلقا بين الإسرائيلية واليهودية؛ حيث إن اليهودية تصمم الثقافة الإسرائيلية بكل ظواهرها، كما أنها تضم ثقافة اليهودية الألمانية واليهودية اليمينية واليهودية البابلية التلمودية ويهودية الجماعات الهلينية في العصر الهلينستي. كما تضم إبداعات موسى بن ميمون وسينوزا و علماء الديانة بفينا ويهودا ليف جوردون وهينا وبيالك وألترمان وشالوم عليخيم وفدى إيلن وسيجل وسوطين ودينستجر وماهالر وبرتشطين وشطينبرج وأ.ب. يهوشواع و عاموس عوز ودافيد جروسمان وعميحاى وبن حايم وأشعار بوب حول العهد القديم وأعمال داني سندرسون، وإبداعات سينائية وتليفزيونية إسرائيلية كلها تشارك في تشكيل اليهودية بوصفها ثقافة اليهود.

## ما هي السمات المشتركة بين يهود إسرائيل ويهود الخارج ؟

ما المشترك بين اليهود المتدينين والعلمانيين؟ وما المشترك بين يهود اليمن ويهود كاليفورنيا؟ وما المشترك بين يهود كل البلدان و التيارات اليهودية وما يميزهم عن الشعوب الأخرى؟

إن الشيء المشترك بين اليهود - متدينين وعلمانيين - هو الإيذان والاعتراف بتاريخ مشترك والارتباط بالأدب الكلاسيكي المتضمن في العهد القديم وبلغة قومية، وبتراث

ثقافي قومي متطور، وبأن أرض إسرائيل "فلسطين" هي وطن اليهود ودولتهم القومية، وبالأعياد المشتركة، والاعتراف بضرورة الصراع ضد مخاطر معاداة السامية الموجودة نظريا وعمليا في كل مكان.

○ يسود الإيحاء بوجود تاريخ مشترك حتى بين الذين يؤمنون بأن الصورة التاريخية التي صورتها المصادر القديمة في اليهودية لا تلائم الواقع، ويجب تشكيلها مجددا على أساس وثائق وشهادات بما فيها المصادر القديمة المذكورة آنفا.

○ الارتباط الثقافي بالعهد القديم بوصفه أساسا مشتركا وحيدا لكل تيارات اليهودية-الدينية، والعلمانية - وهو أيضا الرباط المشترك بين الذين يعتبرونه وثيقة دينية، أو تشكيلة من الأدب الكلاسيكي الذي يؤلف كذلك مجموعة وثائق تاريخية وبين هؤلاء الذين يعتبرونه "الوطن المتجول لليهود" كما قال هيانا.

○ الارتباط باللغة العبرية بوصفها لغة قومية - ولغة قديمة يستخدمها اليهود تباعا منذ ثلاثة آلاف سنة على الأقل، وعادت لتكون لغة حديث وإبداع، واللغة الرسمية للدولة اليهودية ولغة تعليم أغلبية شباب اليهود في العالم والذي تجمع الآن في إسرائيل.

○ تندرج في التراث الثقافي لليهود إبداعات يهودية؛ إبداعات أثرت اليهودية على مؤلفيها وإبداعهم أو إبداعات كانت عاملا مؤثرا في اليهودية. وألفت إبداعات يهودية بلغات يهودية كثيرة ( لغات تحدثها يهود فقط مثل اليديشية واللادينو والموغرابية في المغرب، والطايط في القوقاز، ولهجات يهودية إيطالية، ولهجات يهودية في اليمن وغيرها). وقد ألفت جزء كبير من فكر اليهود بلغات الشعوب التي عاش بينها اليهود (مثل الآرامية واليونانية والعربية والألمانية والإنجليزية والفرنسية والروسية وغيرها). وقد ابتكرت إبداعات في الفن التشكيلي وفنون العرض لدى اليهود في كل عصر وحاليا تشمل إبداعات يهودية في المسرح والسينما والتلفزيون.

○ أرض إسرائيل "فلسطين" في نظر يهود العالم هي مسقط الرأس المشترك والوطن

القومي الذي عاد ليكون مركزا سياسيا وروحانيا لليهود، وهي البلد الوحيد في العالم الذي يتزايد به السكان اليهود، وتكثر إبداعاتهم وتنوع فتريد عن إجمالي الإبداع اليهودي في كل بلدان العالم.

○ أصبحت الأعياد القومية، التي تحولت من أعياد خاصة بالطبيعة والتاريخ إلى أعياد دينية في مختلف عصور اليهودية، أعيادا تاريخية وشخصية واجتماعية خالية من المضامين الدينية. وزاد عدد اليهود المحترفين بها في اليهودية المتحررة من الديانة.

○ الاعتراف بخطر معاداة السامية وتعايرها، المعتدلة والعنيفة، وضرورة مواجهتها أمر مشترك بين غالبية اليهود في العالم. وينتج عن ذلك شعور بتضامن اليهود والذي يلزم الفرد والجماعة بالعمل في وقت تفاقم الخطر ووجوب التعامل معه، كما حدث في كل مرة على مدار العشرين قرنا في تاريخ اليهودية منذ تدمير الهيكل الثاني. وهذا الاعتراف مرتبط بسمة إضافية وهي :

○ الاعتراف بالمصير المشترك لليهود لكونهم يهودا، وبوجوب التضامن اليهودي بالإضافة إلى وجوب التضامن مع كل فرد حيث إنه إنسان. وهذا الاعتراف مثل كل السمات المذكورة آنفا تم استيعابه وأصبح جزءا من الوعي القومي اليهودي للفرد من خلال التعلم في الأسرة والطائفة والدولة.

كل تلك السمات الروحانية والإدراكية مشتركة بين اليهود في كل التيارات الطائفية والدينية والعلمانية والإقليمية. ولا ترتبط أي سمة منها بالتمسك بفرائض الشريعة أو بموقف ما يتخذه فرد في أي من الخلافات الكثيرة الموجودة في اليهودية. وتميز تلك السمات المشتركة اليهود عن سائر الشعوب، وهي خاصة بهم فقط، ويلتزم بها الذين ينضمون لليهود، ولا تختفي بصفة عامة مع عملية الانسحاب من جماعة اليهود من خلال تغيير الديانة أو الاندماج الاجتماعي والثقافي.

## أسس الخلاف والفجوات بين التيارات اليهودية المعاصرة

يتفاقم في اليهودية المعاصرة التصادم بين التيارات الدينية والعلمانية، وبخاصة في

إسرائيل حيث قوّت الديمقراطية فيها الأقليات الدينية، وزادت من ارتباط الأحزاب الدينية والعلمانية ببعضها البعض.

وحركت الخلافات والتناقضات بين تيارات اليهودية مسارات تطورها في كل العصور. وتبدو التصدعات بين التيارات والفرق دائماً لا يمكن رآها، فشجعت أعضاء كل تيار على العمل والابتكار وتقوية ثقافته وتميزه. وقد انضمت بعد ذلك مجموعات من تلك الإبداعات إلى المجموع الكلي للثقافة اليهودية فظهرت فائدة الخلاف.

يوجد خلاف في جوهر الحرب الثقافية التي تجرى في إسرائيل في عصرنا بين غالبية السكان اليهود الذين يؤمنون بسمو قوانين الديمقراطية على كل شريعة دينية وبين تيارات المعسكر الديني التي تؤمن بسمو الشريعة على قوانين الديمقراطية، وتفرعت من هذا الخلاف باقي الخلافات بين المتدينين والمتحررين من ديانة الشريعة حيث: الخلاف بين المؤمنين بسمو القيم الإنسانية على كل فرائض الشريعة وبين المؤمنين بسمو فرائض الشريعة على كل قيمة وقانون بما فيها قوانين الديمقراطية والقرارات الديمقراطية في الكنيسة أو في المحكمة العليا.

○ الخلاف بين المؤمنين بمساواة تامة بين النساء والرجال: حقهن في شغل وظيفة قاضية وليس فقط ماثلة أمام المحاكم التي تقضي في شئون الزواج والطلاق وحضانة الأطفال، وبين الذين ينظرون باحتقار إلى النساء، ويشكرون الله يومياً على أنه لم يخلقهم نساء، ويبعدونهن عن القاعة الرئيسية بالمعبد إلى ما وراء حاجز، ويعارضون تعيينهن في وظائف قيادية - حاخامات، زعماء سياسيين، مفتي شريعة - ويعارضون منح حقوق مساواة للنساء في الأسرة وتحكمهن في أجسادهن وملابسهن.... إلخ.

○ الخلاف بين المعلمين الذين يؤمنون بالاندماج في ثقافة العالم ودراسة كلاسيكيات ثقافات الشعوب كأساس لأي تعليم إنساني ويهودي، وبين الذين يؤمنون بالانغلاق والامتناع عن معرفة ثقافة الشعوب وكنوزها الروحية والفنية.

○ الخلاف حول قانون العودة: هل يسرى على أبناء النساء اليهوديات فقط أم على

كل من ينضم إلى اليهود بأي طريقة، هل الانتماء القومي يتحدد عن طريق العرق وديانة الفرد، أم عن طريق معيشتة ومشاركته الاجتماعية والثقافية في حياة الشعب الذي ينضم إليه؟

○ الخلاف بشأن قوانين التهود بين المؤمنين بأن عملية الانضمام إلى اليهود غير مرتبطة بالدخول في الديانة اليهودية، حيث إن اليهودية هي ثقافة تضم ديانة لكنها لا تتطابق معها، وبين المؤمنين بأن طقوس التهود المتبعة في تيار الأقلية الأرثوذكسية في اليهودية الدينية هي فقط التي تعترف بها الدولة، أم أن طقوس التهود المتبعة في تيارات الأغلبية اليهودية الدينية في العالم، المحافظين والإصلاحيين، يُعترف بها أيضا.

○ الخلاف بشأن واجب التجنيد في الجيش للدفاع عن مواطني الدولة بين المؤمنين بوجود سريان هذا الواجب على كل طلبة الثانوية، وبين المؤمنين بسريانه على الطلبة العلمانيين حتى يستطيعوا الدفاع أيضا عن الطلبة الذين يختارون الدراسة في المدارس الدينية وعلى ذلك فالدولة تعفيهم من واجب التجنيد ومن المخاطر المرتبطة به.

○ الخلاف حول واجب الانصياع للحاخام أو لقائد الوحدات العسكرية التي يرأسها حاخامات ولا يرأسها قادة فقط.

○ الخلاف بشأن حرية الديانة والتحرر من الديانة، والتي تتجلى على سبيل المثال في الخلاف بخصوص فرض أحكام يوم السبت و الطعام الحلال والدفن والزواج والختان والحاميت<sup>(١)</sup> والصيام وأحكام دينية أخرى مفروضة على يهود علمانيين يلقبهم المتدينون أنفسهم بـ "المتح ررين" لكن لا يوافقون على الاعتراف بحريتهم.

لا يمكن حل تلك الخلافات لأنها تعبر عن تناقض بين مبدأ سمو الشريعة على كل

(١) الحاميتس: كناية عن الطعام المختمر المحظور أكله لدى اليهود في عيد الفصح أو للآتية التي علق بها الخمير.

قانون أو دستور وضعه أفراد في الديمقراطية وبين مبدأ القيم الإنسانية العالمية، وتعابيرها في الديمقراطية، وسموها على فرائض الشريعة لتيار ديني ما أو على آراء حاخامات حتى وإن كانوا يتظاهرون بالحديث باسم الإله.

عندما لا توجد إمكانية لحل وسط، تبقى إمكانية الحوار كوسيلة للتفاهم المتبادل ولإيجاد سبل فعلية لتعايش متعدد في الدولة أو في تجمع سكاني واحد، مع الحفاظ على أقصى حد من الاستقلالية التعليمية والثقافية لكل تيار من تيارات اليهودية طالما لا يضر بحقوق المواطنين وبالتشريعات الأساسية للديمقراطية.

### التعددية في عصرنا هي استمرار لتقاليد يهودية عمرها آلاف السنين

عندما سُئل الحاخام "شاخ"، أحد الحاخامات الأرثوذكس المغالين في العالم: "ما هي الصورة الأقرب للديانة اليهودية؟ أجاب: "يهودية حيد"<sup>(١)</sup>. ويعترف الحاخام شاخ بالتعددية المهيمنة على ثقافة اليهود وديانتهم، إنه يعرف أن اليهودية قد تمخضت عن تيارات كثيرة وأن اليهودية الحريدية "اللتوانية" التي يتزعمها هي فقط إحدى التيارات الحريدية في اليهودية الدينية الأرثوذكسية. وحسب رأيه فإن يهودية أتباع مسيح بروكلين الذين يؤمنون بأنهم استمرار لتناي وبعل شيم طوف لا تتطابق مع يهودية الحاخام شاخ و يهودية نظرائه "المعارضين" الذين يؤمنون بأنهم استمرار لجاؤن فينا.

(١) حيد: هي جماعة دينية ولهذه الجماعة حوالي مائة وأربعة وأربعين مركزاً لهذه الحركة بإسرائيل خصوصاً في "كفار حيد" التي تقع بين القدس وتل أبيب، وفي القدس وحولون واللد، وكريات ملاخي وصفد، كما تدير مئات الصفوف لتعليم الأطفال إضافة إلى عشرات المؤسسات والمكتبات ونحو عشرين مدرسة دينية. وترى الحركة أن جوهر رسالتها اليوم يكمن في الحفاظ على الوجود اليهودي من جانب، وإعداد العالم لقدم المسيح المخلص من جانب آخر. وتتمحور نشاطات حيد حول تقديم خدمات دينية للجُمهور. وعلى الرغم من كونها حركة حريدية فإنها بعكس الحريدية لم تقاطع إسرائيل وتحاول التقرب من العلمانيين والعمل بينهم طمعاً في توبتهم التي تعتبر في نظر الحركة شرطاً لقدم المسيح المنتظر. وتدعو حيد إلى سياسة حازمة تجاه العرب وهي تؤيد فكرة "أرض إسرائيل الكاملة" على الرغم من عدم وجود دليل قاطع على أن هذه الحركة تعترف بدولة إسرائيل.

للمزيد انظر: رشاد عبد الله الشامي: القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة. ص ٢٥٨ -

في المقابل وعلى مسافة كبيرة من اليهودية الحريدية نجد في اليهودية الدينية تيار اليهودية الأرثوذكسية الجديدة في أمريكا وفروعها في إسرائيل، واليهودية الدينية الصهيونية بتياراتها المعتدلة والمتطرفة، واليهودية الإصلاحية والمحافظة والتي تشكل أغلبية اليهودية الدينية في العالم. وتتنمي جميعها إلى معسكر التيارات الدينية في اليهودية والآخذ في التقلص سريعا منذ بداية القرن العشرين وذلك مع ازدياد اليهودية المتحررة من ديانة الشريعة بمعسكراتها " العلمانية " و " التقليدية " .

يوجد في الحركة المسيحانية الحيدية التي انتقلت إلى بروكلين في نهاية القرن العشرين من يؤمن بمسيحانية "شنيثور سون" معلمهم حتى بعد موته، تماما مثلما آمن كثيرون في الفرقة التي تكونت في معبد يعقوب "إخوة يسوع" في القدس في القرن الأول بأن معلمهم المولود في الناصرة هو المسيح وأن موته لن يمنع مقدمه ثانية وسيأتي بالخلاص للشعب والعالم .

ترى اليهودية الحريدية بكل فرقها وكذلك كثير من التيارات اليهودية الأرثوذكسية الأخرى أن اليهودية الإصلاحية والمحافظة كحركة دينية ليست يهودية مطلقا. ولا تعترف الأقلية الحريدية بحاخامات الأغلبية اليهودية الدينية في العالم ولا بأرائهم ولا بالزواج أو التهود الذي يتم عن طريقهم .

وكان لهذا الانقسام سابقة في اليهودية في العصر الهلينستي. وقد نتجت في فترة الهيكل الثاني بالقدس وبعد خرابه خلافات عميقة لاحل لها بين مؤيدي الحشمونائين الأوائل وبين يهود متأخرقين، وبعد ذلك بين صدوقيين وفريسيين وأسينيين ويهود مسيحيين، و فرق الصحراء وقنائيين وغيرهم .

أدانت اليهودية الربانية اليهود المتأخرقين بوصفهم يهودا مندجين في الحضارة اليونانية يعبدون الأوثان، وانزلت عن جماعات كثيرة من اليهود في فلسطين و الخارج عندما اندمجوا في ثقافة الغرب. وقام الفريسيون بتجنيد ماجورين للتمرد ومحاربة الملك اليهودي "الكسندر يناي" لأنه نهج سلوك الملوك الهلينستيين في ممالك مجاورة ولم يتقبل سلطة اليهودية الربانية.

## "يهودية معيارية" موجودة لدى المؤمنين بها فحسب

لا تتجلى التعددية في يهودية العصر الهلينستي البيزنطي فقط في تناقضات وتصادمات بين فريسيين وصدوقيين، بل في التشكيلة الثرية للتيارات اليهودية: الفرق والطوائف التي تنتمي إلى تيارات مختلفة في اليهودية والتي تعيش في قارات مختلفة متأثرة ومؤثرة في ثقافات مختلفة. ولا يمثل أي تيار من تيارات العصر الهلينستي "اليهودية" تماما مثلما أنه لا يمثل أي تيار من تيارات اليهودية المعاصرة اليهودية. وكانت توجد في ذلك العصر، كما في عصرنا، "يهودية معيارية" واحدة فقط في نظر المؤمنين بأن اليهودية تقتصر على التيار الذي يتمون إليه فحسب.

آمن يهود مسيحيون كثيرون أنهم "الأمة اليهودية" الحقيقية وكل التيارات الأخرى قد خانت روح اليهودية ومستقبلها. كما آمن يهود ربانيون أنهم هم فقط الذين يمثلون اليهودية الحقيقية وأن مؤسسة الحكم الدينية الكهنوتية الصدوقية والملكية الحشمونائية خانت مبادئها، وآمن صدوقيون وقرائيون أن الإخلاص لشريعة العهد القديم فقط هو تعبير عن اليهودية الحقيقية وأن كل تفاسير التوراة الشفهية واختلاق الحياة التي بعد الموت يعد انحرافا جسيميا يشوه اليهودية.

آمن يهود سامريون أن كل الفرق والتيارات الأخرى ليست يهودية أصيلة ولا تنتمي إلى اليهودية الوحيدة التي استمرت بتتابع مسيرة تاريخ اليهود في منطقة مملكة الأسباط العشرة في فلسطين.

ولا يمكن أن يُسمى العصر الهلينستي في تاريخ اليهودية بـ "فترة التلمود"، تماما مثلما أن يهودية التلمود لا يمكن أن تعتبر في عصرنا اليهودية المعيارية.

لا تحدد المعايير الكمية لفرقة أو تيار في اليهودية حجم الدور الذي يلعبه في الإبداع اليهودي وفي بلورة كنوزها الروحانية وفي تأثير معتقداتها والأفكار السائدة بها. وتُحدد المعايير الكمية الإبداعات والمؤسسات، والتي بسببها يُعرف تيار ما في اليهودية، ومن خلالها يؤثر في تطورها.

أنبياء يهوه القليلون، الواردة أقوالهم في العهد القديم، ويعرضهم أدباء العهد



القديم على أنهم متحدثون باسم أقلية معارضة (أحيانا فرد واحد) يواجهون المؤسسة الملكية الحاكمة وغالبية الشعب. وتحولت الإبداعات البلاغية الشعرية لهؤلاء الأنبياء وأفكارهم الثورية حول وصايا العدل المفضلة على فرائض الشريعة عبر الزمان إلى قوة روحانية مؤثرة أكثر من الأفكار التي عبر عنها متحدثو الحكام وأغلبية اليهود في فترة العهد القديم.

اعتبر فكر سبينوزا والذين ساروا على إثره خلال سنين كثيرة رأيا لأقلية عديمة القيمة ومنبوذة في اليهودية حتى تحول إلى فكر أساسي لدي تيارات الأغلبية المتحررة من ديانة الشريعة ومن الإيمان بإله خاص لليهود.

كانت الصهيونية ومفكروها أقلية عديمة القيمة في اليهودية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وقد عارضتها غالبية الحركات الكبرى في العالم العلماني والأرثوذكسي والإصلاحي أو تجاهلتها وبعد مرور جيلين أصبحت الصهيونية العلمانية ممثلة لليهود. وصارت أفكارها ومعتقداتها مصدر إلهام لثورة التحرر القومي وللثورة الثقافية التي جددت اليهودية بإحيائها العبرية كلغة حديث وإبداع.

اعتبر كثيرون أن اليهودية الربانية التلمودية التشريعية هي "اليهودية المعيارية" لدى جماعات كثيرة في العصر الوسيط وهي في عصرنا توجه أنساط حياة أعضاء الأقلية الأرثوذكسية وثقافتهم، إلا أنها لم تعد تؤثر بعد على الحياة الروحية والثقافية والاجتماعية لأغلبية اليهود في العالم ولم تعد تمثل اليهودية بوصفها ثقافة.

تبلورت في عصر العهد القديم أيضا ثقافة اليهود لأول مرة، وقد اعتبر أنبياء يهوه أن عقيدتهم هي اليهودية المعيارية. وحسب شهادتهم لم يأخذ معظم اليهود برأيهم.

## خلافاً في اليهودية الهلينستية وفي اليهودية المعاصرة

تذكرنا التناقضات بين التيارات التي تطورت في يهودية العصر الهلينستي، في نهاية الألف الأول قبل الميلاد وبداية الألف الأول الميلادي، بالتناقضات التي بين تيارات اليهودية المعاصرة.

وحقق حاخامات التوراة الشفهية أكبر إصلاح في اليهودية في فترة الهيكل الثاني وبعده، ولقد ضمنوا بتسريعهم مسار التغيير الدؤوب في الديانة وفي الثقافة اليهودية استمرار اليهودية بوصفها ثقافة حية ومتطورة ومتكيفة مع تحولات ظروف الزمن.

وفي المقابل أحدث اليهود الذين عاشوا واندمجوا في الثقافة الهلنستية ثورة ثقافية، عن طريق انفتاح اليهودية على ثقافة الغرب وعلى الكلاسيكية والفلسفة اليونانية وهو ما يظهر في التلمود (كما أوضح ليبرمان) وفي إبداعات مفكرين وأدباء في اليهودية الهلنستية، مثل أريستوبولوس وفيلون السكندري ويوسف بن متياهو فلافيوس. ولقد أثرت أساليب تنظيم الحكم اليوناني اليهودي (في مصر والعالم وجبل الهيكل) في تطور الطائفة اليهودية المستقلة. وأثرت الفنون اليونانية - الرسم والنحت - في فصوص الفسيفساء والصور المرسومة بالألوان على الجبس في المعابد، وأقيمت مسارح في مدن عاشت بها جماعات يهودية، واندمج ممثلون يهود وكتاب مسرحيات يهود (مثل يمزقيال هدرمطورج) في الحياة الثقافية الغربية، ونصبت تماثيل كثيرة في أماكن عامة (في معبد نهر دع، وفي حمام عمومي في عكا)، وتعلم يهود كثيرون في مدرسة الجمنيسيون (مثل تلك الموجودة في جبل الهيكل) وأرسل الكاهن الأكبر وفدا رياضيا يهوديا للمشاركة في مسابقات ومراسم هيلينستية دولية.

تصدى لتلك الاتجاهات التي ترأسها يهود المدن الكبيرة، معارضون كثيرون بين "الحسيدين" وباقي الرافضين لتأثيرات المتأخرين في الحياة اليهودية. وعندما ازداد قصر الملكية الحشمونائية تشبها بالهلينستيين تحول الصراع بين الاتجاهين من صراع ثقافي إلى صراع سياسي تجلى في التمرد وحرب أهلية خطط لها الفريسيون ضد الملكية اليهودية.

عارض الثورة الثقافية والإصلاحية التي قادها حاخامات التوراة الشفهية أرثوذكس تلك الفترة - الصدوقيون والقرائيون الذين ساروا على إثرهم. وكان رجال المؤسسة الدينية وطبقة النبلاء المعينة في الهيكل ينتمون إلى التيار الصدوقي فعارضوا محاولة الفريسيين لتغيير شرائع التوراة. ومثل الأرثوذكس المعاصرين حاول أيضا الصدوقيون والقرائيون تجميد الشريعة اليهودية، ورغبوا في التمسك بالأراء التي سادت في العهد القديم حول اقتصار الحياة على هذا العالم، وعارضوا بشدة استحداث العالم

القادم والحياة بعد الموت والتي قبلها الفريسيون. وكانت ثقافة اليهود في العصر الهلينستي تشكيلة من تيارات متصارعة تثري بإبداعاتها اليهودية بوصفها ثقافة، كما في عصرنا.

ولقد عرضت مجموعة إبداعات ذلك العصر الثقافي الثري والمتنوع تطور اليهودية الهلينية وإبداعاتها، وحركة الحسيديين الحشمونائيين والحرب الأهلية والثقافية التي قادوها ضد اليهودية الهلينية وضد الإكراه الديني الذي فرضه حكام الإمبراطورية السورية، والمملكة اليهودية الثالثة التي أقامها الحشمونائيون والتي استمرت حتى القرن الأول الميلادي، وواصلت فيها يهودية التوراة الشفهية التطور، كما عرضت الخلافات بين مؤسسة الحكم الديني الصدوقي وبين معارضيهم الفريسيين، والخلافات بين الفرق والتيارات الأخرى في اليهودية، أسنين، ومسيحيين، وفرق الصحراء وقنانيين، وتطور المعابد وإبداعات فن التصوير اليهودي الخاص بها، ومراكز الإبداع الكبيرة الخاصة باليهودية الهلينية - في مصر وفي ليبيا، وعرضت كذلك مراكز التعليم الكبيرة الخاصة بالإبداع التلمودي في فلسطين وبابل، ومسيرة تكوين العهد القديم من الأسفار المقدسة التي عرفت في بداية العصر الهلينستي وحتى ابتكار مجموعة أسفار الكتاب المقدس العهد القديم قبل القرن الثاني الميلادي، وعملية تجميع وتحرير الإبداعات من التوراة الشفهية حتى اختتام المشنا في القرن الثاني بعد الدمار الذي وقع عقب فشل تمرد في الخارج وتمرد بركوخفا ضد الحكم الروماني.

يمكن التعرف على ذلك العصر غزير الإبداعات، في تاريخ ثقافة اليهود، من خلال مجموعة مختارة من إبداعاته - من إبداعات متأخرة في العهد القديم، والمشنا والعهد الجديد، وتفسير التنايم ومناقشاتهم، وإبداعات فلسفة فيلون، وإبداعات علم التأريخ لفيلافوس وإبداعات مؤلفي أسفار المكابيين، وأدب الأسفار الخارجية والتي لم تُضم إلى العهد القديم اليهودي وُضمت إلى الكتاب المقدس المسيحي، ومن لفائف البحر الميت، ومقطوعات شعرية وتفسير ودراما وأشعار دينية، والأدب اليهودي اليوناني واليهودي الآرامي، ويضم ذلك العصر أيضا إبداعات الفن التشكيلي التي ظلت بقايا منها في آثار معابد، ووصف أنماط الحياة، والشرائع، والأحكام ومناقشات تعرض تيارات الفكر والعقيدة المختلفة والمتناقضة.

بدأت في يهودية العصر الهلينستي تتسع حدة الفجوات بين يهودية منفتحة على ثقافة الغرب وبين يهودية منغلقة على نفسها، بين يهودية جامدة تقدر الشريعة المكتوبة فقط وبين يهودية إصلاحية فريسية أرادت ملائمتها مع ظروف الزمن المتغيرة، بين يهودية تمسكت بعقيدة العهد القديم واقتصار الحياة على هذا العالم ووحدته وبين يهودية تؤمن بانقسام العالم ووجود الآخرة وحياة ما بعد الموت. وتوجد تلك الانقسامات في اليهودية المعاصرة أيضا ومن هنا فإن ما يميزها هو وجوب معرفة ثقافة الشعب في تلك الفترة برؤية معاصرة.

### الخلاف بين المومنين باقتصار الحياة على هذا العالم وبين المومنين بالآخرة

آمن الصدوقيون، مثل معظم أدباء ومحربي العهد القديم، بأن الموت هو نهاية الحياة وأن هذا العالم وحيد ولا يوجد غيره. ومثلما في عصرنا تصارع أيضا في العصر الهلينستي في اليهودية هذان المعتقدان - الإيمان باقتصار الحياة على هذا العالم وأن الموت هو نهاية الحياة، في مقابل الإيمان بالآخرة وبعث الموتى.

كان الإيمان ببعث الموتى في الآخرة تراث ثقافات ديانات الشرق القديم (مصر، بلاد النهرين)، وعلى ذلك اعتبرها أدباء العهد القديم تعبيرا عن الوثنية. ومع تأسيس ديانة توحيدية لتوراة موسى والتنازل عن العالم الآخر وعن الاعتقاد بأن الموت هو بداية حياة جديدة انفصل المؤمنون بها عن ثقافة الجيران. وكان ذلك إحدى السمات المميزة للديانة التوحيدية اليهودية القديمة والتي تتجلى في إبداعات توراتية.

ظهر تميز توراة موسى في تحرير العهد القديم وفي تحديد موقع جنة عدن في بداية التاريخ وليس في نهايته. وكان الاعتقاد باقتصار الحياة على هذا العالم أيضا هو الأساس في مطالبة الأنبياء بالعدالة التي يجب أن تتحقق هنا و الآن، في العالم الوحيد الموجود. ويُقرب الإيمان باقتصار الحياة على هذا العالم أدب العهد القديم إلى عقلية اليهود المتحررين من الديانة في عصرنا.

وعقب تدمير الهيكل ازداد القروون وأصبحوا أحد التيارات الكبيرة التي تصارعت مع اليهودية الربانية، وحاول القرائيون مواصلة طريق الصدوقيين بشأن كل ما

يتعلق بالصلاحيات الخاصة الممنوحة للشريعة الواردة في التوراة. وواصل اليهود الربانيون طريق حاخامات التوراة الشفهية في التفسير التجديدي متعدد الخيال، وفي التفاسير والشروح التي غيرت مغزى المكتوبات فصارت آراء وتشريعات جديدة في التلمود وفي الآداب التي استمرت على دربه. ويشكل التناقض بين هذين الاتجاهين - المحافظ الساعي للجمود والإصلاحي الساعي للتطور - أساسا لحروب ثقافية في اليهودية منذ ذلك الحين وحتى الآن.

ويعد نهج الصدوقين والقرائين، مثل نهج الحريديين في عصرنا، محكوم عليه بالفشل ذلك لأنه أدى ويؤدي إلى وقف تطور الثقافة اليهودية. ولقد حُكم على كل من حاول تجميد الشريعة وتعطيلها، كل جماعة وتيار لم يشارك في حركات التطور والتغيير المستمرة في اليهودية بوصفها ثقافة، في التاريخ بالانحسار الكمي والجذب الروحاني. فالיום يتبقى من القرائين بعض عشرات آلاف فقط (في ليتوانيا، وفي شبه جزيرة كبريم، وفي إسرائيل) ويشكل الحريديون ٥٪ فقط من اليهود بعد أن كانوا يشكلون في القرن التاسع عشر الأغلبية.

أخطأ "طوفوني" عندما رأى أن اليهودية بوصفها ثقافة مشلولة بجمودها، ونتج هذا عن قصور في حدود نظرته إلى اليهودية الدينية الحريدية الجامدة والتي تشكل عنصرا هامشيا في تطور ثقافة اليهود في عصرنا.

### الخلاف حول أساس اليهودية - العهد القديم أم التلمود

يعد الخلاف بين الذين يعتبرون العهد القديم أساسا لليهودية بوصفها ثقافة وبين الذين يعتبرون التلمود وأدبه أساسا لليهودية بوصفها ديانة هو جوهر كل الخلافات في النظرة إلى اليهودية المعاصرة.

يرى الذين ينظرون إلى اليهودية بوصفها ديانة أن أدب التفاسير والشروح منذ التوراة الشفهية مصدرا أساسيا وموضوعا رئيسيا لدراسة اليهودية كلها. ويرى الذين ينظرون إلى اليهودية بوصفها ثقافة اليهود أن إبداعات الأدب الكلاسيكي الموجودة في العهد القديم أساس هذه الثقافة، التي انتسبت إليها كل الثقافات الأخرى، بما فيها أدب حاخامات التلمود.

يعتبر اليهود المتحررون من ديانة الشريعة أن العهد القديم الأساس المشترك الوحيد لكل تيارات اليهودية ومنطلق تطور اليهودية بتياراتها المختلفة، بما فيها التيار التلمودي. وتحوى كل الآداب اليهودية الأخرى إبداعات كثيرة مصدرها العهد القديم: الأدب المعروف في الأسفار الخارجية، والأدب اليهودي الهيليني، والأدب المسيحي اليهودي وأدب التصوف والقبالاه والفلسفة اليهودية والشعر الديني والعلماني، والنشر والدراما، في فترة الهلينية وفي العصر الوسيط وفي عصر النهضة الأوروبية وفي عصرنا.

لا يستطيع الذين ينظرون إلى اليهودية على أنها ثقافة متعددة ومتطورة الاتفاق مع الذين يؤمنون بأن التلمود هو مصدر اليهودية، وأسمى من كل الآداب اليهودية الأخرى لأنه يضم بين جنباته الحكمة كلها وكل المصادر المهمة لليهودية.

في العصر الحديث منذ التحرر وتسريع مسارات العلمنة لدى اليهود تتطور بسرعة يهودية "غربية" تكشف عن انفتاح وتعمل على الاندماج في ثقافات الغرب. وتطورت مراكزها الكبيرة بداية من القرن التاسع عشر في شرق وغرب أوروبا وفي أرض إسرائيل "فلسطين" والأمريكتين، ولكنها تضم مثقفين كثيرين وأدباء يهود من الدول العربية والإسلامية. ونمت في كل تلك البلدان حركات محافظة - صدوقية وقرائية في رؤيتها للمكتوبات والتي أخذت في الانزواء عن ثقافات الشعوب وتنكرت ليهودية أغلبية الشعب التي واصلت التطور والاندماج في الثقافة الغربية في نهاية القرن العشرين.

ولقد نظرت تلك التيارات الجامدة إلى التلمود بصفة خاصة على أنه هو أساس تمسكهم بالقديم رغم كونه أدب نقاشات مفتوحة تعرض خلافات، معظمها ليس له حل، وكونه أسلوبا بحثيا ونقاشيا يطور الشرائع ولا يجعلها جامدة. إنه أحد التناقضات الثقافية الكبيرة في اليهودية. وتتخذ اليهودية المحافظة من التلمود أساسا لها رغم أنه يعرض التعددية كمبدأ أساسي، والخلاف على أنه طريق إلى الحقيقة، والتغيير الدائم على أنه ضمان لاستمرار الثقافة اليهودية، والشريعة على أنها دائمة التطور. بينما ترى اليهودية المتحررة من ديانة الشريعة الثابتة أن العهد القديم هو أساس اليهودية، مع أن أدباءه ومحرميه آمنوا أن الفرد يستطيع التحدث باسم الإله مدعيا بأنها أقوال إله حي لا ينبغي الاعتراض عليها أو إلغائها من خلال رأي الأغلبية.

كلما نقص المعسكر الحريدي وزاد حرصه على استمرار وجوده، كلما زاد معدل اندماج اليهود في ثقافات الغرب، وتطور كذلك الإبداع والثقافة الإسرائيلية العلمانية القائمة على العبرية والعهد القديم ذلك الأدب الكلاسيكي لليهود، وهكذا زادت الفجوة وتفاقم التناقض بين اليهودية والتي تتمركز كل الدراسات بها حول التلمود وأدبه وبين اليهودية التي ترى أن كل الآداب اليهودية هي إبداعات تمثل اليهودية.

### تعدد الديانات والتصورات حول الإله في يهودية عصر العهد القديم

ساد لدى اليهود في عصر العهد القديم المعتقد القائل "هذه وتلك أقوال الإله الحي" وهو يميز التعددية في ديانة عصر العهد القديم وثقافتها. كما أنه لم يكن في عصر العهد القديم تطابق بين اليهودية بوصفها ثقافة واليهودية بوصفها ديانة. وتصف إبداعات العهد القديم وتعرض الثقافة اليهودية التي تصارعت فيها اتجاهات مختلفة داخل ديانة يهوه، وتصارعت ديانة يهوه، داخل اليهودية، مع ديانات آلهة أخرى عاشت بها بجانب ديانة يهوه.

وظهرت تناقضات محورية بين التيارات التي آمنت بخصوصية إله إسرائيل وبين تلك التي آمنت أيضا بألهة حية ومفيدة. ووجه أنبياء يهوه هجومهم ضد جموع الشعب وضد مئات الناطقين باسم البلاط الملكي الإسرائيلي الذين عبدوا "بعل وعشروت". وبدل استنكار تعدد الآلهة في يهودية عصر العهد القديم في خطاب الأنبياء على المعدلات الكبيرة لظاهرة الإيثار بتعدد الآلهة في اليهودية وفي العهد القديم - من سليمان الملك الذي يبني هياكل في القدس ليهوه ولآلهة الجيران، وحتى جموع الشعب؛ حيث كان الآباء اليهود يقدمون أبناءهم وبناتهم على مذابح المولوخ في القدس. واضطر أنبياء يهوه في فترات معينة (كما في فترة إلباهو) للاختباء في مغارات لينقذوا أنفسهم أو النزوح خارج البلاد أو الهروب إلى الصحراء بسبب ملاحقات المملكة الإسرائيلية وتهديدها لحياتهم.

لقد لعبت ديانات بعل وعشروت أدوارا رئيسية في حياة اليهود وإبداعاتهم وفي ثقافة الشعب - وأقاموا لهم التهايل "على كل قمة عالية وتحت كل شجرة نضرة" - وفي شعائر دينية وفي هياكل الآلهة الكنعانية؛ حيث لعبت المضاجعات والفجور أيضا دورا في

الشعائر الدينية (حتى في هيكل يهوه في القدس وضعت رسوم رباعية الشكل بها قداسة وفجور، ربما في الفترات التي وضعت بها تمثال أشيرا - أم الآلهة الكنعانية). وظهرت تماثيل صغيرة لعشوت في منازل خاصة، كما صارت ديانة عشوت وبعل الديانة الرسمية في مملكة الأسباط العشرة، في فترة الازدهار الاقتصادي والسياسي أثناء حكم آحاب، ويدل كل هذا على الدور المركزي الذي لعبته ديانات آلهة كنعان في عصر العهد القديم في اليهودية: أي في الحياة الثقافية لليهود في فلسطين من بداية الاستيطان وحتى تدمير هيكل يهوه الثلاثة في بلدان وبيت إيل والقدس.

ونجحت حروب أنبياء يهوه ضد التيارات الدينية المؤمنة بتعدد الآلهة في اليهودية أحيانا في التسبب في أعمال عنف ضد ممثلي تلك التيارات - مثل ذبح أنصار البعل، في الوقت الذي هزمهم إياهو في منافسة سحر إشعال النار على المذابح التي بجوار المحرقة على جبل الكرمل. وانتصارات مؤقتة كذلك، مثل إخراج تماثيل وثنية من هيكل القدس، وتحطيم تمثال أشيرا الذي نصب به، وسحق حزقياهو تمثال الثعبان الذي يشفي المرضى "والذي صنعه موسى"، لم تقلل من الديانات المتنوعة التي وجدت في اليهودية في عصر العهد القديم. واضطر إياهو، الذي لم يجرؤ على مهاجمة أنصار عشوت، بعد انتصاره المؤقت على أنصار البعل، للهروب إلى الصحراء خوفا من انتقام حاشية الملك الإسرائيلي. واتضح له في عزله أن الإله ليس في الضوضاء ولا في الرياح بل في صوت السكون الدقيق. وعاد تمثال أشيرا، الذي أبعاد عن الهيكل في القدس، وتم وضعه به بعد عدة سنوات من محاولة إخراجه من هناك، ووفقا لآخر حسابات نجد أن أشيرا قد استقرت في هيكل يهوه بالقدس حوالي ثلثي فترة وجوده. وربما لهذا السبب اعتقد الرسام الشعبي الذي رسم يهوه وأشيرا على الفخار الذي اكتشف في النقب أن أم الآلهة الكنعانية أشيرا هي زوجة يهوه.

حتى في الأيام الأخيرة لوجود الهيكل بالقدس، يقول إرميا، استمر اليهود في تقديم أبنائهم وبناتهم إلى مولوخ على المذابح التي أقيمت في وادٍ أسفل جبل الهيكل، نتيجة إيمانهم على ما يبدو بأنه هو أيضا، مثل كل الآلهة الأخرى، يرغب في قرابين غالية ومحبة لدى الذين يقدمون القرابين لكي يظهر لهم نعمه.



يعزز مؤرخو العهد القديم - مبدعو ومحروو سفر القضاة وأسفار الملوك - رأي الأنبياء بأن غالبية اليهود عبدوا الآلهة الكنعانية بجانب أو بدلا من عبادة يهوه إله بني إسرائيل. إلا أن الأنبياء والمؤرخين أيضا ومحري أسفار العهد القديم قد استنكروا ظاهرة الإيمان بتعدد الآلهة في اليهودية بوصفها أحد عوامل الكوارث المحيطة باليهود، ولقد أثبتوا أن الإيمان بتعدد الآلهة ظاهرة سائدة في الثقافة اليهودية، استحدثت فيها التوحيد وتطور، وانتشر عبر الزمن أيضا بين شعوب أخرى.

### انتصار العجل الذهبي - رمز التعددية في ديانة يهوه

عقب الحرب الأهلية القصيرة عند سفح جبل سيناء، والتي قتل فيها آلاف من عبدة تمثال العجل بقيادة هارون - الكاهن الأكبر والأول - حُطم تمثال العجل وتحول إلى فتات. وبعد مرور بضعة قرون تم تنصيبه مرة أخرى على يد يربعام الذي أصبح ملكا على غالبية بني إسرائيل، في المملكة الشمالية والتي تركز بها عشرة من الأسباط الاثني عشر تكون منهم الشعب. وأعلن الملك اليهودي أن تمثال العجل الذهبي هو إله إسرائيل الذي أخرج الشعب من مصر، على غرار ما قاله هارون بتدشينه تمثال العجل الأول. ويتضح انتصار عبادة يهوه كعجل ذهبي للجميع وهي موثقة في كتب اليهود المقدسة.

يتميز تاريخ تمثال العجل ثقافة اليهود بوصفها ثقافة متطورة ومؤمنة بالتعددية في كل عصورها. واتضح في الديانة اليهودية تعدد التصورات حول يهوه إله إسرائيل الذي أخرجهم من مصر. والإيمان بأسطورة التحرير الكبيرة، والخاصة بشعب من العبيد أصبح حرا، هو اعتقاد مشترك بين كل فئات اليهود - عبدة العجل ومعارضيه، عبدة الإله المتمسكين بديانة الشريعة والمتحررين من الديانة. ويتطابق الإيمان بتراث تاريخي مشترك مع معتقدات مختلفة ومتناقضة في اليهودية القديمة، كما في اليهودية المعاصرة. وصاحب الإيمان المشترك بتراث تاريخي في تاريخ اليهود مجموعة معتقدات تتعلق بسمات الإله المحرر والخالق والمراقب والمثيب والمعاقب، أو هذا الموجود فقط بوصفه بطلا أدبيا.

ولقد حفظت الاختلافات بين تيارات العقيدة والشعائر في العصر القديم وخزنت في الذاكرة الجمعية بوصفها سمات مميزة لليهودية من بداية تاريخ بني إسرائيل. ويُعرف

إله موسى على يد الأدباء الذين يشكلون تاريخ حياته، على أنه كيان يشكل كل ما سيكون المستقبل - والذي يقول عن نفسه "أكون الذي أكون" بمعنى "أكون ما أكون". ويطابق كيان كهذا، ذي قوى مستقبلية كامنة، المُحرك الذي لا يُحرك كما يصفه الفلاسفة الذين ساروا على إثر قول أرسطو، ولا يمكن تجسيده في تمثال أو في قناع كالألهة الأخرى. ويعد تجسيد يهوه في شكل تمثال أو في قناع يشوّه ماهية الإله، وقد أدرك موسى ذلك، وفقا لرأي الأدباء الذين صوروه في إبداعهم.

ويعلم هارون، كما في الحوار الذي في الفصل الثاني بالنص الأوبرالي "أوبراشنبرج"، أن الشعب غير مستعد لعبادة إله مجرد من كل شكل ولذلك فهو يشجع المؤمنين بالتبرع بالذهب لصنع عجل إله لهم، واعتبره كثيرون أنه الإله نفسه، وصدقوا كلام الكاهن بأن هذا، - الإله التمثال - هو الإله الذي حررهم من عبوديتهم وأخرجهم من مصر.

خرج موسى بعد انتصاره في صراع ضد العجل الأول من مضرب بني إسرائيل وأقام مركزا بديلا للقاء مع إلهه. وفي خيمة الاجتماع، التي هي خيمة التعرف على روح الإله لا تقدم قرابين، ولا يوجد كهنة ولا تماثيل، يوجد بها فقط مكان التعارف الوحيد مع إلهه الذي يشغل حيز المكان كله.

أقام بنو إسرائيل في مركز المعسكر هيكلًا، وكذلك مذبحًا جديدًا يقدم عليه الكهنة قرابين ليهوه وبذلك يواصلون النهج الوثني الذي كان متبعًا في كل هياكل عبادة الأوثان، (كما أوضح موسى بن ميمون). وينصب في قدس أقداس خيمة الاجتماع التي أقامها بنو إسرائيل لإلههم مرة أخرى تماثيل، ليس عجلا بل تماثيل كروفيم تشبه على ما يبدو كاريبو بلاد النهرين، لها وجه إنسان وجناح ضخمة لطائر أسطوري، ولقد ظهرت تماثيل أيضا في قدس أقداس الهيكل الأول والثاني بالقدس وقد اعتبرها فيلون السكندري عرضا للماهية المضاعفة للإله - الماهية الذكرية والأنثوية له، الحكمة والعدل، العقاب والثواب. كما نُصب أيضا في هيكل القدس اثنا عشر تمثال عجل ذهبي في مدخل الهيكل تحمل على ظهورها إناءً نحاسيا. ولا توجد إشارة لذلك؛ حيث إنها قد مثلت إله إسرائيل إلا أنها على ما يبدو ذكرت الكثيرين بتمثال العجل الإلهي الذي نصب في بيت إيل.

لقد انتصر العجل في هياكل يهوه بمملكة أغلبية اليهود على معارضيه، وكان على ما يبدو في نظر مبجله رمز القوة والفخر لإله إسرائيل، والذي أيضا إذا ما سحقوه وحطموه، يعود ليكون هو موضوع العقيدة والشعائر الدينية للمؤمنين بإله هذا الشعب.

منذ ذلك الحين وحتى اليوم تنقسم الديانة في اليهودية إلى تيارات كثيرة لها تصورات مختلفة عن بعضها البعض حول الإله. يرى مؤلفو كتاب "شعور قوما" (قامة مديدة) (على ما يبدو في عصر التلمود) أن الإله عملاق أضخم من الكون ويمكن تحديد مقاسات منخاربه وأصابعه، ويرى موسى بن ميمون أن كل من يجسد الإله في شكل إنسان هو كافر بالله، وأن عقيدته مناقضة للعقيدة والديانة اليهودية. ويرى مؤلفو كتاب "هيخلوت فهمرخفا" (الهياكل والمركبة) الإله على أنه ملك يجلس على عرشه محاطا بألاف الملائكة وله وزراء من الملائكة، وهو أمر جدير بملك ملوك العالم. ويرى الساترون على إثر موسى بن ميمون أنه مجرد ليس فقط من كل محسوس بل أيضا من كل تصور يستطيع الإدراك البشري تصوره. ورأى المفكرون المتصوفون في العصر الوسيط الإله على أنه كيان يملأ كل الوجود، كيان انحسر ليقبى حيز يُخلق به العالم، ورآه آخرون أنه يضاجع الشخيانه وليليت، ورأى رجل متدين مثل سبينوزا أن الإله يتطابق مع الطبيعة والوجود فهما إلهان من نفس طبيعته.

تلك التناقضات الأساسية في التصور حول الإله في اليهودية هي من رموز التعددية التي هيمنت عليها منذ فترة تأسيسها في موقف جبل سيناء وفي كل مراحل تطورها حتى عصرنا.

من ينظر إلى اليهودية على أنها ثقافة يعرف أن كل التيارات التي في ديانتها مدرجة في ديانة اليهودية وتلعب دورا في تطور ثقافة الشعب وفي حياة اليهود المؤمنين بأحد المعتقدات الكثيرة والمتصارعة والفاعلة بها، الدينية والعلمانية على حد سواء.

### ثقافة القرابين تعبير عن خوف المؤمنين بإله شخصي

كان تقديم القرابين لإرضاء الإله أو لإطعامه أساس الحياة الدينية في ثقافة بني إسرائيل بالعهد القديم كما في ثقافات جيرانهم. وتعبير ديانة القرابين عن إيمان بقدرة الإله

على الإيذاء والإيمان بضرورة وإمكانية منع شره عن طريق تزويده بقرايين حية. وكانت طقوس القربان وذبح البشر أو الحيوانات مشتركة مع الشعائر الدينية لألهة كثيرة في كل القارات.

لماذا استمر بنو إسرائيل في تقديم قرايين إلى يهوه حتى بعد أن انتشرت بينهم توراة موسى، والتي بناء عليها أصبح الإله مجردا ولا يتغذى ولا يحتاج إلى قرايين؟ وطبقا لرأي موسى بن ميمون يمكن تفسير هذه الظاهرة الغريبة بأن بني إسرائيل كانوا يعبدون الأوثان قبل أن يعرفوا توراة موسى وكانوا معتادين على تقديم قرايين حتى امتنعوا عن هذا بالتدريج على مدار قرون كثيرة؛ حيث إن البشر لا يستطيعون التوقف عما اعتادوا عليه مرة واحدة. وهذا التفسير العقلاني للتطور التاريخي للانقطاع عن عادة دينية عديمة المغزى من وجهة نظر المؤمنين باله مجرد كما في توراة موسى يلقي على كل العادات الدينية والتقليدية ضوءا جديداً. فنجد أن كثيرا منها عديم القيمة والمغزى من ناحية عقيدة الذين يتصرفون وفقا لها، لكنهم يواصلون الاحتفاظ بها من منطلق التعود، لأن هذه هي طبيعة الإنسان. فإذا ما عُرض على الذين يقدمون القرايين ليهوه التوقف عن هذه العادة؛ حيث إنه ليس لهذا الأمر أي دلالة أو دور في العلاقة بين الإنسان وإله الكون، كانوا سيتعجبون من هذا الطلب. وبماذا يشبه ذلك الأمر؟ يسأل موسى بن ميمون ويحيب: "إنه يشبه بمن يأتي إلينا ويقترح علينا فجأة التوقف عن الصلاة أو التوقف عن الحفاظ على الفرائض".

ولقد أربك ذلك التفسير التاريخي النفسي الذي عرضه موسى بن ميمون حول عادة القرايين يهودا متدينين كثيرين؛ حيث فهم منه أن عادات الشعائر الدينية كالفرائض والصلوات ليست إلا عادة تقليدية احتفظ بها الناس من منطلق تعود ومن المحتمل الإقلاع عنها عبر الزمن، لأنها ليست لها دلالة في نظر إله مجرد من كل محسوس أو تصور. كما رأى آخرون في هذا التفسير كفرا بينا مثل أفكار موسى بن ميمون الأخرى الخطيرة.

وتدل قصة الذبيح، وهي إحدى القصص العظيمة والمروعة في الأدب اليهودي، على الاستعداد النفسي (أو الذاكرة الجمعية أنه كان في الماضي استعداد كهذا) من الآباء اليهود المتدينين للتضحية ليس فقط بالحيوانات المنزلية بل أيضا بأبنائهم لإلههم، ليس فقط في ديانة مولوخ بل أيضا في ديانة يهوه، ويعبر هذا المعتقد الديني عن خوف من الآلهة ومن

أفعالهم وانتقامهم غير المتوقع. ولقد آمن البشر أن السلطة دائما في يد الآلهة فهي تفعل كل ما يحلو لها، ويستطيع الإنسان الدفاع عن نفسه وعن مصيره - مثل قربان التعسف الإلهي - عن طريق تقديم قربان يرضى به إلهه، فالقربان يعد أحد التعبيرات الانفعالية عن الإيمان بالعجز البشري الذي يوجه محاولات الإنسان للصراع مع المجهول.

تمحرت اليهودية من ثقافات القرابين عقب الثورة الدينية والثقافية التي حدثت في الانتقال من الهيكل إلى المعابد، ومن مراكز الذبح التي في بيوت الآلهة إلى مراكز الطائفة الإنسانية المخصصة للاجتماع الجماعي وللاحتفال والتعلم والصلاة. وانتشرت هذه الثورة الثقافية في العالم عن طريق مؤسسات مشابهة للمعابد والتي انتشرت عن طريق الديانات التوحيدية التي تأثرت وانبثقت عن اليهودية.

### المعبد تجدد ثوري في تاريخ اليهودية

لقد حدث في المعبد تحول جذري؛ حيث ألغيت القرابين في مركز الاجتماع والذي لم يعد بيتا للإله. وأقيمت المعابد على ما يبدو لأول مرة في بلدان العالم الشرقي (بابل) والغربي (مصر) عقب تدمير هياكل يهوه. وأدت المعابد كمراكز اجتماع جماعية إلى انقلاب ثقافي في تاريخ اليهودية وفي ثقافات شعوب كثيرة قد تأثرت بها.

والمعبد هو نقيض للهيكل في كثير من النواحي؛ فالهيكل هو بيت الإله أما المعبد فهو مركز اجتماع للبشر. والهيكل هو مكان طقوس القرابين، أما المعبد فهو مركز جماعي للدراسة والتعلم وقراءة الكتب المقدسة ٨ التفسير، والمحكمة، ومكتبة عامة ومدرسة، ومركز لمؤسسات الطائفة، ومكان للقاء في الأعياد ومراسم مواقيت دورة الحياة، ومكان للصلاة الفردية والجماعية. وكان المعبد عاملا فعالا في تأسيس وتنظيم الطائفة وتماسكها والتي احتلت مكان السبط. وبعد تدمير المركز الرسمي والديني عجلت المعابد من مسارات اللامركزية والتعددية في اليهودية. وعملت طوائف يهودية مستقلة على تطوير سمات خاصة بها وارتبطت بثقافة البلد الذي تعيش فيه، وطورت إبداعات أصيلة وتقاليد خاصة بالطائفة أو بمجموعة الطوائف التي ابتكرت تيارا جديدا في اليهودية (مثل الحسيدية).

وبفضل جموع المعابد استمرت اليهودية وديانتها في التواجد والتطور. وفي غياب دولة يهودية ارتبط وجود اليهودية بوصفها ثقافة بوجود جموع من المعابد. وفي الأماكن التي انهارت فيها جموع كتلك، تلاشت بالتدرج اليهودية وديانتها، كما في الهجرات الأولى إلى أمريكا.

وعقب تدمير الهيكل الثاني بدأت مؤسسة المعبد في الظهور في كل البلدان التي عاش بها يهود أو نصارى. وعندما تحولت الديانة المسيحية إلى ديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية احتلت المعابد أيضا مكانة الهياكل المركزية في العالم الوثني كما استمر الإسلام الذي تأثر باليهودية والمسيحية<sup>(١)</sup>، في نشر مؤسسة المعبد (المسجد) بين كل جماعات المؤمنين به شرقا وغربا.

تدل بقايا المعابد اليهودية التي ترجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد في مصر على أنه في بداية العصر الهلينستي أقيمت مراكز جماعية كتلك التي في اليهودية والتي تحدث اليونانية. وخلق المعبد وعادات التعلم وقراءة التوراة عند الجمهور الحاجة إلى ترجمة التوراة إلى اليونانية لكي يستطيع الجمهور فهم ما يقرأ. واستخدمت بشكل مماثل ترجمات التوراة إلى الآرامية للمتحدثين على معابد بلاد النهرين وفي فلسطين.

تطور في المعابد الفن التشكيلي (فصوص الفسيفساء، ورسم صور الألوان على الجبس)، ونظام التعليم اليهودي للكبار والأطفال وعادات قراءة الأدب الكلاسيكي اليهودي وفن الوعظ الذي صاحبه، وعادات التعلم، والتفسير الإبداعي والذي في إطاره ابتكرت آداب التأويل، واجتماعات إقليمية لنقاش الشريعة ودراستها ومدارس دينية

(١) سيطر على المؤلف نظرية تأثير اليهودية في المسيحية والإسلام، بل ويدعى أنها قد قامت عليها، والحقيقة أن لكل من المسيحية والإسلام دورهما في نقد اليهودية ومحاولة ردها إلى الطريق الصحيح والمنهج القويم الذي أراده الله لأتباع هذه الديانة قبل أن يحرفوه ويفسده، أما موافقة الإسلام والمسيحية في بعض ما جاء في اليهودية، فمناشأها أن جميع المتب السابوية والرسال الذين أنزلت عليهم من عند الله فالمصدر واحد والعودة واحدة وهي الإسلام.

وحول الرد على هذه الشبهات انظر: د. محمد نبيل غنيم: شبهات حول التشريع الإسلامي، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن ١٩٨٣.

لتعليم التلاميذ واجتماعات موسمية للمحترفين في شهر آذار وأيلول. (حيث يجتمع الحاخامات لدراسة التوراة وشرحها).

بالتدريج تطورت في المعابد ثقافة الصلاة وأدبها والتي جاءت عوضا عن عبادة الإله في طقوس القرايين القديمة. ولقد واصلت المعابد التطور كنهج خيارى في ثقافة الديانة اليهودية أيضا في فترة الهيكل الثاني في مقابل مراسم تقديم القرايين في الهيكل الثاني بالقدس. ولقد أقيم على جبل الهيكل نفسه معبد مجاور للهيكل تم عمله بنشاط.

لقد قدم إبداع الفن التشكيلي والتصويرى أيضا تفسيرا خاصا به للقصص والأساطير والأسفار المقدسة (انظر "جودناو" على رسوم معبد دورا أوروبوس). واحتلت الصلاة والأدعية مكان القرايين في الأعياد القومية الدينية وفي المناسبات الشخصية، ولم تعد عبادة الإله مرتبطة بذبح أو بإنهاء حياة إنسان أو حيوان.

عندما انفصلت المسيحية عن اليهودية استمرت فيها ثقافة الصلاة والمعابد لكنها ضمت في طقوسها بقايا شعائر ترمز إلى القربان البشرى: أكل اللحم كرمز لابن الإله وشرب الدم رمزاً لتضحيته. أما في اليهودية فلا يوجد تقريبا بقايا لشعائر القربان باستثناء دراسة وبحث المبادئ والقوانين التي وجهت مقدمي القرايين في الهيكل (وعادة تقديم دجاج وديوك عشية يوم الغفران<sup>(١)</sup>).

كثرت معابد اليهود مع ازدياد التشتت اليهودى في القارات المختلفة وبين شعوب لها ثقافات مختلفة وغريبة عن بعضها البعض. ولعبت المعابد في كل بلدان العالم أدوارا

(١) عيد الغفران: يحل يوم الغفران في التاسع من تشرى "أكتوبر" وهو يوم صيام عن الطعام والشراب وانشغال بالعبادة واستغفار. ويبدأ يوم الغفران قبيل مغرب التاسع من تشرى، ويستمر حتى ظهور أول ثلاث نجوم في اليوم التالى: أى في ليلة العاشر من تشرى. ويقضى اليهود طوال اليوم في المعبد يتلون الصلوات، ويعترفون بخطاياهم، ويرددون هذه الخطايا، قاطعين على أنفسهم وعودا على ألا يعودوا لارتكابها. وكان كبير الكهنة في الماضى يذهب إلى قدس الأقداس ويتغوه باسم الخالق "يهوا" الذى يحرم نطقه تماما إلا في هذا اليوم. وقد شاء القدر أن يحمل هذا اليوم المقدس لدى اليهود ذكرى أخرى لآتمحى؛ وهى ذكرى عبور القوات المصرية قناة السويس وانتصارها الباهر في يوم الغفران والذى وافق يوم السادس من أكتوبر العظيم. انظر: د. محمد بحر عبد الجيد: اليهودية. ص ١٣٥.

متشابهة - سواء بوصفها مراكز جماعية متعددة الأدوار أو بوصفها مراكز للديانة وللشعائر الدينية ولتعليم الشريعة ومناقشتها. وشجعت كثرة المعابد ووهن العلاقة بينها على تطور التيارات المختلفة في اليهودية وإيجاد صيغ مختلفة للصلاة وتفسيرات مختلفة للكتب المقدسة والشريعة، واختلاق عادات مختلفة للأعياد، والزواج والحداد. وساعدت مؤسسة المعبد بهذه الطريقة في تنمية التعددية في اليهودية بوصفها ثقافة وبوصفها ديانة. وانتمت مجموعة المعابد في نفس البلد عبر الزمن إلى قطاعات وتيارات مختلفة في اليهودية - مثل معابد إشكنازية وسفاردية في غرب أوروبا وإيطاليا، معابد الحسيديين والمعارضين لهم بشرق أوروبا وفي فلسطين ومعابد أرثوذكس وإصلاحيين في كل البلدان في عصرنا.

أحياناً يوجد اختلاف كبير بين عادات معبد وآخر حتى وإن كانا موجودين في نفس الشارع؛ حيث نجد في معبد "يشورون" الخاص بالمحافظين، والذي يقع في شارع "بنات ويست أند" في نيويورك تحريجاً لصلاة ليلة السبت، مثلاً، وسط غناء ورقص الرجال والنساء والأطفال وعلى أنغام البيانو وغناء الجمهور ويديرها حاخامات منشدون، وعلى مسافة دقائق معدودة تدار في نفس الوقت صلاة ليلة السبت في معبد توجد فيه النساء خلف حاجز عالٍ لكي لا يظهرن، وتجرى الصلاة عن طريق يهود الغرب الأرثوذكس بدون أدوات عزف وبلا غناء أو رقص ويتلو النصوص ذوو المناصب وليس كل الجمهور.

ومراسم استقبال السبت، مثل كل مراسم الأعياد في كل المعابد الدينية : الإصلاحية والمحافظية والأرثوذكسية لا تشبه مطلقاً مراسم الأعياد واستقبال السبت في المعابد العلمانية في ديترويت أو في شيكاغو والتي تديرها لجنة طقوس الطائفة بمشاركة الحاخام العلماني أو تلاميذ مدرسة الربانيين العلمانيين التابعين لتيار اليهودية العلمانية الإنسانية في الولايات المتحدة. ولا يوجد في طقوسهم الشرية والمتنوعة ذكر للصلاة أو دعاء للإله، وعوضاً عن ذلك نجد غناء وحوارا حول العيد ومغزاه للأفراد المتحررين من الديانة وحول الملزم من القيم الإنسانية التي يؤمنون بها، وحول التراث والعرف والأدوار التي أدوها ويؤدونها في ثقافة اليهود.

أدت المعابد الطائفية ونشاطاتها الدينية وغير الدينية، والهندسة المعمارية المميزة لها،



والإبداعات الفنية التي ابتكرت بها، والوثائق التي جمعت بها، والعادات والتقاليد الخاصة بها دورًا في تطور اليهودية بوصفها ثقافة تؤمن بالتعددية منذ تأسيسها وحتى اليوم.

تواصل المعابد الطائفية، في كل التجمعات اليهودية في العالم، العمل حتى في عصرنا - ومعظمها كالمعابد الدينية التي تعمل طبقا لصيغة أحد التيارات في الديانة اليهودية.

وتدل التجربة الكبيرة التي جمعتها اليهودية بتفعيل معابد كمراكز جماعية ثقافية على التواصل والتواجد، وعلى نشاطها وضمها أطرا ثابتة للنشاط الروحاني والتعليمي والتثقيفي؛ حيث طقوس أعياد في مواعيد ثابتة يديرها معلمون ذوو ثقافة يهودية وثقافة الشعوب ولديهم موهبة وقدرة على النشاط الطائفي. تجربة مارتن بوبر لإقامة مدرسة لمعلمي الشعب، مثل محاولات الحركة العلمانية الإنسانية في الولايات المتحدة لتأهيل مرشدين ومعلمين لعشرات الجماعات، يرغبون في التعامل مع الاحتياجات الروحانية والجماعية لغالبية البشر، احتياجات لا يمكن توفيرها بدون أطر النشاط الطائفي مثل المعابد التي طورتها اليهودية.

### تأثير ثقافات الشعوب على اليهودية وأسماواتها في ثقافتهم

تتضح تأثيرات ثقافات الشعوب على الإبداع والديانة والثقافة اليهودية في كل عصورها التاريخية. وتبرز في تطور الثقافة والإبداع اليهودي تأثيرات ثقافة بلاد النهرين ومصر وكنعان واليونان والمسلمين والمسيحيين، وبداية من القرن الثامن عشر تظهر تأثيرات الثقافات الأوروبية والأمريكية المتحررة من الديانة.

تبرز أيضا تأثيرات إبداعات وثقافات أخرى أيضا في إبداعات أصيلة ومتميزة ألقت في اليهودية، كما في كل الإبداعات الأصيلة التي في كل الثقافات. وعلى نقيض اتجاهات كثيرة من مدرسة نقد العهد القديم والتي أكدت التشابه بين المواد السردية لأساطير الشرق القديم بتلك التي في العهد القديم، ويبرز في عصرنا الاختلاف بين الإبداعات اليهودية الأصيلة وبين تلك التي أثرت فيها. وعلى خلفية معرفتنا بأساطير بلاد النهرين القديمة الخاصة بالخلق وجنة عدن تبرز أصالة قصة الخطيئة الأولى للإله يهوه

الذي يجرم المعرفة والحكمة، وقصة التمرد وانتصار المرأة على خالق العالم، بمنحها البشرية المعرفة والحكمة رغم غضب الإله، وهي تشبه برومتاوس التي تمنح البشر النار رغم تحريم زيوس هذا.

لا توجد إبداعات في أي ثقافة قومية لم تتأثر بثقافات قومية أخرى، وعلى ذلك تتحول كل دراسة حول إبداعات ثقافة شعب ما إلى دراسة صلاته وعلاقاته الثقافية مع ثقافات شعوب أخرى تأثرت بها أو أثرت فيها.

يكشف دمج كهذا بين دراسة اليهودية وبين دراسة ثقافات الشعوب الأخرى أيضا العلاقة بين تأثير اليهودية - عن طريق المسيحية والإسلام - على ثقافات الشعوب الأخرى في مجالات الديانة والفكر والآداب والفنون والمجتمع والطائفة، والمعابد وراحة السبت والأعياد والعلاقات بين الدين والدولة.

ولقد وُسمت أشكال الاحتفال التي تشبه حفلة سمر في أشكال احتفال أصيلة كما في احتفال ليلة عيد الفصح<sup>(١)</sup> الذي تبلور في العصر الهلينستي وضمّ تأثيرات واضحة لشكل الحفلة مثل جلوس المحتفلين حول مائدة، وأربع كؤوس والمزج بين الطعام والشراب والحديث والقراءة.

ميزت أشكال الحوار المفتوح، والقضايا والمشكلات التي تفتح كل تلخيص وفرضية، النتائج التلمودي وتأثرت أيضا بثقافة الحوار اليوناني والمعروف لنا من خلال كتابات أفلاطون. ولقد طورت إبداعات الحوار الأصيلة في التلمود الشريعة اليهودية، وولدت أدب حوار وثقافة وضمّت تفاسير وقصصًا وجنوحًا عن موضوع النقاش، وهي

(١) عيد الفصح: هو عيد خبز الفطير وموسم الحج والعيد. ويحتفل به بمناسبة عبور موسى النبي البحر، بعد نجاته بنى إسرائيل - مما يعتبر اليهود العبودية في مصر ورحيلهم عنها - ويأكل اليهود في هذا العيد خبزًا بخميرة وملح تذكيرا لهم بأنهم عند فرارهم من مصر مع موسى لم يكن لديهم وقت لوضع الخميرة والملح. ويبدأ الاحتفال بهذا العيد يوم الخامس عشر من شهر نيسان (إبريل) بالتقويم العبري، ويستمر سبعة أيام، ويحرم العمل في اليومين الأخيرين لأنها يعتبران يومين مقدسين ووقت هذا العيد هو وقت قيام اليهود بزيارة إلى القدس.

من عناصر الإبداع الكبيرة التي تمثل ثقافة اليهود في العصر الهلينيستي. ولقد أثرت تأثيرات ثقافة اليونان دون أن تقلل من أصالتها.

ويبرز تأثير الفن اليوناني على الفن الذي تطور في المعابد - في فصوص الفسيفساء وفي رسم الصور الملونة على الجبس والتي سادت وأسست نهجًا للفن اليهودي شرحه بالتفصيل "سسل روث" و"بتسلال نركيس". وكانت تلك الإبداعات من المراحل الأولى، ومن مصادر الإلهام لفن الكنائس القديمة، ومنها تطور فن الرسم المسيحي في العصر الوسيط.

لقد أثرت مبادئ الديمقراطية وترجيح رأي الأغلبية، والتي كان اليونانيون أول من أسسها وأرساها، أيضا تأثيرا حاسما على اليهودية. وفي الوقت الذي آمن كثيرون في عصر العهد القديم أن هناك أناسا يتحدثون باسم الإله وهم مصدر الحكم الفعال والوحيد آمن حاخامات التلمود أنه لم يعد إنسان يستطيع الحديث باسم الإله؛ وعلى ذلك فإن البشر في نقاشاتهم وآرائهم الديمقراطية هم الوحيدون الذين يستطيعون أن يقرروا التغيير في الشريعة والقوانين. وشجعت تلك المبادئ الديمقراطية التعددية في اليهودية بياراتها واختير في طوائف كثيرة زعماء الطائفة، فالطائفة تختار قادتها وتستطيع عزلهم.

تحدد طوائف دينية في تيارات يهودية كثيرة صيغ صلاتها والتغيرات التي تطلب إدخالها على الشرائع والتي يتصرفون طبقا لها، وذلك من خلال لجان منتخبة.

تبرز تأثيرات أساطير شرقية قديمة، سومرية، كنعانية، هندية، في تطور الميثولوجيا الصوفية اليهودية، وفي تشكيل الإلهات والقصص التي تشترك بها، كما أوضح "فناي". فظهرت تأثيرات هندية على القبالة، واكتشفها "شولم"، لكن كلما اتسع البحث في الميثولوجيا القبالية كلما ظهرت الجوانب المتشابهة بين سمات الإلهات اليهوديات - الشخيانه ولييت - وبين إلهات الهند وعلاقتها مع البشر والآلهة الذكور. وتشكل التأثيرات الأجنبية مصدرا لإلهام لإبداع يهودي أصيل - مثل كتاب "الزهر"<sup>(١)</sup>، الإبداع

(١) الزهر: وأنكار القبالة يتضمنها كتاب اساس شهير هو كتاب الزهر (الضياء) ويمثل هذا الكتاب الاتجاهين العملي والنظري وقد ظهر هذا الكتاب حوالي سنة ١٣٠٠ م. وهذا الكتاب جزء منه بالعبرية وآخر

الكبير (أكثر من مليون كلمة) الذي يحتوي بداخله فصول ميثولوجيا جديدة في اليهودية، فصول قد أثرت في تطور اليهودية الدينية ووقفت معارضة بشدة للاتجاهات العقلانية التي تطورت في مقابل هذه الثقافة.

تزداد منذ عصر النهضة الأوروبية والتنوير اليهودي وحتى وقتنا هذا تأثيرات ثقافات الشعوب الغربية على اليهودية، وتأثيرات مبدعين يهود على ثقافات شعوب الغرب. ويلعب اليهود في القرن التاسع عشر والقرن العشرين أدوارا رئيسية في الإبداع الثقافي الغربي في أوروبا وأمريكا. وتكشف إبداعاتهم وإبداعات أدباء أوروبا الكبيرة (مثل جويس وفروست) عن اندماج اليهود في تلك الشعوب وثقافتها ومجتمعاتها، ومدى تميز اليهود وتفردهم.

لقد تطورت اليهودية تطورا سريعا ومتعدد الوجوه في كل الفترات التي كانت فيها اليهودية مفتوحة على تأثيرات ثقافات الشعوب - منذ فترة العهد القديم وحتى القرن العشرين مع توقفات قصيرة في تاريخها، عندما تغلبت اتجاهات الانغلاق أمام تأثيرات كتلك على اتجاهات الانفتاح، وتوقف تطور الإبداع اليهودي وثقافته كما في مجالات اليهودية الحريدية.

### العهد القديم والتوحيد والسبت والمعبد، إسمامات اليهودية في ثقافات الشعوب

انتشرت معتقدات وأفكار التوحيد اليهودي في العصر الهلينستي وفي الإمبراطورية الرومانية بين شعوب كثيرة ظهرت فيها جماعة "أتقياء يهوه" والتي لم تنضم إلى الديانة اليهودية ولم تتمسك بفرائضها الكثيرة، ولكنها آمنت بوحدانية إله إسرائيل. كانت تلك الجماعة جزءا من الجمهور الذي توجه إليه اليهود المسيحيين المتجولين مثل "بولس"، والتي اقترحت ديانة مشابهة لليهودية دون التزام بالحفاظ على فرائض الشريعة.

بالآرامية، ويتكون كتاب الزوهر في النسخة المطبوعة من ٢٠٠٠ صفحة. ويتخذ الزوهر في تفاسيره أربعة مناهج هي: التفسير الحرفي لتفسيرات باطنية للتوراة - والرمز، والتشريع، والسرى. وقد غالى القباليون في التفسيرات الرمزية.

انظر: رشاد الشامي الرموز الدينية في اليهودية. ص ١٦١.

ومع انفصال المسيحية اليهودية عن اليهودية، وتحولها إلى ديانة رسمية للدولة الرومانية ازداد تأثير المؤسسات اليهودية، عن طريق المسيحية، وبعد ذلك عن طريق الإسلام.

تبرز تأثيرات اليهودية تلك في إبداعات خاصة تطورت بها واحتضنتها شعوب كثيرة في كل القارات: عقائد توحيدية وإبداعات أدبية وفكرية يهودية من عصر العهد القديم والعصر الهلينستي، وعصر العهد الجديد، وبعض من أعياد بني إسرائيل والتي اتخذت شكلا ومضمونا جديدين، ومؤسسة السبت وتأثيرها على تنظيم الزمن الإنساني، والمعبود وتأثيره على تنظيم المجتمع في جماعات ثقافية بين شعوب الغرب. وانضمت إبداعات العهد القديم العبري إلى إبداعات كلاسيكية في تراث ثقافة شعوب كثيرة، وكانت مصدر إلهام لإبداعات أدبية وفنية ودينية وسلوكية في تلك الشعوب.

لقد انتشرت أسس التوحيد الأخلاقي كتصور نُسب إلى موسى وطبقا له فإن الإله هو واحد ومجرد ويطلب بالعدل، وأحد الأبطال الرئيسيين في أسطورة تحرير العبيد بقيادته. ويرى الأنبياء أن توراة موسى هي توراة الصدق والعدل، وطبقا لها يجب تفضيل العدل الاجتماعي على فرائض الشعائر الدينية. ويلخص هليل "التوراة كلها" في أنها قيمة سامية لمبادئ أخلاقية إنسانية؛ حيث مبدأ "ما تبغضه لا تفعله لغيرك".

كانت وحدة العالم الإلهي في كيان خالق يطلب بالعدل، فكرة سائدة في كل ثقافات الشعوب التي قبلت أفكار التوحيد اليهودي عن طريق المسيحية والإسلام. وتطور التوحيد اليهودي في كل واحدة من تلك الديانات في صورة مميزة لها وتيارات قد تطورت بها لكن مع هذا فقد حُفظ المبدأ المشترك لوحدة الإله ومبادئ العدل الاجتماعي المنشودة من خلاله.

كان يوم السبت تمجيدا غير مسبوق في النظرة إلى الزمن وتقسيمه طبقا لاحتياج الإنسان وشرائع المساواة الخاصة به - شرائع الراحة التي تسري بمعيار متساو على الرجال والنساء، وعلى الآباء والأبناء، والسادة والعبيد والإماء (بها فيها المبادئ الإنسانية التي تلزم منح راحة حتى لحيوانات المنزل).

وغير السبت كيوم راحة وفراغ من الأعمال وواجبات الأشغال، النظرة الإنسانية للزمن، فلم يعد زمن الآلهة والطبيعة والتي تتجلى دورته فقط في فصول السنة وحركات الأجرام السماوية ودورة حياة الآلهة وموتها، بل في زمن الإنسان، وتبدأ وحدة الزمن من وقت الأسبوع الإنساني إلي أن ينتهي بيوم مخصص للراحة وللثقافة وللفراغ وتوقف كل أفراد المجتمع عن العمل.

شوه في أقسام محددة من اليهودية مفهوم السبت بسبب تراكم محرمات لنشاطات مختلفة ومتغيرة والتي تجس الممثلين لها في مكان ضيق داخل بلد أو حي، وتمنعهم من معظم النشاطات التي تتيح الاستفادة من وقت الفراغ والنشاطات الثقافية. ولا تضر تلك التحريات بسبت أغلبية اليهود في عصرنا وبمليارات الناس في العالم الذين تبنا مبدأ السبت وحولوه إلى جزء من ثقافتهم. ويحتفل الناس في معظم الشعوب والبلدان في العالم بيوم السبت كيوم مخصص للفراغ، وفي الآونة الأخيرة مدوه في الغرب إلى يومين في الأسبوع.

يعد المعبد الذي جاء، كما أسلفنا، عوضا عن الهيكل ويمثل التوقف عن شعائر القرايين هو أيضا تجديدا غير مسبوق في ثقافة الشعوب. وتأتى مؤسسة المعبد اليهودي، التي انتشرت كمركز اجتماع لأهداف جماعية متنوعة لدى كل الشعوب الواقعة في دائرة تأثير ديانات التوحيد، عوضا عن الهياكل بأنواعها والتي شكلت بؤر الثقافة في كل المناطق التي عاشت بها تلك الشعوب. وساعدت الكنائس والمساجد على انتشار مراكز لتعليم وتثقيف البالغين والأطفال لدى الشعوب المؤمنة بالتوحيد، كما خلقت وشجعت منظمات جماعية تطوعية، وروابط اجتماعية غير قائمة على قرابة أسرية أو أصل قبلي.

انتشر من خلال المراكز الجماعية الدينية الأدب الكلاسيكي اليهودي في العالم كله بجانب الكتب المقدسة للديانة المسيحية والديانة الإسلامية، والتي حُسبت على الأدب اليهودي أو قامت عليه. وكانت المعابد بؤرًا وتعابير لإبداعات فنية في مجالات هندسة المعمار والموسيقى والتصوير والنحت والبلاغة والأدب. ولقد منحت دراسة الكتب المقدسة، والإنصات إلى التفاسير الأسبوعية ومشاركة أناس خارج إطار الكهانة الدينية، وأدب التفسير الذي تطور في كل تيارات الديانات التوحيدية، مضامين جديدة للحياة الثقافية لقسم كبير من الأفراد في الثقافات المؤمنة بالتوحيد.

وتحولت تحت تأثير اليهودية دراسة الكتب المقدسة التي ضمت أسس التراث الثقافي للشعوب إلى ميراث عام وليس خاصًا في مجال عمل رجال الكهنوت فقط. وانتشرت أيضا مهارات القراءة المرتبطة بهذا النشاط تحت تأثير اليهودية وتحولت إلى أحد حركات تطور الثقافة الشخصية والجماعية في كل الشعوب.

لم يوجه نظام الثقافة الجديدة لتأهيل ذوي حرفة أو صفة حاکمة فحسب؛ بل للثقافة نفسها ولكي يشارك الجميع بها لإثراء فكره وتجربته ويعرف تراثه الثقافي.

تلك الإسهامات اليهودية في ثقافات الشعوب، التي عاشت في إطار تأثير ديانات التوحيد، وساعدت مبدعين في تلك الثقافات على ابتكار إبداعات أصيلة بعيدة عن الإبداعات اليهودية التي أثرت فيها، تماما مثلما ابتعدت الإبداعات اليهودية الأصيلة عن إبداعات ثقافات الشعوب التي برز تأثيرها الكبير فيها، ولكن تعاملت كثير من إبداعات ثقافات الشعوب المؤمنة بالتوحيد مع تاريخ اليهود وأبطاله على أنه جزء من تاريخ شعبهم، وتعاملوا مع إبداعاتهم على أنها جزء من تراث ثقافتهم القومية (مثل: قصص الخروج من مصر، تمرد المكابيين، أقوال الأنبياء وغيرها).

بدأت اليهودية التي أثرت في الثقافتين المسيحية والإسلام تتأثر بهما، من خلال ثقافتيهما وإبداعاتهما إثر بلورتهما كثقافات منفصلة عن اليهودية. وتظهر تلك التأثيرات في أنماط الحياة والملبس ومراسم المعبد والعلاقة بين الجنسين، واللغة وأسلوب الحديث والأساطير الصوفية في اليهودية، والأفكار المسيحانية التي تتبلور بها. وفي عصرنا يظهر التأثير في مسارات العلمنة والثقافة التي تطورت في المجتمعات المسيحية وتبنتها حركات كثيرة في المجتمع اليهودي.

### تأثير الميثولوجيا الصوفية على التعددية في اليهودية

كما أسلفنا لم يكن هناك تطابق بين "اليهودية" بوصفها ثقافة اليهود وبين التوحيد الأخلاقي الذي يؤمن بخصوصية الإله وتجرده، وحثه على الصدق والعدل كما ظهر في فكر موسى سلفا. عاش التوحيد في اليهودية بجانب ديانات ومعتقدات تؤمن بالتعددية وتؤيدها. وللهولة الأولى يبدو هذا اللقاء بين التوحيد والتعدد في ثقافة واحدة مستحيلا،

ولكنه يعود ويظهر في الديانة المسيحية عندما انفصلت عن اليهودية وعن ثقافات شعوب كثيرة، مثل الثقافة المسيحية المكسيكية، والتي تحتفظ بمعتقد وشعائر لآلهة قديمة حتى بعد أن اتخذت المسيحية ديانة.

ويصف تاريخ الديانة وديانات اليهود اللقاء داخل الديانة اليهودية القديمة، تلك التي تؤمن بإله مجرد وواحد (كما في التوراة التي تنسب إلى موسى) في مقابل إله مجسد في تمثال العجل، مثل آلهة الشعوب الأخرى (كما في توراة هارون). ويسود في يهودية العهد القديم ديانتان هذه بجانب تلك، بجانب ديانات كنعانية تشمل عبادة البعل وعشروت وأشير والمولوخ وكموش وآخرين.

آمن يهود كثيرون، طبقا لوثائق كثيرة في العهد القديم، بأن هؤلاء هم آلهة حية. وعندما اختفت الآلهة الكنعانية من اليهودية (بعد العودة إلى صهيون) تسللت التعددية لليهودية وإلى ديانتها عن طريق الأدب والحركات الصوفية ومن خلال الميثولوجيا التي تحي كيانات إلهية علاوة على يهوه. وتتطور هذه الميثولوجيا المؤمنة بالتعددية وتؤثر على تيارات رئيسية في الديانة اليهودية في العصر الوسيط، بتأثير كتابات القبالة ومعتقداتها، وبخاصة عن طريق حركات الحسيدية والتيارات الدينية الأخرى والتي تعتبر القبالة جزءا من الديانة اليهودية حتى لو كانت ترفض باقي مبادئ الحسيدية.

يعد تعدد الكيانات الإلهية؛ ملائكة، شيطان، جن، عفاريت، وإلهات كالشخيانه وليليت، تغييرا جوهريا حول تصور الإله الخاص والمجرد من كل صورة ومفهوم إنساني ويحوّله إلى ساكن أوليمبوس جديد نشأ بكلماته وبقصص مبتكره من البشر، مثل الأوليمبوس الوثني في كل ثقافة أخرى.

### تعدد الآلهة والإلهات يتسرب إلى الديانة اليهودية

تضيف الأسطورة في الديانة اليهودية، مثل الديانة المسيحية، إلى الإله آلهة أخرى - نسوية وذكورية. ويحظى الإله، الذي كان بلا سيرة ذاتية في اليهودية القديمة، بأم إلهة في المسيحية وزوجة إلهة في اليهودية. وتبلورت الإلهات اللاتي عبدهن يهود في ثقافتهم، لكن خارج ديانتهم، عن طريق الميثولوجيا الجديدة وتحولن إلى جزء من العالم الإلهي اليهودي.



ساد الإيمان بإلهات الخصوبة النسوية وعبادتهن، واللاتي كن منتشرات في كل الشرق القديم، أيضا في ثقافة اليهود. ولكون يهوه إلهًا متميزًا وذكريًا، طبقًا لتوراة موسى، فقد تاق يهود كثيرون إلى الإلهات النسوية واللاتي تشكلن في ديانات الجيران.

تبدو شعبية الإلهات، مثل عشتروت، بوضوح سواء في الاكتشافات الأثرية (تمائيل إلهات في بيوت خاصة) أو في إبداعات أدبية العهد القديم التي تعبر عن واقع روحاني وثقافي كان معروفًا للذين كتبوه. وفي تلك القصص حتى إياهو لا يجرؤ على حرب أنصار عشتروت. وطبقًا للدلائل متكررة في العهد القديم فقد احتلت الإلهات النسوية والأمهات مركز الحياة الثقافية الدينية لغالبية اليهود، وبناء على تلك الدلائل فقد تأثرت اليهودية بثقافات الشعوب الأخرى عندما تحول اليهود من جماعة متجولة في الصحراء إلى جماعة تحتل أرض كنعان. وعادت أشيرا - أم الآلهة الكنعانية - وأدخلت إلى الهيكل الأول في القدس، عقب كل مرة تم أخراجها منه، على يد الملوك الذين أرادوا تطهير هيكل يهوه من وجودها. ولقد وُجد تمثال أشيرا في هيكل يهوه حوالي ثلثي فترة وجوده التي تصل إلى ٣٧٠ عام (طبقًا لحسابات رفائيل فتاي في كتاب "تلك العبرية").

يتصارع الإيمان بإلهات الخصوبة والأمومة وعبادتها مع الخوف من المخاطر التي تهدد القدرة على الخصوبة والتكاثر في الأسرة وفي الزراعة. ويعد وجود التماثيل التي تمثلهم وتعبر عن تبجيلهم أمرًا ضروريًا لكل من أراد تأمين مستقبل أسرته وزراعته.

يرتبط الناس نفسيًا وروحيا ارتباطًا أوليا بالأب والأم، ويستمر هذا داخلهم حتى بعد موتهم. وتستمر أيضًا شخصية الأم بعد موتها في تأدية أدوار مركزية في حياتنا، كانت قد أدتها في حياتنا قبل موتها - في الأحلام وفي التخيلات وفي الذكريات وفي اللاوعي. كما تشكل المرأة والأم بوصفها كيان يجب ويعاقب بؤرة الانفعال والغريزة والتي تؤدي أدوارًا مركزية في الإدراك أو داخل اللاوعي، وداخل عمل فني وديني لكيانات إلهية نسوية - جميلات وطيبات أو متועدات وقاسيات، إلهات حب وحرب، إلهات كربات وشريرات. وتظهر إلهات كتلك في كل الديانات والثقافات، في إطار ثقافات تطورت فيها اليهودية - من الهند حتى اليونان.

عندما توقف اليهود عن عبادة إلهات في إطار شعائر الديانات الأخرى، بدأ مبدعو الميثولوجيا الصوفية اليهودية في إدخالهن إلى الديانة اليهودية نفسها. فظهرت الشخينات ولبليت كإلهات نشيطات في الميثولوجيا اليهودية الجديدة والتي تطورت في العصر الوسيط والتي ترسخ بجذورها في الأساطير وفي الأدب الصوفي لفترة التلمود.

وكان وضع المرأة المتدني في المجتمع نقيضا صارخا لقوة المرأة بوصفها أم وإلهة مسيطرة تحب وتعاقب وتشتهي. وعندما رفعوا المرأة إلى درجة إلهة أمكن التوفيق قدر الإمكان بين هذين النقيضين. ويبرز في كل الثقافات التي تضطهد النساء حاجة المؤمن لكيان إلهي - نسوي وأموي - إلهة حب وعقاب.

تعضد الكتابة المنقوشة "يهوه وأشيرأ زوجته" على الخزف الذي اكتشف في النقب ويعود إلى عصر مملكة يهودا، التخمين بأنهم كانوا يؤمنون في ذلك الحين بأن يهوه ليس الإله الوحيد في العالم الذي حُكم عليه بالوحدة والتنسك، وأنه مثل بعل فهو أيضا يحظى بصحبة إلهة وهي زوجة أشيرأ. إلا أنه ليس لدينا سند على هذا في العهد القديم أو في مصادر قديمة تعود لتلك الفترة. وترسخ في فترة أكثر تأخرا - وبخاصة عقب شهرة كتاب الزوهر وانتشاره - فكرة وجود الإلهة في اليهودية الدينية عندما تتحول الشخينات من تصور إلى شخصية محددة، وتتحول لبليت إلى بطلة قصص مهددة وموطدة لوجودها في وعي المؤمنين بها.

### إيمان بآله على هيئة إنسان في ميثولوجيا اليهودية القبالية

يعد الكتاب القديم "شعور قوما" (قامة مديدة)، الذي يصف مقاييس الإله الكبيرة وهي مقاييس أكبر من العالم ويسهب الكتاب في تفاصيل مقاييس أعضائه، أحد التعبيرات المجددة لتجسيد الإلهية في اليهودية، والتي كانت بدايتها في إصحاحات سفر التكوين.

وتصبح الكيانات الإلهية التي تسكن السماء حقيقة ملموسة في الحياة الثقافية والروحية لقسم كبير من المتدينين. ويرى آخرون مثل موسى بن ميمون أن كل محاولة لإضفاء الطابع الإنساني على الإله بمثابة كفر بيتن. وتمنح القصص التي تدور حول

علاقات الإله الجنسية مع الشخيناه وليليت والعلاقات الجنسية للإلهتين مع مخلوقات ذكرية أخرى حقيقة ملموسة جديدة للكائنات الإلهية التي تسكن العالم الإلهي، فيما وراء هذا العالم.

وفي عقيدة اليهود الذين يؤمنون بكل هذا تزور مخلوقات الآخرة أيضا هذا العالم، وعلى ذلك فإن عالمنا مكسب بعيون الجن والعفاريت، يحيطون بنا ولكن لا نراهم، وأحيانا يوجد من يلتقي بهم، وورد هذا في تحذيرات حاخامات كبار من مقابلتنا مع كبار العفاريت والشياطين أو مع مبعوثين آخرين للشيطان. كما أن ليليت أيضا تتجول في العالم والتقت، في حكايات مشابهة، مع صديقين أقوياء وأناس عجززة، وورد هذا في حديث يوسف كارو، على سبيل المثال، مع "الملاك والشخيناه". وبقدرتهم تم إملاء ما هو موجود في كتاب "شولحان عاروخ" (المائة المرتبة).

وفي مقابل يهوه الموجود في العهد القديم، الذي يفتقد الحياة الأسرية، ابتكر في الميثولوجيا اليهودية الجديدة تاريخ للحياة المفصلة للمخلوقات الإلهية. فـ "مترون"، على سبيل المثال، نائب ملك الملوك كان ذات مرة إنسانا ويدعى "حنوخ" (المذكور في سفر التكوين كمن أخذه الإله)، ولكن طبقا للأسطورة الجديدة لم يأخذه الإله إلى السماء بل أخذه الملاك عنفيثيل.

ولقد ارتفع مترون في الدرجات الملائكية حتى أصبح أسمى من الجميع، وعندما وصل المارق الملحد "اليشع بن أفويا" (المذكور أيضا في قصص الرحلات الميثولوجية تلك) إلى السماوات العلا ورأى مترون جالسا على كرسيه، تعجب وسأل "هل توجد سلطتان في السماء؟ لأنه ونحن نعلم أن الملائكة لا تستطيع الجلوس، لأنها بلا ركبتيين، وعلى هذا الخطأ الذي أخطأه مترون، عاقبه الملاك عنفيثيل بلهيب - كتل نار تؤلم الملائكة.

ويمكن أن تعد قصص كتلك مجرد نماذج وتصويرات تعبر عن آراء ولا تهدف إلى عرض واقع، ولكن في نظر مؤمنين كثيرين لا يوجد حد يفصل بين الواقع والأسطورة. ومن وجهة نظرهم فإن العالم يمتلئ بأبطال تلك القصص والتي تطورت وكثرت في أدب العصر الوسيط.

وتعتبر قصة "ليليت" نموذجا لاستخدام الأسطورة في التفسير الباطني والخيالي نصوص توراتية بسيطة، والتي تشكل تعبيراً عن مواقف أيديولوجية لا تقبل التأويل حول المكانة المستحقة للمرأة في الأسرة والمجتمع الإنساني. فكانت ليليت حسب أحد لتفسير في الأصل هي المرأة الأولى التي خلقها الإله (كما في الإصحاح الأول من سفر التكوين، والذي يؤمن أديبه بالمساواة بين الرجل والمرأة وبقدمها، ومساواة نسب كل ذرية الذكر والأنثى الآدمية الأولى، والذي يطلق على كليهما "إنسان" وقد خلقه الإله على شكله وهيته). ولأن هذه المرأة الأولى (ليليت) قد توقحت مع زوجها وطلبت أن تكون متساوية معه في كل شئ بما في ذلك أسلوب العلاقة الجنسية، فقد طردها الإنسان وبقي بمفرده. وخلق الإله له امرأة جديدة (كما في قصة السبات التام في الإصحاح الثاني من سفر التكوين، والذي يصف فيها الأديب المرأة كمخلوق ثانوي وأخر المخلوقات التي خلقت، مصنوعة من عضو أخذ من جسد الرجل لكي تكون خادمة له).

لقد خلقت هذه المرأة الجديدة وكل النسوة، طبقاً لهذه القصة، لهدف واحد لتكون خادمة خاضعة كالأمه، تخدم الرجل المسيطر عليها، وألا تتوقع وتلبي احتياجه الجنسي طيلة أيام الشهر عدا أيام الحيض، بسبب النجاسة التي تتعلق بها، وحسب قصة أسطورية أخرى فهذا الحيض نتيجة علاقاتها الجنسية مع الثعبان والتي نتج عنها ولادة "قايين"؛ للدلالة على أن هذه المرأة الجديدة قد أخطأت أيضاً وتنجست في جزء كبير من كل شهر.

وواصلت ليليت طريده الإنسان الأول التجوال في العوالم والمشاركة في مضاجعات شيطانية كثيرة، لإلهه ولامرأة من نوعها، واستمرت في تهديد كل من يصادفها في طريقها.

وبسبب جلاء الشخيناه، مع تدمير الهيكل (الذي كان أيضاً هيكل جماع الإله مع الشخيناه، طبقاً للأسطورة التي تتطور) فقد أدت ليليت دورها واضجعت معه لكي تخلصه من وحدته.

يمكن القول إن كل هذا ما هو إلا تخيلات رمزية لأفكار مجردة والتي هي جزء من الرؤية القبلية للكون. ومن الصعوبة رؤية علاقة بين تلك الأساطير والنظرية القبالية

الخاصة بإسحاق لوريا التي تقول: إن الخلق بدأ باغتراب الإله داخل نفسه وبتقلصه لكي يبقى مكان للعالم وللنور المخزون، وللأدوات التي تحطمت بانفجاره، أدوات يكون بإصلاحها وإصلاح العالم الخلاص ونهاية التاريخ. ويوجد في العالم الروحاني للمؤمنين الأقل حكمة في اليهودية تجسيم للشخصيات الفاعلة في الميثولوجيا التي طورها أدياء ورواة القصص المدرجة أو المنبثقة أو المتأثرة بالميثولوجيا اليهودية الجديدة، وقد حولتها القبلاء المنتشرة في اليهودية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، بفضل الحسيديّة ومؤيديها، إلى أحد العناصر المهمة في اليهودية الدينية.

ولقد تطورت في ثقافات وديانات أخرى مثل تلك أساطير. وتصل الميثولوجيا في اليهودية وديانتها إلى ذروة تطورها بعد حوالي ألفي عام من تكوينها كديانة تؤمن بالتوحيد وقبل فترة نهاية هيمنتها على الثقافة اليهودية.

ولعبت الميثولوجيا اليهودية الجديدة أدوارا في الثقافة الدينية والعلمانية معا. فقد أثرت الأدب الشعبي والأدب العلماني اليهودي بقصص وإبداعات كثيرة ومتنوعة. ونظرت القصص والأساطير التي سادت لدى الشعب إلى الكيانات اليهودية الجديدة - الإلهات والشيطان والعفاريت والملائكة والأرواح - على أنها كانت مواد قصصية في إبداع مؤلفين يهود أبدعوا مؤلفات خارج إطار الديانة وثقافتها، مثل: إبداعات ي. ل. بيرتس، ش. ي. عجنون، بشبيس زينجر، وملمود، وغيرهم.

في نهاية القرن العشرين، مع انتشار الإلحاد بأنواعه في الغرب وفي اليهودية تتوطد بجانبه معتقدات سحرية وصفوية تبدو للمؤمنين بها تعابير روحانية مفقودة في حياتهم. وهذه المعتقدات متأثرة بالأدب القبالي والميثولوجيا التي تطورت عن ذلك الأدب، ويتركز مجددا على الاهتمام بهذا التيار في اليهودية.

### أدب العمد القديم بوصفه مصدر العالم لإبداعات يهودية معاصرة

تمثل الإبداعات اليهودية وغير اليهودية - من الفكر والأدب والمسرح والسينما والفلسفة والفن - يهودية القرن العشرين. فالقرن العشرين هو أخصب وأثري فترة في تاريخ إبداع اليهود؛ حيث ابتكرت فيه إبداعات يهودية بكل اللغات وفي كل البلدان وكل

أنواع الفن ووسائل الإعلام. ويُعرض تاريخ اليهودية بوصفها ثقافة اليهود في القرن العشرين في إبداعات يهودية لأدباء وفلاسفة وفنانين ومبدعي مسرح وسينما وتليفزيون يشاركون في تشكيل ثقافة الشعب ويعبرون عن التحولات التي طرأت عليه.

لقد ألفت معظم تلك الإبداعات في ظل اليهودية المتحررة من الديانة؛ حيث عاش بها ويعيش معظم اليهود في القرن العشرين. كما أن الإبداعات التي تنسب إلى يهود متدينين أو إلى القضايا المتعلقة بعلوم اللاهوت اليهودية قد ألفت أيضا معظمها بعيدا عن يهودية ديانة الشريعة، ولا تتطابق مع رؤية دينية أو تشريعية. ومن ي. ل. بيرتس وحتى كافكا وبشبيس رينجر، من هيانا وحتى عميحاى، من جولدفدان وحتى فدى إيلان، من بوبر وحتى يشعيا برلين، ومن مندلسون وحتى برنشتين، من أينشطين حتى ديتسنجر - يمتد إبداع اليهود الذين يعبرون عن اتجاهات تطور اليهودية المعاصرة واندماجها في ثقافة الغرب. وكون أن كثير من تلك الإبداعات هي جزء لا يتجزأ من ثقافات شعوب أخرى فهذا لا يغير من مكانتها في اليهودية، تماما مثلما أن إبداعات العهد القديم هي جزء من الثقافة اليهودية وأيضا كثير منها تتبناها شعوب أخرى.

والمبدعون اليهود في القرن العشرين أحرار في الحكم، وفي قول ما يفكرون فيه، بلا خوف من مخالفة قوانين التابو الديني أو تدنيس ما هو مقدس وبدون تصادم بين أفكارهم وإيمانهم. ومن هذه الناحية فهم يمثلون مسارات علمنة ومعتقدات إنسانية الإنسان بوصفه مصدر السلطة الوحيد في العالم المعروف لهم.

لقد عجل اندماج اليهود في ثقافات الغرب مسارات التحول في الديانة اليهودية وفي تياراتها الجديدة وشجع الإبداع الفكرى الدينى في تلك التيارات، في مقابل تطور ثقافة اليهود المتحررين.

تطور الفكر الديني في اليهودية، من هيرمان كوهين وروزنتسوج وحتى كوك، هيشل وسولفوميتشيك، إلا أن تأثيرات اليهودية على غالبية المبدعين اليهود في معظم المجالات غير ملموسة تقريبا .

تتطور في فلسطين، في مركز إحياء العبرية بوصفها لغة حديث وإبداع، اليهودية

الإسرائيلية المتحررة من الديانة في غضون لقاء كل التيارات الطائفية والدينية التي تعيش فيها. وسرعان ما تحول نهج تيارات يهودية الماضي القديم والتناقضات بين التيارات التي ميزتها أيضا إلى أحد موضوعات الإبداع الأدبي والفكري والبحثي في اليهودية الإسرائيلية. وازدادت سريعا خلال الخمسين سنة الأولى من نشأة إسرائيل إبداعات الثقافة العبرية التي بدأت التطور في فلسطين في بداية القرن. وتحولت الزيادة الكمية والمفاجئة إلى عنصر ثقافي جديد، حيث مئات الكتب العبرية التي تصدر كل عام، وعشرات العروض المسرحية والسينمائية والتلفزيونية والتي يشاهدها مئات آلاف كل شهر، وكلها تمثل وجوها كثيرة وجديدة لليهودية المعاصرة. وتعرض عشرات المتاحف والمعارض فنا تشكيليا إسرائيليا، ومئات آلاف من المستمعين للحفلات والفرق الموسيقية الإسرائيلية والتي تضم عددا متزايدا من المواهب الموسيقية الأصيلة. وعشرات المؤسسات للتعليم العالي ومؤسسات بحثية وآلاف من المؤسسات التعليمية للدراسة الحرة؛ حيث يدرس حوالي مليون ونصف المليون تلميذ اليهودية بوصفها ثقافة لا بوصفها ديانة. ويتعرض من ثمانين إلى تسعين في المائة تقريبا من السكان اليهود البالغ تعدادهم خمسة مليون فرد (في نهاية القرن العشرين) يوميا لوسائل إعلام عبرية في الثقافة الإسرائيلية، وصحافة مطبوعة ومبثثة ولإبداعات درامية وأدبية في قنوات التلفزيون، وفي محطات إذاعية حكومية وخاصة. وبالإضافة لهذا يدرس عدة عشرات آلاف من الشباب في مدارس دينية التلمود فقط، ولا يظهر تأثيرهم في الحياة الثقافية والإبداعية في إسرائيل إلا نادرا بين العلمانيين.

هذا التطور الكمي في تاريخ الإبداع اليهودي غير مسبوق. ولم يتم تقدير تأثير هذه الظاهرة على ماهية الإبداعات سابقا، لكن تحظى اليوم كثيرا جدا من الإبداعات اليهودية في إسرائيل بالاعتراف من قبل الجماعات الثقافية اليهودية وغير اليهودية في العالم. وترجم أعمال أدبية عبرية إلى لغات أوربية كما يتم دعوة مبدعين وباحثين إسرائيليين لتمثيل ثقافتها في العواصم الثقافية في العالم.

لقد أربكت الوفرة الهائلة للإبداعات التي تمثل اليهودية في القرن العشرين كل من يحاول الإمام بمجملمها. حيث يبدو أيضا بالنسبة لليهودية القرن العشرين، مثل يهوديات

العصور الأخرى في الماضي، علينا الإذعان للتحدي وعرض مختارات ضئيلة للإبداعات التي تمثل الحد الأقصى.

مع انهيار الديانة بوصفها عامل تأثير مركزي وموحد، انتشر السحر والتصوف بجانب الإلحاد. وتُعرف في كل الثقافات ظاهرة السحر والتصوف خاصة في الفترات التي تضعف فيها وتنهار الديانة القومية، والتي هي عنصر موحد ومؤثر في غالبية الشعب. وهذا ما حدث في العصر الهلينستي مع انهيار نظم الديانة الوثنية، وهذا ما يحدث في عصرنا في اليهودية مع انهيار قوة تأثير مؤسسات الحكم الدينية على أغلبية اليهود.

يوجد ارتباط بين السحر والإلحاد الشعبي؛ حيث إن الأساس في كليهما إيمان المؤمنين بهما بقدرات وبتقنيات السحر على شفاء الأمراض، ومواجهة مخاطر وكوارث الطبيعة، وتجاهل الإله والاعتماد على صاحب التقنية السحرية - الساحر، المعالج السحري، المنجم، صيدلي الأعشاب، من يقوم بالرقى وصنع التمايم. كل هؤلاء يستطيعون التأثير بصورة مباشرة على ظواهر في طبيعة الإنسان والعالم. ومثل كل تقنية علاجية أو غيرها والتي من خلالها يتصرفون في العالم غير المتدين ويواجهون الأمراض وكوارث الطبيعة، تتجاهل التقنية السحرية أيضا دور الإله وإرادته. وعلى ذلك تتشابه الأساليب السحرية في الثقافات وفي الديانات المختلفة. فلا يعلن الساحر العراف عن إلحاده، لكنه يتصرف وكأنه هو وتقنيته يؤثرون أكثر من الإله ومن التوجه إليه. ويحتاج الأفراد ضعيفو أو منعدمو الإيمان بالإله إلى مساعدة من ذوي التقنيات الذين يضمنون حلا لمشاكلهم. ولأن العلم والتكنولوجيات التي طوروها لا تكفي لتحل كل المشاكل ومواجهة الأمراض الوييلة فيبحث لها البشر عن حلول بديلة. ويعرض السحر حلا بديلا، وحتى من ليس مقتنعا بقدرته على التأثير، فمن المحتمل أن يعتقد بأنه إن لم يفد فإنه بالقطع لن يضر.

يرتبط الاحتياج إلى السحر بالإيمان بقوى غير مرئية، وبقوى فوق الطبيعة، وبعناصر خير وشر موجودة في بيئتنا لا نعرفها وبقوى خفية، وبمعتقدات صوفية مصاحبة لها، إيمان لا يمكن تفسيره، وبقدرة على التأثير وبعجز الإنسان عن معرفته من خلال الفطنة والحواس.



إن الإيمان بالحياة بعد الموت، و الإيمان بأن أرواح الموتى تساعدنا أو تضرنا أثناء تجوالهم أو في وقت الاستلقاء على قبورهم، و الإيمان بالآخرة و بإمكانية الاتصال بالموتى، قد انتشر في اليهودية مع انهيار مؤسسة الحكم الديني المركزية - الهيكل و الكهنوت الذي كان جزءا من المؤسسة الحاكمة الرسمية اليهودية و التي تمثل اليهودية كأنها كتلة متجانسة.

عادت في عصرنا تلك الظاهرة التي تبدو غريبة؛ حيث تنتشر بجانب المعتقدات الإلحادية بأنواعها المنتشرة في اليهودية المعاصرة، أيضا معتقدات روحانية - مثل الإيمان بقوى فوق الطبيعة لا يمكن أن يكون لها تفسير علمي أو عقلائي.

يظهر بجانب تلك المعتقدات الكثير من الذين يؤمنون بالقوى الخارقة للسحرة و لمن يقومون بعمل الرقي و التائم المقدسة للقبور التي قيل عنها أنها قبور صديقين و التي تستطيع روحهم مساعدة المستلقى على القبر أكثر مما يستطيع هو مساعدة نفسه.

و السحر كما أسلفنا هو أحد الأشكال القديمة للإلحاد المقنع و الذي يؤمن بسمو الإنسان و بقدرته على أن يملي على الطبيعة أو على القوى الإلهية التغير الذي يرغبه، أو أن يعدل العالم و كأنه خال من إله كل شئ يتم بأمره.

إن الصراع ضد الإيمان بالتنجيم و السحر و العرافة و الاتصال بالموتى قديم قدم تلك المعتقدات و التقنيات نفسها. و توجد دلائل على ذلك في العهد القديم؛ حيث إنه في عصره حاولت مؤسسات الحكم الرسمية و الدينية الاستعانة بمحضري الأرواح و السحرة بأنواعهم. و قد احتاج ملوك مثل شاؤول إلى محضري أرواح لتحضر أرواح موتى من القبور و تتيح لهم التحدث مع الموتى، و ذلك بعد أن قتل و طرد زميلائها من مملكته.

لم يتردد مفكرون متدينون مثل موسى بن ميمون في إدانة التنجيم الذي آمن به بعض حاخامات التلمود، و رأى موسى بن ميمون أن كل أفعال السحر و الشعوذة كفر، أو بلغتنا: اعتقاد إلحادي. و عندما أراد مبدعون في القبالة إرساء دور الإنسان اليهودي في إصلاح الكون الذي تحطمت أدواته في عملية خلق العالم، أظهروا إيمانهم بالسحر، و الرأي الذي يربط بين الديانة و السحر على شاكلة الرؤية المحافظة التي منحت دورا حيويا للإنسان في إصلاحه للكون، في غضون مشاركة مع الآلهة.

رسخ الاعتقاد وتلك الاتجاهات في قبلاه إسحاق لوريا<sup>(١)</sup>، والذي نما في صفد عقب الطرد من أسبانيا، في اليهودية الإيهان بأن للإنسان اليهودي فقط دورا في جلب الخلاص للعالم كله. وتحول التمسك بفرائض الشريعة، طبقا لهذه النظرية، إلى أحد الوسائل الضرورية لإصلاح العالم المتحطم. وبقوة هذا المعتقد أخرجت الشريعة من بساطتها وتحولت إلى جزء من التقنية السحرية التي من المحتمل أن تخلص العالم من الفوضى السائدة به منذ أن تحطمت الأدوات.

وتعد المعارضة في تيارات معينة في اليهودية الدينية والعلمانية على تسلسل المذهب الصوفي والمسيحانية والسحر إلى ثقافتها، جزءا من الصدمات بين التيارات الفكرية والعقدية في اليهودية المعاصرة، كما في التيارات اليهودية في الماضي.

إحدى سمات التعددية في اليهودية هي كثرة التيارات، بما فيها التيارات التي تنكر إمكانية وجود هذا التعدد داخل اليهودية. وفي ظل الواقع السياسي لإسرائيل تحولت معتقدات صوفية وسحرية بين أقلية من السكان إلى عامل دلالي وقوة تأثير على نهج الدولة ومستقبلها، وعلى مسارات السلام والحرب لحكوماتها، وعلى العلاقات الخارجية والسياسات الداخلية والتعليم بها. وكما أسلفنا فإن معظم اليهود بعيدون عن مجال تأثير التيارات الدينية والسحرية والصوفية. واليهود الذين يلقبون أنفسهم "تقليديون" أو "علمانيون" شركاء في الاعتقاد بأن اليهودية هي ثقافة تؤمن بالتعددية سواء من ناحية التيارات العلمانية والدينية الفاعلة بها أم من ناحية المعتقدات والآراء التي تؤثر على إبداعاتها وثقافتها.

### الاعتقاد الإلحادي ينضم إلى تعدد المعتقدات في اليهودية

الإلحاد بوصفه معتقدا هو جزء من تشكيلة المعتقدات السائدة في اليهودية، ومثل كل المعتقدات الأخرى تحول هو أيضا إلى مصدر إلهام لإبداع ثقافي يهودي. ويشري

(١) إسحاق لوريا: (١٥٣٤ - ١٥٧٢) تلقى تعليمه في مصر وعاد إلى فلسطين في عام ١٥٦٩ وتزعم يهود صفد. وله تأثير على الفكر اليهودي عامة، وعلى الحسيدية خاصة، سجل تلاميذه نظرياته وآراءه بعد وفاته.

الصدام بين الإلحاد وبين المعتقدات الأخرى اليهودية بوصفها ثقافة تعددية، كما أثرتها كل المعتقدات الأخرى الشائعة في اليهودية: فهي ثقافة تتنامى في سياق تراكم المعتقدات والعادات والتي لا تلغي وجود معتقدات وعادات سابقة. ولا تنحي المعتقدات الإلحادية في اليهودية المعتقدات التي تؤمن بتعددية الآلهة التي انتشرت بها، كما أن المعتقدات التي تؤمن بإله قادر و متميز لا تنحي معتقدات الإيوان بألاف القوى الخارقة الأخرى التي تؤثر في البشر وتتأثر بهم. وتتجمع المعتقدات الإلحادية ولكنها لا تلغي وجود المعتقدات التوحيدية بأنواعها.

في عصرنا كما في الماضي يواصل كثير من اليهود المتدينين - في إسرائيل و الخارج - الإيوان بقوة الإله وقدرته على العقاب، وبقوة الجن والعفاريت والأرواح الشريرة، وبقوة المعالين والسحرة والتائم بكل أنواعها والتي تحميهم من كل هذا. ولقد ظلت عادة تقديم قربان حتى يومنا هذا بين الذين يؤمنون بأن تقديم الديك أو الدجاجة يكفر عن إثمهم ويعفيهم من العقاب الإلهي.

إن شيوع تلك المعتقدات القديمة بين جماعات سكانية كثيرة، نحوهم إلى عنصر سياسي وذلك عندما يتم استغلالها في حملات انتخابية ديمقراطية. وتشمل ثقافة التعددية الخاصة باليهودية الإسرائيلية في نهاية القرن العشرين معتقدات إلحادية، ومعتقدات دينية ومعتقدات سحرية وصوفية من كل نوع.

وكما في الديانة يوجد أيضا في الإلحاد أنواع اعتقاد وعادات مختلفة. ويصف الناس في كل ثقافة، قومية أو إقليمية، الإله بشكل مميز لثقافة شعبهم. ويمنح البشر في إطار كل ثقافة قومية أو إقليمية، صورا وأدوارا متميزة لآلهة مختلفة أو لنفس الإله والذي يأخذ أشكالا وعلاقات متميزة. وتشكل عن طريق إبداعات أدبية وفنية وفكرية الصفات الخاصة من خلال سير وصور تشكيلية غير موجودة في ثقافات أخرى. والإله الوجداني، الواحد والخاص، هو أيضا إله مختلف، فبطانته ومحيطه وصورته مختلفة في ثقافات الشعوب المختلفة في أوروبا وفي قارات أخرى.

تتنامى المعتقدات الإلحادية في مقابل معتقدات التوحيد (الدينية)، منذ فجر الثقافة

الإنسانية، وتدلل على ذلك أبحاث عن ثقافات القبائل التي تعيش في ظروف "سابقة للتاريخ" بمعزل عن الثقافات الدينية المعروفة (اللقاء مع قبائل أيوريجين الاسترالية ومع قبائل في جزر منعزلة). وظهرت في الألف الثاني قبل الميلاد تعابير واضحة للمعتقد الإلحادي في الهند، حدث فيها إحياء للاعتقاد الإلحادي أثناء تأسيس البوذية<sup>(١)</sup> القديمة، في منتصف الألف الأول قبل الميلاد. وتحولت البوذية القديمة في أماكن كثيرة أخرى إلى ديانة واختفت في الهند تقريبا معاقل الإلحاد، ولكن عادت للظهور مرة أخرى في الهند بؤر وتنظيمات كثيرة تعمل على إرساء معتقدات إلحادية ونشرها.

إن معظم الدلالات حول واقع الإلحاد في اليهودية وفي ثقافة اليونان والثقافة الهلينية، موجودة في إبداعات دينية تندد بالملحدين في عصورها. ولم تبق معظم إبداعات الملحدين القدامى، باستثناء قطع وشهادات حول الرؤية الإنسانية والمادية للفلاسفة اليونانيين السابقين على سقراط. وتدين فقرات في "المزامير"<sup>(٢)</sup> الشريرين الذين يقولون: لا يوجد إله، ويصور "اليسع بن أفويا" على أنه رجل عظيم لكنه ألد وحسب رأيه لم تعد فرائض الشريعة تطبق عليه، ويقترح أفلاطون في كتاب "قوانين" حبس الملحدين في معسكرات مغلقة خمس سنوات وخلالها يتم محاولة تغيير معتقداتهم، وإن لم يفلح الحراس في ذلك ينبغي قتل الملحدين. ويرى مبتدع الاستبدادية الحديثة في العهد القديم أن الإلحاد عقيدة غير أخلاقية خطيرة على الدولة والمجتمع. ويتنشر الإلحاد الذي يتجلى في النظريات الفلسفية الأحادية والمادية اليونانية من القرن السادس، منذ بداية القرن الرابع قبل الميلاد في اليونان والعالم الهلينيستي، وكثير من تعابيره الأدبية الغنائية والفلسفية باقية أو يصفها مؤرخو تلك الفترة.

(١) البوذية: ظهرت الديانة البوذية في الهند كمحاولة لإصلاح الوضع الديني في الهند. وهى ديانة ذات طابع فلسفي تهتم بقضايا الوجود والمصير الإنساني داخل هذا الوجود. وقد بنت فكرها الديني على أساس الفكرة الخاصة بالمعاناة، وقد احتفظت البوذية بأسلوب التفكير الفلسفي التأمل وخاصة فيما يتعلق بالبحث في طبيعة الشقاء وأسبابه، وكذلك فيما يتعلق بالأساس النظرى لطريق تحقيق الخلاص. وحاولت ان تحقق نوعا من الاعتدال في التصوف فانتهجت طريقا وسطا بين الزهد والتعشيف. للمزيد انظر: د. محمد خليفه حسن: تاريخ الأديان، دراسة وصفية مقارنة. ١٩٩٦ص ٧٦ - ٩٣.

(٢) المزامير: سفر المزامير يحتوي على مائة وخمسين مزمورا تنسب لثلاثة وسبعون منها لداود، وخمسون مجهولة المؤلف والبقية ترجع إلى مؤلفين مختلفين .



لاندماج اليهود في مجتمع غير يهودي وثقافته - تزايد مسار التحرر الروحاني في اليهودية، وتحرر اليهود من الالتزام بالمحافظة على فرائض الشريعة وتحرروا من الحظر المفروض على نقد التقاليد والأسس المقدسة في نظر المؤسسات الحاكمة والزعماء المتدينين، وتحرر كثير منهم من الإيمان بالإله وبأنه يستطيع مراقبتهم وأمرهم بما عليهم أن يفعلوا عندما بدأوا النظر إليه على أنه ابتكار إنساني وأحد الإبداعات الثقافية التي ألفها الإنسان.

بداية من القرن الثامن عشر وبصفة خاصة في القرن التاسع عشر انتشرت تلك الاتجاهات الثقافية ومعها آراء ومعتقدات لأدرية وإلحادية وإنسانية.

امتزجت تلك المعتقدات في وعي يهود كثيرين بالاعتقاد بأن اليهودية ثقافة تعددية لليهود وتشمل تيارات دينية مختلفة ومتصارعة فيما بينها لكنها تضم أيضا تيارات يهودية متحررة من الديانة ومن الإيمان بالإله كما شكلتها تقاليد ديانة الشريعة. والمشارك في المعتقدات الإلحادية هو الإيمان بأن الإنسان هو صاحب السلطة العليا في القرارات الأخلاقية وفي تحديد معتقداته، وتجاهل وجود إله خاص، والتحرر من الالتزامات تجاهه، وعدم الاعتراف بقدرة الإله في التأثير على حياة البشر.

إن الاعتقاد اللأدرى، على سبيل المثال، هو اعتقاد إلحادي في نظره إلى الإنسان على أنه صاحب السلطة الأخلاقية، ويشكك وينشد ما لا يدركه العقل، دون تحديد ماهو مصدره الإيمان أم المحرمات الدينية. ولا يتطابق الاعتقاد اللأدرى مع الإيمان أو عدم الإيمان بوجود الإله؛ فهو اعتقاد بعدم استطاعتنا معرفة إذا ما كان يوجد إله أم لا؛ حيث ترى اللأدرية أن السؤال "هل يوجد إله؟" سؤال عديم المغزى ولا إجابة له - كما يرى ذلك بروتاجورس وأيضاً سقراط ومن وافقوا على عدم معرفة شيء عن الآلهة أو عن وجودهم، وأن حياة البشر لا تكفي لمعرفة شيء عن هذا الأمر.

ويؤمن لأدريون كثيرون بأن الإله هو تصور موجود عبر حدود وسائل المعرفة الإنسانية - الحواس والمنطق. ولذلك لا يجب تعريف الإله ولا يجب أن ننسب إليه خاصية ما، بما في ذلك خاصية الوجود أو عدم الوجود. ولقد توصل إلى هذه النتيجة أيضا قراء كثيرون لكتاب "دليل الحائرين" لموسى بن ميمون. وأدى هذا إلى حيرة يهود متدينين قد

بجلو موسى بن ميمون بوصفه كبير مفكرى اليهودية. ونتيجة لذلك فقد حُرمت في دوائر كثيرة في اليهودية قراءة هذا الكتاب لموسى بن ميمون حتى بلوغ الفرد سن الأربعين، وطالب آخرون إبادته وحرقه لثلاث يشجع الاعتقاد اللاأدرى والإلحادي بين قرائه.

وينبثق عن المعتقد اللاأدرى - كما في حالة المعتقد الإلحادي - اعتقاد بأن الإنسان حر في اختيار قيم بناء عليها يقيم ويفضل ويصنع أنماط السلوك وفرائض الديانة والقوانين. ويلغى هذا الاعتقاد حق الذين يتظاهرون بالحديث باسم الإله وبالأمر ويصدر الفتوى أو يفرض شرائع وأحكام على غيرهم، ويستطيع أن يحدد طريقه ونظرته إلى إجمالي الشرائع، بما فيها شرائع الديانة من خلال رؤيته ووسائل المعرفة والعلم الذي في حوزته وعلى أساس إيمانه بقيم أخلاقية تخدم صالح الإنسان فحسب.

يرى المؤمنون بالإله كبطل أدبي أنه قوة مؤثرة في الحياة الثقافية والاجتماعية، لكونه عاملا حاسما في التجربة الفنية والمعرفية للفرد الذي يتعرض للأدب الذي شكل الإله ولعب أدوارا مركزية في تطور الثقافة التي عاش بها هذا المؤمن. وتنضم هذه التجربة الفنية لهؤلاء المؤمنين أو تأتي عوضا عن تجربة الإيمان الديني.

الإيمان بالإله كبطل أدبي فحسب يناقض الاعتقاد الديني الذي يعترف بوجود الإله أيضا خارج إطار الإبداع الأدبي، ويرى أنه مؤلف أدب العهد القديم والذي يُعرض فيه الإله في مواجهة الناس، وكواحد من أبطال الأدب الآخرين الذين يعيشون ويعملون في تلك الإبداعات.

إن اعتقاد الذين يرتبطون بالإله كبطل أدبي فحسب هو اعتقاد إلحادي في نتائجه: إنه يرى أن الإنسان هو مبتكر الإله والقيم والفرائض، ولا يعترف به ككيان مستقل ينبغي الدعاء والصلاة له، وسؤاله والخوف منه. وحتى الذين يؤمنون بأن الإنسان يحتاج إلى إله قد أُلّف في تلك الإبداعات الأدبية كأساس لسلطة أخلاقية لا ينسبون إليه كيانا خاصا ذا إرادة وقدرة آمرة مستقلة.

يعد الاعتقاد الحلولي إيمانا بالتطابق بين الطبيعة والإله - بألوهية الطبيعة. ومن هذه الناحية فهو اعتقاد بوجود إله وعلى أنه خاصية للطبيعة والوجود. وتطور في اليهودية

بذا الاعتقاد وتجلى في تأثير فلاسفة يونانيين وهلينستيين، وعن طريق فلاسفة مسلمين ثروا في المفكرين اليهود الذين عاشوا في ظل الثقافة العربية في العصر الوسيط.

يظهر التعبير اليهودي للمذهب الحلولي بوضوح في إيداع سبينوزا في القرن السابع عشر، كاستمرار لفكر موسى بن ميمون في القرن الثاني عشر، وهو استمرار لفكر فيلون في القرن الأول، والقائم على الفكرة المنسوبة إلى موسى القائلة بأن "الإله هو الكيان الذي يشكل ما سيكون". ويصيغه الأديب الذي صاغ الكلام على لسان بطله الأدبي الإله: "أكون الذي أكون" (والفعل القديم طبقا لرأي أولبرايت دلالاته "أكون الذي أكون" ويضمير الغائب المفرد: يكون أي "يهوه").

يلغي الاعتقاد الحلولي الفصل بين الإله والطبيعة، ويلغي إمكانية تعريف الإله على أنه كيان منفصل خالق أو مؤثر أو فاعل أو مراقب ويتعامل مع الإنسان. وانبثق عن هذا الاعتقاد أيضا، كما انبثق عن كل المعتقدات الأخرى التي ذكرت آنفا، نتائج إحادية، مثل: أن يكتشف الإنسان قوانين الطبيعة من جراء نفسه، وأنه هو مبتكر القوانين والفرائض لينظم حياته الاجتماعية والشخصية في العالم الذي يفتقد إلى إله، وأن الإنسان حر في اختيار كل ما يتعلق بالسلوك وعلم اللاهوت والسياسة. وطبقا لهذا الاعتقاد فالإنسان ليس حرا في التنازل عن إرادته والخضوع لإملاءات رجال الدين الذين يتحدثون باسم الإله، حيث إن الطبيعة لا تستطيع التحدث بلغة البشر. ويفرض اعتقاد كهذا على الإنسان المسئولية عن أفعاله في العالم، ذلك لأن أفعاله وقراراته تؤثر في العالم والطبيعة وتغيرهما - فتنفسه أو تنقذه من مخربه. وتحدد حرية الإنسان عن طريق عناصر الطبيعة التي لا يسيطر عليها - المنطق والحياة التي يحدها الموت، البيئة المادية والاجتماعية التي ولد وعمل فيها.

إن علماء مثل أينشتاين، الذين يعبرون عن تعجبهم من وجود معجزة شرعية شمولية تسود الطبيعة، والعالم الصغير، وفي كل الأزمنة المعروفة والمفترضة، يرون أن هذا التعجب مثل التمسك بالديانة ولكن هذا الإيمان بمعجزة الوجود وتعقيدهاته وتوافق التناقضات المتعددة السائدة به، يخلق أيضا إمكانية الإيمان بكيان فوق الطبيعة.



ويعد الاعتقاد بشرعية عالمية وثابتة تسود الطبيعة اعتقادا إحداديا لأنه يناقض الإيمان بوجود خالق وبال العناية الإلهية، وبال حياة بعد الموت، أو بكل سمة أساسية أخرى للمعتقد الديني. (يقول أينشتين: أنا مؤمن بإله كما يراه سبينوزا: إله يظهر في الانسجام السائد في كل ما هو موجود، وليس إله يشغل نفسه بمصير وأفعال المخلوقات).

## أسس الاعتقاد الإحدادي

إن الإحداد هو الإيمان بسيادة الإنسان وبحريته، وبمسئوليته عن أفعاله وقدرته على أداء دور حاسم في ظروف معينة وتشكيله لمصيره. وفي دور كهذا فالإنسان هو مصدر السلطة فهو مبتكر شكل الإله والقيم الإنسانية بوصفها معايير للتقييم والتفضيل، وطبقا لها يحكم البشر على كل قانون وفريضة وكل عادة ونهج: وذلك حسب مدى إسهامهم لإنسانية أو لا إنسانية الفرد.

تعرض تلك المعتقدات الإحدادية في معظم إبداعات ثقافة اليهود في القرن العشرين. ويتجاهل غالبية الأفراد الذين ينتمون لليهودية وثقافات الغرب دور الإله في حياتهم، حتى وإن كان من بينهم من لا ينفي إمكانية وجود الإله في العالم. وقليلون منهم فقط يسمون اعتقادهم "إحدادية" بسبب الاسم السيء الذي نتج عن الإحداد بوصفه كفرا ليس معه إيمان، وبسبب محاولات تشويبه (منذ أفلاطون)، واعتباره كفرا بقيم أخلاقية وبالولاء للمجتمع.

ورغم مركبات الاسم إحداد فهو اعتقاد مناقض لمعتقدات دينية ولا يعني كفرا. أما "الكفر" فهو اسم يلقب به أبناء عقيدة ما عقيدة معارضيهم.

## في اليهودية المتحررة بإسرائيل، يعود العهد القديم ليكون أساس التعليم في اليهودية

يقوى تطور دولة إسرائيل وثقافتها اتجاهات التعددية في الثقافة اليهودية داخل إسرائيل وفي الخارج. وتلتقي في إسرائيل كل التيارات الطائفية والعلمانية والدينية الموجودة في اليهودية. وقد زاد الاحتكاك بينها وتبرز الفروق بينها بوضوح أكثر من الماضي، وتبرز الفروق الكبيرة والتناقضات بين اليهودية الإسرائيلية بوصفها تمثل كافة التيارات وبين كل تيار من التيارات اليهودية في الخارج.

يعيش معظم اليهود في كل بلدان الخارج باللغة والثقافة القومية للبلد والشعب الذي يعيشون فيه. ويعيش اليهود في إسرائيل في محيط ثقافة يهودية تتصارع فيها كل التيارات مع بعضها البعض.

وتبرز تأثيرات ثقافات شعوب أخرى بالطبع أيضا في الثقافة الإسرائيلية (في أنماط الحياة، والملبس، والرقصات، ووسائل الإعلام ومضامينه) كما هي بارزة في كل الثقافات القومية المتطورة في بلدها وفي لغتها القومية. وتمتزج هذه التأثيرات بالإبداع وبالثقافة القومية المتميزة - في إبداعات الأدب، والمسرح، والسينما، والفكر العلماني والديني، والفن، والصحافة، والأعياد والمناسبات القومية والشخصية.

يبرز في الثقافة العبرية الجديدة الارتباط بالعهد القديم أكثر من أي نظام تعليم يهودي آخر في العالم؛ حيث تربط لغة الحديث والإبداع الإنسان الإسرائيلي بأدبه الكلاسيكي الموجود في العهد القديم. ويحتل العهد القديم في التعليم الإنساني في معظم المدارس بإسرائيل مكانا بارزا في كل سنوات الدراسة - من مرحلة رياض الأطفال وحتى الجامعة. ويعد التعرف على مضامين الإبداع التوراتي قاسما مشتركا لغالبية دوائر المثقفين في إسرائيل وأبنائهم. وتهمج رحلات في إسرائيل مثل: الرحلات المدرسية وحتى الرحلات الأسرية أو الفردية - الإسرائيليين للقاء مع آثار عهد قديمة في إسرائيل. ويعيش العهد القديم في وعي معظم الإسرائيليين بوصفه وثيقة تاريخية وأدبية وسياسية - مع تجاهل الشك العلمي المتعلق بصحة الشهادات الموجودة به.

يقرب الإيمان باقتصار الحياة على هذا العالم وغياب الميثولوجيا الملائكية والصوفية في أدب العهد القديم، هذا الأدب إلى عقلية الإسرائيليين المتحررين من الديانة، ويحولها إلى مصدر إلهام واقتباسات في إبداعات إسرائيلية كثيرة - كإبداعات الأدب والمسرح الإسرائيلي وحتى أشعار بوب والخطب السياسية.

لقد استخدم أدب الشريعة والأدب الذي يعبر عن الإيمان بالآخرة وبالبعث، والعمارة والملائكة التي تطوف حولنا دون أن نراها، مصدرا لإبداعات كثيرة ألفها اليهود خارج فلسطين - بما فيها مؤلفات أدباء علمانيين مثل "بشبيس زينجر"

"ي.ل.بيرتس"، الذين يستخدمون الأساطير في أعمالهم الساخرة (مثل: "العفريت الأخير" أو "ليس أكثر من ذلك"). وقد تلقى هؤلاء الأدباء وأمثالهم تعليماً حريدياً تصدره دراسة أدب الشريعة والتفاسير الدينية والمدراشيم.

تختفي تلك الآداب تماماً من العالم الروحاني لمعظم المبدعين الإسرائيليين وجمهورهم، كما تختفي تماماً من العالم الروحاني لمعظم اليهود الذين ينتمون إلى تيارات الأغلبية اليهودية الدينية أو العلمانية في العالم.

وعلى خلفية تلك التطورات عاد العهد القديم ليكون الأساس المشترك للثقافة اليهودية في إسرائيل - وبخاصة بين الأغلبية المتحررة من الديانة وبين الحركات الدينية الصهيونية. ولا يزال بين الأقليات الحريدية فحسب أدب التلمود والمدراشيم والقبالة والتفاسير الدينية مشكلاً لمعظم مواد الدراسة ورموز اليهودية. ولم يعد العهد القديم يستخدم في اليهودية المتحررة كمادة أولية لتفسير ديني متحرر من ترجمة معتمدة للمعنى الظاهر. وعاد العهد القديم ليكون أنتولوجياً أدبية يفهم لغته متحدثو العبرية ويقرأون إبداعاته بلغتها. ولم يعد يستخدم العهد القديم في حياتهم ككتاب ديني، فقراته أو بعض فقراته غير معروفة لهم كمستندات لشرائع ولدعاوي لا علاقة لها بالأصل الأدبي. ففي نظرهم يكون من الغريب والسخيف استنتاج شر "عيسو" وتعدد أخطائه من الفقرة التي تصف عودته متعباً من الحقل، كما في أحد التفاسير والتي ترى أن هذه الفقرة وصف لأخطاء كثيرة قد ارتكبها "عيسو" عند مقدمه متعباً من الحقل - فتضم قتل (لأنه مكتوب في سفر إرميا نفس متعبه للقتلة) واغتصاب امرأة مخطوبة (لأنه يوجد حكم بأن الاغتصاب في الحقل أهدح من الاغتصاب في المدينة ففيها تستطيع المغتصبة الصراخ طلباً للنجدة).

وتنفصل في اليهودية المتحررة من الديانة إبداعات العهد القديم عن تفاسير مُلزِمة وعن تفاسير دينية قد اقترنت بها. ونطلق عليها إبداعات أدبية ووثائق تاريخية ذات مغزى ديني للمتدينين ليس لها نفس المغزى لغير المتدينين. ومثل كل إبداع أدبي - نظري أو خيالي - تشكل أيضاً إبداعات أدبية من العهد القديم وثيقة تاريخية، تدل على الحياة في العصر الذي أُلِّف فيه، وأحياناً أيضاً على العصر الذي تروى عنه.

## الانتماء القومي، والإنسانية والتقاليد في اليهودية المتحررة من الديانة

بدأ التمييز بين الشعب والديانة في اليهودية استجابة للعنصرية اللاسامية<sup>(١)</sup> في القرن الخامس عشر. وتحولت المعتقدات الإلحادية، من ناحية مغزاها واستنتاجات المؤمنين بها فيما يتعلق بأنماط حياتهم والحفاظ على فرائض الشريعة والانصياع للحاخامات وللسلطات الدينية، إلى عامل حسم في اليهودية المعاصرة، منذ التمييز بين اليهودية بوصفها ديانة واليهودية بوصفها شعباً وثقافة.

لا يعترف المؤمنون بأحد المعتقدات الإلحادية المذكورة آنفاً بكيان إلهي كشخص موجود أو يعمل من جرائ نفسه، وقد اختار اليهود شعباً له. هم لا يعترفون بإله موجود يراقب ويعاقب ويتجسد ويرتبط معه اليهود بعهد أو بأي علاقة خاصة. وتتجلى تلك المعتقدات الإلحادية والإنسانية في تشكيلة الإبداعات اليهودية التي تمثل التيارات اليهودية المعاصرة.

انتشرت معتقدات لأدرية حلولية ومعتقدات إلحادية أخرى في اليهودية على ضوء الصدمات والتحويلات في أوروبا منذ القرن الخامس عشر وحتى القرن التاسع عشر. فقد انهارت طوائف يهودية بسبب اعتداءات وترجيلات، غيرت جموع يهودية ديانتها وظلت يهودية في الخفاء، وطرده يهود إسبانيا واضطهاد "النصارى الجدد" والذين استمروا في الانتفاء إلى اليهود في إسبانيا والبرتغال، وأسفر كل هذا عن رؤية جديدة لمفهوم "يهود" ونمت لاسامية جديدة في أسبانيا، عقب الردة الجماعية لليهود عن ديانتهم؛ حيث اختاروا تغيير ديانتهم وعدم الهجرة من البلد الذي ولدوا به وعاشوا فيه منذ أجيال كثيرة. ونتيجة لذلك فقد زاد عداء النصارى القدامى تجاه النصارى الجدد اليهود، الذين تسللوا، بعد

(١) اللاسامية: هي ترجمة للعبارة الإنجليزية والتي نقلتها اللغة العبرية بنفس اللفظ، والمعنى الحرفي لهذه الكلمة هو ضد السامية، وبذلك تعنى العبارة المعادة ضد كل الأجناس السامية، ولكن اليهود استخدموا هذا المصطلح ليدل على المعادة ضد اليهود فقط، ولتشير إلى كراهية اليهود فحسب. ومن المعروف أن اليهود قد استغلوا هذا المصطلح لتحقيق أطماعهم واتخذوه ستاراً لعداوة كل من يعارضهم، وأثناء مراحل الصراع على أرض فلسطين اتهم اليهود العرب بمعاداة السامية، وكلما ازدادت مظاهر الرفض العربي للتطرف والإرهاب الصهيوني والإسرائيلي زاد اتهام اليهود للعرب بالعداء للسامية.

تنصرهم، إلى الطبقة الحاكمة في المجتمع الإسباني وإلى دوائر الحكم والسلطات التي ترأست محاكم التفتيش.

هذا التحول في وضع من كانوا يهودا في نظر المحيطين بهم بعد تنصرهم قد غير طبيعة اللاسامية المضادة للديانة وحولتها إلى لاسامية قومية رأت أن اليهود شعب دون النظر إلى ديانتهم المعلنة. وفي رد فعل على ذلك فقد نشط بين يهود كثيرين وعي قومي غير متطابق مع الالتزام بالتمسك بفرائض الشريعة أو الإيمان بأسس التقاليد الدينية المقدسة.

عاد "نصارى جدد" كثيرون والذين هُجروا من شبه جزيرة أيبيريا إلى غرب أوروبا وجنوبها، إلى اليهودية عندما سُمح لهم بهذا. وأثارت حركات مسيحانية، مثل : التي قام بها هرؤيبي وشيتاي تسفي - آمال تحرر قومي ذي طابع سياسي: إقامة دولة لليهود. وشجعت خيبة الأمل نتيجة فشل تلك الحركات على انتشار معتقدات صوفية وقبالية وشكية بين مثقفين من النصارى الجدد، والذين عادوا إلى اليهودية بعد أن عرفوا عن كتب ثقافات أوروبا وكانوا مندمجين في حركات النهضة الثقافية في القرن السادس عشر والسابع عشر.

بدأت تترسخ لدى اليهود مفاهيم جديدة لليهودية بوصفها ثقافة لشعب، وظهرت به معتقدات لأدرية وحلولية والقريبة في استنتاجاتها للإلحاد. والمشارك بين هذه المفاهيم الجديدة ما يلي: التمييز بين ديانة الشريعة واليهود، والاعتراف بأن الإنسان يستطيع الاستمرار في أن يكون يهوديا حتى وإن لم يكن شخصا متدينا حسب تعريف المتمسكين بالفرائض، وحتى إن لم يؤمن بالإله وبأن للإله قوة مستقلة ومراقبة، وحتى إن لم يؤمن بوجود الحفاظ على الفرائض المنسوبة إلى الإله من قبل من يتظاهر بالتحدث باسمه.

ازدهرت بين جماعات "النصارى الجدد" العائدين إلى اليهودية (كما في طوائف أمستردام) المحافظة على التقاليد الدينية من قبل القيادة الطائفية والتي رغبت في التأكيد على أن يعترف بهم كيهود، رغم ماضيهم النصراني. وفي المقابل ظهر بين هذه الجماعات مفكرون مثقفون (مثل أورثيل داكوستا وسبينوزا) والذين يشكون في الأسس المقدسة للتقاليد الدينية وفرائضها. فاتخذت قيادة الطائفة إجراءات مقاطعة وتحقير ضد كل من

ينتقل من ديانة إلى أخرى ومن ثقافة إلى أخرى مما يحث الفرد على التفكير مجددا في مبادئ ديانته وقوميته اليهودية.

إن عدم التسامح الديني والفكري الذي ميز سلطات نصرانية - كاثوليكية وبروتستانتية - تتبناه أيضا طوائف يهودية. فوجد "أورثيل داكوستا" يتحرر بعد فترة قصيرة من تأسيس الطائفة اليهودية البرتغالية في أمستردام (١٦٤٠م) بعد أن تم مقاطعته وتحقيره واضطهاده بسبب آرائه ومعتقداته، كما فرضت الطائفة اليهودية مقاطعة ونددت بأحد كبار فلاسفة أوربا - باروخ سبينوزا- الذي كان حتى ذلك الحين عضوا في الطائفة اليهودية ويظهر اسمه في قائمة المساهمين في إنقاذ اليهود الذين طردتهم سلطات محاكم التفتيش من البرازيل ورست سفينتهم في ميناء نيو أمستردام - التي هي نيويورك . ولم يسمح لهم بالنزول إلى الساحل حتى تعهدت الطائفة اليهودية في أمستردام بكفالتهم اقتصاديا.

كان سبينوزا من أوائل من أرسوا رؤية نقدية للعهد قديم ونظر إلى التوراة على أنها شريعة شعب في زمن معين وليست شريعة دينية أبدية. ففتح الطريق للتعرف على أدب العهد القديم بوصفه الأدب الكلاسيكي لليهود وليس بوصفه كلام الاله. ونظر إلى قوانين الشريعة الواردة في العهد القديم على أنها دستور قديم جماعة قومية والتي ستحتاج إلى سن قوانين جديدة عندما تحظى مجددا باستقلال قومي سياسي. ويتطور التمييز بين الدين وبين القومية اليهودية عن طريق عوامل مختلفة تعمل على الوعي اليهودي في فترة الانتقال من العصر الوسيط إلى العصر الحديث. وقد أضيف إلى العامل اللاسامي العنصري الجديد والذي نما مع نجاح "النصارى الجدد" العامل المسيحاني الذي يشجع الأفراد على التفكير في الخلاص بمصطلحات قومية سياسية، مثلما في المسيرة السياسية لرؤييني زعيم اليهود، وفي الحركة الشبتائية وفيها انفصل في نهاية الأمر مفهوم الأمة اليهودية عن ديانة الشريعة اليهودية. وأضيف إلى كل هذا العامل الفكري النقدي - على غرار سبينوزا - والذي يلقي الضوء حول تراث اليهود بوصفه تراثا تاريخيا قوميا يعيش به يهود متدينون وغير متدينين معا.

## معتقدات وقيم إنسانية غير دينية في معظم إبداعات اليهودية المعاصرة

يزداد بداية من القرن الثامن عشر عدد الإبداعات اليهودية المؤلفة خارج دائرة تأثير الديانة اليهودية وأسس الإيمان السائدة في تياراتها. وتتجلى المعتقدات التي تؤمن بأن الإنسان وليس الإله هو العامل الذي يحدد مبادئ السلوك والمسارات التاريخية في عدد كبير من الإبداعات اليهودية. وبداية من القرن التاسع عشر وبخاصة في القرن العشرين تعرض معظم مؤلفات اليهود في إبداعات يهودية في الأدب والفكر والفنون التي تؤلف في الخارج وفلسطين.

إن معظم الإبداعات التي تؤثر في اليهودية في القرنين التاسع عشر والعشرين هي إبداعات إنسانية وليست دينية؛ حيث تنصب حول موضوع الإنسان وصراعه مع مصيره وليس حول الإله أو الفرائض المنسوبة إليه. وتعد إبداعات يهودية لمبدعين يؤثرون على الثقافة المعاصرة مثل: هيانا، شالوم عليخم، فروست، كافكا، سول بلاو، بشبيس زينجر، هس، هرتسل بوبر ويشعياي برلين - هي إبداعات إنسانية وليست دينية تركز حول معايير القيم الإنسانية، وهي تهتم بصالح الإنسان وليس بالمواعظ والأحكام التي قالها الحاخامات باسم الإله.

تعتبر غالبية الإبداعات اليهودية المعاصرة في الأدب والشعر، وفنون العرض في المسرح والسينما، والفكر والنقد - عن إيمان بالإنسان وبحريته في التصرف برغبته في إطار الظروف المادية والاجتماعية المتاحة له. ويظهر من هذه الناحية ارتباط الإبداعات اليهودية بالمعتقدات الإلحادية، بصورها وأشكالها المختلفة عن بعضها البعض، وبالأساس المشترك بها وهو الإيمان بأن صالح الإنسان مقدم ومفضل على كل مصلحة إلهية أو مبدأ آخر. وتعتبر قيم الإنسانية هي معيار للتقييم والتفضيل وموجهة لصالح الإنسان وإنسانيته، وأن قيم الإنسانية معيار لكل الأمور. وهذه القيم الإنسانية مشتركة في مبدأ المتدينين وغير المتدينين، ولكن الإنسانيين المتدينين في اليهودية يدركون - كما كان يدرك ذلك يشعياهو ليفوفيتش - التناقض الذي بين عمومية المبادئ الإنسانية وبين سمو فرائض الشريعة.

يحاول الإصلاحيون الحقيقيون من بين المتدينين، والذين يواصلون طريق الحاخامات الذين ألفوا التوراة الشفهية (الموجودين في كل تيارات اليهودية وليس بالذات من يلقبون بـ"إصلاحيين") التغلب على التناقض بين مبادئ وقيم إنسانية وبين فرائض وشرائع مناقضة لها. ويعيد هؤلاء الذين يعملون على تغيير فرائض معينة كتابة صيغ صلاة، ويشكلون مجددا عادات ويوفقونها مع المبادئ الإنسانية الخاصة بهم. مثل: منح حق المساواة بين الرجال والنساء في انتخابات الحاخامات والقضاة أو رفض نصوص صلاة مهينة كالتى تقول "الحمد لله على أنه لم يخلقني امرأة". ويقع الأرثوذكس، الذين يؤمنون بأنه لا يحق لهم تغيير أي شئ في الفرائض والصلوات المقدسة في نظرهم، في مشكلة ليس لها حل، مثل مشكلة ليفوفيتس.

كما يؤمن إلحاديون إنسانيون أن حقهم وواجبهم التقييم والحكم والتميز والرفض أي فريضة وقانون طبقا للتقييم الموجهة لصالح كل البشر: نساء ورجال، في كل عمر، وجنس وعرق، حيث إن غاية الفرائض الأخلاقية هو صالح الإنسان.

يتصدر موضوع الفكر الإنساني منذ حوارات سقراط النقاش حول جوهر الإنسان وصالحه، الظروف والعادات القيم والقوانين التي تضمن الأفضل لمعظم البشر، والإجابات المقترحة حول هذا السؤال هي موضوع النقاش الذي يتجلى في إبداعات أدبية وفنية في كل جيل. ولقد ظلت القيم السامية لهليل وكانط - القائلة: "لا يفعل الإنسان غيره ما يكرهه لنفسه، ولا ينظر الإنسان إلى الآخر على أنه وسيلة بل هو غاية، وكل مبدأ أخلاقي هو مبدأ إنساني - مبادئ أساسية للحكم على كل قيمة إنسانية وكل سلوك. واتضح في عصرنا أنه بدون إخلاص لتلك القيم السامية فلا احتمال لوجود مجتمع إنساني يحسن إلى الأفراد الموجودين به، حتى وإن كانت مفاهيم "ما هو صالح للإنسان" من شأنها أن تتغير من جيل لجيل.

إن الحفاظ على الفرائض الدينية أمر له ما يبرره في نظر الملحددين طالما أنها لا تتعارض مع القيم الإنسانية. والفريضة التي تتساوى مع القيم الإنسانية مثل: الفرائض الموجودة في الوصايا (العشر) أو النابعة من مطالب الصدق والعدل يتقبلها إنسانيون إلحاديون ومتدينون على حد سواء. والفرائض التي تتعارض مع تلك القيم مثل: الفريضة



التي تستوجب ظلماً للنساء في المحكمة فتمنح لهن الحق في أن يكن ماثلات أمام المحكمة وألا يكن قاضيات - فهذه الفرائض مرفوضة في نظرهم ويجب إلغاؤها.

تحيا الثقافة الدينية - شريعة، وصلوات، وأشعار دينية، وتفاسير، وقصص، وأعياد، وشعائر - في الثقافة العلمانية المتحررة من الديانة. فتعترف المعتقدات الإلحادية بأدب الشريعة الموجود في التلمود بوصفه إبداعاً متميزاً من النقاشات والخلافات والفتاوى والتي أصبحت فرائض في نظر المؤمنين المتدينين. ويوجد اهتمام كبير بهذا الأدب بوصفه وثائق تاريخية وإبداعات بلاغية وفكرية، إلا أن القوانين والفرائض الواردة به خاضعة للتغيير والإلغاء أو التجديد حسب الضرورة والظروف المتغيرة شريطة أن تخدم مصلحة الإنسان. وتتيح معتقدات الإلحادين لهم اختيار الفرائض والشرائع التي تلائم قيمهم، وإلغاء أو تجاهل فرائض وشرائع ليس لها صلة بقيم عقيدتهم ومناقضة لها. ويمتنع الإلحاديون عن التوجه إلى الإله بالدعاء أو الطلب أو الصلاة والتي يبدو أنه لا طائل منها في نظرهم، أو مناقضة لعقيدتهم التي طبقها لها لا يطلب الإنسان أو يصلى أو يدعو شيئاً لا يؤمن بوجوده ككيان منفصل لا تفيده الصلاة ولا تفيده المصلي.

إن المؤمنين بأن الإله هو ابتكار إنساني متغير ومتطور ويعيد البشر تشكيله في الثقافات والعصور المختلفة لا يصلون له، ولا يدعون له، ولا يعتبرونه خالقهم أو مراقباً ومؤثراً في مصيرهم.

لا تمتنع المعتقدات الإلحادية أصحابها البهجة، واستخدام كل إبداع شعري أو فني يوجد به اسم الإله أو شخصيته كما في أشعار دينية وعلمانية، وصور وتمائيل تصور الإله، وقصص وتفاسير وأشعار الميثولوجيا، طالما يوجد لتلك الإبداعات قيمة شعرية انطباقية مستقلة، أو دور مبهج في الشعائر وفي الاحتفال، ويستخدمها يهود ملحدون. وقد يستخدم اليهودي العلماني أشعاراً دينية من سفر الزامير بجانب أشعار علمانية من سفر نشيد الأناشيد. وتوظف أشعار ونصوص دينية من العهد القديم والقصة التقليدية في احتفال الفصح لدى العلمانيين بجانب أشعار علمانية لعميحاي أو لنعمي شيمر، لألترمان أو إيرا جرشفين. وتلعب إبداعات نموذجية حول موضوعات دينية، مثل أناشيد مزامير

معينة، دراما فلسفية مثل سفر أيوب، "طي سيستينا" ليكل انجلو"، دورا في الحياة الروحية لأبناء ثقافة دينية وعلمانية على حد سواء، يهود وغير يهود.

ويلعب الإبداع الشعري الموجود في الأدب والإبداعات الفنية الأخرى دورا حيويا في الحياة الروحية لكل البشر - متدينين وغير متدينين معا. وتحتاج كل ديانة إلى إبداعات فنية وأدبية لكي تشكل إلهها والشعائر التي من خلالها تحتفل بارتباطها بها، وأعيادها الجماعية والشخصية.

يحتاج الإلحاديون، مثل كل البشر، إلى شعائر في احتفالاتهم - سواء في الأعياد القومية التقليدية أو في الاحتفالات الشخصية لدورة الحياة. وكانت الشعائر والطقوس من هذا النوع دينية طالما كانت الثقافة دينية، ولكن في الجماعات العلمانية يبحث أفرادها عن سبل لتجديد الشعائر وتوفيقها مع معتقداتهم واحتياجاتهم الثقافية. وابتكرت في الثقافة اليهودية غير الدينية قصص جديدة للفصح وسيناريوهات شعائر جديدة لكل عيد واحتفال، ومدرجة بها نصوص من الأدب ومن الفن الديني والعلماني معا، مثلما في طقوس استقبال السبت وإنهائه لدى الأسر العلمانية، وفي احتفالات الحانوكا وإيقاد الشموع لدى علمانيين، وفي طقوس الاحتفال بسن التكليف بالوصايا عند أبناء العلمانيين. وفي طقوس كتلك يوظفون نصوص وإبداعات شعرية من كل عصور اليهودية وتياراتها - دينية وغير دينية على السواء. وقد تؤدي أشعار معينة ليالك وتشير نحو فسكي وأوري تسفي جرينبرج وهيانا ومانجر وألترمان، دورا في احتفالات كتلك بجانب أشعار دينية بارزة مثل أناشيد المزامير، والشعر الديني من العصر الوسيط أو من أدب القبالاه.

إن أحد الإسهامات المهمة للجماعات العلمانية الأولى التي نشأت في فلسطين عن الحركة الكيبوتسية هو الجهد المنظم لخلق الشعائر اليهودية التقليدية مجددا في شكل يلائم نمط حياة وأفراد تلك الجماعات وثقافتهم. ويعد نشوء وتجربة تلك الإبداعات الشعبية بين عشرات الطوائف العلمانية في فلسطين وإسرائيل منشأ لتقاليد العيد ومراسمه التي ضمت إبداعات قديمة وجديدة.

وصار جزء من تلك التقاليد أساسا لاستهلال شعائر ومجموعات نصوص جديدة في المعابد العلمانية بالولايات المتحدة، جمع بعضها وبدأ يُبحث - كما في أرشيفات الأعياد الكبيرة للأدب والأعياد في منطقة "بيت هشيطا" وفي "رمات يوحنان". وتوجد اليوم جماعات علمانية لا تضم اسم الإله في الاحتفالات وفي الطقوس (مثل طائفة بيرمنجهام تمبل في ديترويت) إلى جانب جماعات وأسر علمانية كثيرة تختار نصوصا من الأدب الديني والعلماني على حد سواء.



## الفصل الرابع



### أسس التعليم الإنسانى لليهودية بوصفها ثقافة

#### تعليم من أجل إضفاء الطابع الإنسانى وتعليم معاد للإنسانية

إن الإنسان فقط هو القادر على أن يسلك سلوكا آدميا أو غير آدمى مثل القتل النازيين أو سجانى الجولاج أو الشيوعيين الكمبوديين الذين قتلوا قسما كبيرا من أبناء شعبهم. وتحقق كل الحيوانات الأخرى، باستثناء الإنسان، القدرة الجينية لأبناء جنسها. ولقد تحدث فيكو دلا ميراندولا (١٤٨٦) عن هذا الأمر وأوضحه في خطابه حول كرامة الإنسان: "وهب الإنسان تكويننا مضاعفا ناجما عن إمكانية الخيار التى منحت له. حيث إن كل مخلوق له نطفة تحدد خواصه، لكن الإنسان فقط هو الذى يستطيع أن يشبه الحيوان فى خلقه، والملاك فى رشاده، والنبات فى فتوره، والإله فى فهمه للعالم وفهم نفسه وفى طهارة صفاته.

تحمل الإنسانية مجمل المعتقدات التى تنظر إلى إضفاء الطابع الإنسانى على أنه قيمة عليا ومعيار سام لتقييم وتفضيل كل قيمة وسلوك أو نظام حكم يحدد وفق الشكل والمدى اللذين من خلالها تطور الأنظمة مسارات الإنسانية أو تندها. ومن هنا يأتى تقييم وتفضيل أنظمة الديمقراطية على الأنظمة الدكتاتورية، وتفضيل المبادئ السلوكية التى تنظر إلى الغير على أنه غاية وليس وسيلة، وتفضيل القوانين التى تضمن حقوق الإنسان والمساواة والحرية على تلك التى تخضع جزءا من البشر للغير. حيث يؤدى القهر والجور إلى لاإنسانية المضطهدين والمضطهدين على حد سواء.

تزدهر مسارات إنسانية الفرد - تهيئته للمجتمع وثقيفه وتطوير شخصيته النقدية والمستقلة- فى الديمقراطية وتضمحل فى عكسها. ولقد تم إرسائها عن طريق المعتقدات الإنسانية التى توجه القيم الإنسانية، والتى تؤمن بأن الإنسان آدميا وأنه يؤمن مثل

"هليل" و"كانط" بالمبادئ الأخلاقية التي تقول: "لا يفعل الفرد بغيره ما يكرهه لنفسه، وألا ينظر الإنسان إلى غيره على أنه وسيلة بل هو غاية، وألا يطبق قانون أخلاقي ما على جماعة واحدة من السكان فقط.

### تعليمه - تأهيل للمجتمع، تعليمه للتثقيف والاستقلال الشخصي

يقول أرسيموس "إن الفرد لا يولد إنسانا، فهو يصير إنسانا من خلال تطور النقاش وبخضوعه لسلطة المجتمع وهذا شرط لفرديته.

وهذان الاتجاهان متناقضان لأول وهلة، ولكنها يعملان بالتنسيق مع مسارات العملية الإنسانية التي غايتها التعليم الإنساني:

١ - اتجاه تهيئة الفرد للمجتمع وتثقيفه - تكيّفه مع المجتمع وثقافته، وجعله يلم بمسلماته وسماياتها، وواجباته وحقوقه في المجتمع.

٢ - اتجاه تطوير النقد واستقلال الشخصية وهذا يشجع الاستقلال الروحاني للفرد، والقدرة والتعود على نقد وتمحيص كل ما اكتسب في مسار التهيئة للمجتمع والتثقيف، والقدرة على الإبداع والنشاط الذي يعبر عن تميزه وقدرة تحقيق القوى الكامنة والفرديّة لديه.

تحل تلك المسارات في الأسرة والطائفة والمجتمع والذين يعيشون في الثقافة القومية، خلال تعرض لوسائل الإعلام الدولية وثقافات قومية أخرى.

نحن في عصرنا شهود على مسار نشوء ثقافة إعلام وترفيه دولي مشترك بين ثقافات قومية كثيرة في حضارة واحدة. وتتطور على خلفية تلك التطورات حركات تهتم بالخصوصية القومية، وتسعى لحفظ وتطوير اللغة القومية وثقافتها، وتحاول تأكيد استقلالها للكيان القومي، في أطر فيدرالية أو في دول متعددة القوميات.

إن معظم الحروب التي دارت رحاها منذ الحرب العالمية الثانية نتجت عن صراعات بين كيانات قومية عرقية أو قبلية في أوروبا وآسيا وأفريقيا. ويشجع الانتشار الكبير والمتزايد لشبكات الاتصالات الدولية الوعي بالانتماء القومي وخصب صيته، في

مقابل اتجاه دولى لمنتجات استهلاكية ومنتجات ترفيهية دولية إعلامية وثقافية، مثل: موسيقى البوب، صناعه المعلومات المحوسبة أو أفلام إثارة ورعب دولية مترجمة عن لغات قومية .

### تنمية الجوانب الإنسانية فى الثقافة القومية

إن العملية الإنسانية هى عملية تثقيف الإنسان فى المجتمع وفى الثقافة القومية التى نشأ بها. ولا يوجد فى العالم بيئة ثقافية ليست قومية (عرقية أو قبلية). وتميز كل ثقافة قومية عن الثقافات القومية الأخرى باللغة وبالعالم المفاهيم وتداعى المعانى الخاصة بها، وبإدراك للتراث التاريخى والثقافى، وبالعادة والشعائر، وبالمعتقدات السائدة بها، وبالنظرة إلى الكيان القومى وتباينة عن المجتمعات التابعة لثقافات قومية أخرى. وتنمو فى الحضارة الواحدة ثقافات قومية متميزة ومختلفة عن بعضها البعض كما فى الحضارة الأوربية فى القرن العشرين.

وبكلمة "حضاره" نلقب إجمالى الوسائل والأدوات التكنولوجية والتنظيمية. التى تمد الاحتياجات الجسدية والاجتماعية للفرد.

أما "الثقافة" فهى اسم مجمل الظواهر والإبداعات التى تشكل البيئة الروحانية التى ينشأ بها الفرد. ووفقا لكلام بوبر (فى كتاب وجه إنسان) فإن: الحضارة - هى تشكيل عقلى لنظام علمى، عملى ونفعى. ويكون تحقيق وتطبيق هذا النظام عن طريق أنظمة وأدوات. لكن "الثقافة" هى رصد لحركة حياة الإنسان بهدف التعبير عنها وعن تطلعها ومحاولتها كسب شكل ماهيتها - على نقيض هذه الحركة فكل شىء موجود ليس إلا مادة لتشكيل صورة إبداعاتها - غير المتكررة، ورموز اعتبرت كحقيقة للنفس.

وعلى نقيض الحضارة فإن الثقافة لا تتراكم، بل يجب ابتكارها مجددا فى كل جيل، وإبداعات الثقافة ليست وسيلة لغاية بل هى غاية فى حد ذاتها، لها دلالتها الشخصية الواضحة بداخلها وتملأ الحياة .

تندرج فى الثقافة الأنماط التى بها يشكل الإنسان نفسه بمواد وتقاليده متاحة له من خلال المجتمع الذى يعيش فيه.

ونجد في الإبداعات النموذجية التي تمثل ثقافة معينة تعبير عن تفرد وتميز مبدعيها والإنسان. وبعد الإبداع والتقليد هما وجهها الثقافة - ولكليهما معا قيمة ثقافية.

## اعتراف بهوية يهودية وعربية في إسرائيل

يعيش اليهود في الخارج وينشأون في ظل الثقافة القومية لبلدهم، وبمدى يتضائل في ثقافة طائفتهم اليهودية. وتختلف الهوية اليهودية لليهود الأمريكيان عن الهوية اليهودية لليهود الفرنسيين، تماما مثلما أن الهوية الفرنسية أو الأمريكية لهؤلاء اليهود مختلفة عن الهوية الفرنسية والأمريكية لغير اليهود الذين يعيشون في بلدانهم. وتستمر خصوصية الهوية اليهودية، في كثير من الحالات، بالرغم من مسارات الاندماج الثقافي المتزايدة بين يهود العالم، حيث يفصل كثيرون منهم عن طوائفهم اليهودية ويعيشون في مجتمع غير يهودي مفتوح يشجع إندماج اليهود في أسر وفي جماعات غير يهودية وفي الحياة الثقافية القومية لبلدهم.

يعيش اليهود بإسرائيل في ظل الثقافة القومية الإسرائيلية اليهودية، فتميز ثقافتهم وهويتهم اليهودية وتختلف عن الهوية اليهودية لليهود أمريكا أو فرنسا، وهي تتطور في بيئة ثقافية يهودية في جوهرها باللغة العبرية، وبنظم تعليم يهودية والتي تؤكد على التعرف على تراث تاريخي وثقافي يهودي وإبداعات العهد القديم ونخبة من إبداعات يهودية أخرى.

وتنمو الثقافة اليهودية في إسرائيل بجانب الثقافة الفلسطينية العربية، حيث يشكل الفلسطينيون خمس سكان دولة اليهود. وهذه الثقافة مشتركة بين العرب الذين يعيشون في إسرائيل وفي فلسطين وبلدان عربية أخرى. كما تبرز أيضا في الثقافة العربية الإسرائيلية علامات مميزة من ثقافات عربية أخرى، مثل ثنائية اللغة، والتعرض لوسائل الإعلام الإسرائيلية، وتعبير الصراع من أجل مساواة حقوق الأقلية العربية في إسرائيل وإبداعات متميزة في البحث واللغة والتعليم.

أصبحت الثقافتان - الإسرائيلية اليهودية والإسرائيلية الفلسطينية متأترتين، مثل كل ثقافات الشعوب، بعوامل ثقافية دولية عندما تحافظان وتؤكدان على تميزهما: في اللغة، وفي النظرة إلى التراث التاريخي والثقافي، وفي الأعياد، والإبداعات السائدة بينهما،

والعادات، والتقاليد، والنظرة إلى الديانة وإلى العلمانية، والنظرة إلى الأرض وأبناء شعبها في بلدان أخرى، وفي النظرة إلى أبناء الشعوب الأخرى.

وتتطور في كل ثقافة من هاتين الثقافتين بإسرائيل حركات إنسانية تشجع إضفاء الطابع الإنساني، وتسعى لتحسين ماهية الحياة، وتتصارع مع معاداة الإنسانية والتي ترعاها أيديولوجيات وحركات متعصبة قومياً وعنصرياً.

يسعى التعليم الإنساني الإسرائيلي لتطوير وعي اليهود والعرب تجاه ثقافتهم الخاصة، وتطوير الإبداع والتعليم في كل ثقافة من هاتين الثقافتين، وتطوير ارتباطها بثقافات شعبهم في كل البلدان، وفي المقابل - الاهتمام بالعلاقات الثقافية المتبادلة واللقاء الاجتماعي والتعاون في كل مجالات النشاط الحضاري والسياسي.

ويوجد للتعليم الإنساني في كلتا الثقافتين أهداف مشتركة كثيرة في مجال إضفاء الطابع الإنساني والصراع ضد العنصرية بأنواعها، تماماً مثلما يوجد له أهداف مشتركة في الاهتمام بخصوصية كل ثقافة من هاتين الثقافتين القوميتين في نظم التعليم الخاص بهما، وفي أطر اجتماعية ووطنية، خلال لقاءات مشتركة بين الذين يعيشون في الثقافتين وفي دولة واحدة.

ولقاء مثل هذا بين ثقافات قومية مختلفة مألوف في دول كثيرة، مثل: سويسرا، بلجيكا، كندا، نيجيريا، الصين وأندونيسيا. وتساعد السياسة التي تعترف بالاختلاف والخصوصية الثقافية القومية على حوار مثمر بين الذين يعيشون في الثقافات المختلفة في كيان سياسي واحد.

وفي إسرائيل يتم التركيز على دراسة أساليب اللقاء بين الثقافتين وعلى إمام الدارسين والمعلمين في كل ثقافة منها بمصادرها، وبالإبداعات النموذجية التي ألفت بها، وتراثها التاريخي، وتطور اللغة القومية وعالم المفاهيم الخاصة بها، والعلاقات الثقافية بين أبناء اليهود والشعب العربي في إسرائيل وأبناء شعوبهم في دول أخرى، والعلاقات بين الديانة والعلمانية في كل ثقافة من هاتين الثقافتين، ومبادئ الإنسانية وحركات حقوق الإنسان وصدامها مع معارضيتها وإمكانات التعاون بين الحركات الإنسانية في كلا الشعبين.



## تعليم يهدف إلى ترسيخ قيم المساواة وضمان حقوق الفرد والمجتمع

يشمل التعليم الإنساني - في اليهودية وفي كل الثقافات القومية الأخرى - تعليم للديمقراطية بوصفها النظام الوحيد الذى يستطيع ضمان الدفاع عن حقوق الأفراد والأقليات فى المجتمع. ويضمن مثل هذا المجتمع الظروف الأمل لمسار إنسانية الأفراد، وتحقيق الحد الأقصى من القدرات الخاصة الكامنة فى كل واحد منها، ومساواة حقوق الأفراد فى المجتمع والمساواة فى تأدية واجبات الأفراد تجاهه.

ويسمح المجتمع الديمقراطى لكل أقلية تعليم الدارسين بها بأسلوبها الخاص طالما أنهم يؤدون واجباتهم تجاه المجتمع ويضمون فى تعليمهم الإمام بالديمقراطية، والدستور والواجبات التى يفرضها والحقوق التى يكسبها لكل فرد - رجال ونساء. وأداء واجبات الأفراد تجاه المجتمع هو شرط حيوى لوجود المجتمع الديمقراطى وقدرته على المنح والدفاع عن حقوق كل فرد وأقلية به. ومن أجل ضمان حقوق الأفراد فعلى المناهج الدراسية لكل أقلية - دينية أو علمانية - أن تشمل إكساب مهارات لغوية تاريخية للشعب والعالم والإعداد لدراسات العلوم والتكنولوجيا.

ويشمل الاعتراف بمشروعية الخلاف الاعتراف بعدم المشروعية الشمولية التى تعيق كل خلاف. وبرز التعليم الإنسانى تفضيل الديمقراطية على كل بدائلها بكونها النظام الوحيد الذى يتيح تحقيق الحد الأقصى من مبادئ المساواة فى مجتمع إنسانى ويمحص التعليم الإنسانى من أجل الديمقراطية وللمساواة الحقوق فى اليهودية علاقة المصادر فى اليهودية بهذه القضية.

ويتناول "حاييم كوهين" قضية المساواة والاختلاف فى المصادر اليهودية القديمة، وذلك فى كتابه الذى يضم محاضراته المذاعه حول حقوق الإنسان فى العهد القديم والتلمود :

"هذه لغة البند الأول للتصريح العالمى للأمم المتحدة بشأن حقوق الإنسان. ولد كل الناس أحراراً متساوين فى الحقوق والكرامة. ولا تعد هذه المساواة بين الناس والتصريح بأنهم جميعاً ولدوا متساوون وأحراراً اختراع أصحاب هذا التصريح ومصدره؛ حيث إن معظم الحقوق الأساسية للإنسان كامنه فى المصادر اليهودية"

ويشير العهد القديم إلى أن الإله خلق الإنسان على هيئته وشبهه (على هيئة الإله بلقه ذكرا وأنثى خلقهم) كل إنسان خلق على هيئة الإله وكل الناس متساوون في هذا. ذكر الفرق الواحد والوحيد بينهم في الفقرة نفسها، وهو الفرق بين الذكر والأنثى. لكن قد ذكرت أيضا الفروق بين الجنسين في نفس السياق ليؤكد المساواة التي بينهما، كما خلق الذكر على هيئة الإله فقد خلقت المرأة كذلك على هيئة الإله. حيث لا يوجد نس للإله (على أية حال لا توجد ضرورة ليكون له جنس) ولكن الحقيقة أنه يوجد فرق سدى فيسولوجى بين الذكر والأنثى، ولا يضر هذا بالمساواة الشخصية والأخلاقية الشرعية بينهما. لأن كل إنسان خلق على هيئة الإله، كل إنسان مساو لغيره، ولا يحق لفرد لقول لغيره أنا أعظم منك، ودمى أحمر من دمك.

كانا الحاخامان منقسمان في رأيهما حول ماهو أعظم مبدأ في التوراة، فيقول الحاخام مقيبا: "أعظم مبدأ في التوراة هو "أحب لأخيك كما تحب لنفسك"، أما "بن عزاي" الذى كان ابن عمه وتلميذه، يختلف معه ويقول: "إن أعظم ما في التوراة هو "أنها تعدد كتاب اريخ الإنسان يوم أن خلقه الإله على هيئته، وقد خلقه ذكر وأنثى.

ما الفرق بين رأى الحاخام عقيبا ورأى بن عزاي؟ يقول أحدهم لا يمكن أن طلب من كل إنسان أن يجب كل الناس بمقدار متساوى. فلا تستطيع أن تحب إنسان غريب عنك لا تستطيع حتى معرفته وفهمه. ويكفيك أن تحب قريبك والمنتضى إلى سرتك، ولشعبك. أما "بن عزاي" فيقول إن كل إنسان قد خلق على هيئة الإله، وكما أنك ملزم بحب الإله، كذلك فأعظم مبدأ في التوراة هو الالتزام بالتعامل مع كل إنسان معاملة متساوية. وما يهنا هو المساواة الجوهرية بين البشر والملمزمين بالتعامل مع كل واحد منهم بوصفه مخلوق على هيئة الإله، وهو أعظم مبدأ تقوم عليه توراة إسرائيل (حاييم كوهين "حقوق الإنسان في العهد القديم والتلمود").

يتفانى التعليم الإنسانى اليهودى من أجل ترسيخ الاعتراف بحقوق وواجبات كل فرد وأقلية في المجتمع، وبمساواة الحقوق والواجبات والتي يجب أن يعترف بها المجتمع، وبضرورة الدفاع عن المجتمع ضد الذين يبعون تقويضه من خلال إلغاء الديمقراطية التي تضمن هذه الحقوق. ويسعى التعليم الإنسانى اليهودى لتحقيق

المعتقدات المذكورة آنفاً، ويبقى أن يتشرب دارسوه بمعارضة كل محاولة لإلغاء حقوق المساواة بين الشعوب، بين الرجال والنساء أو بين تيارات اليهودية (الأرثوذكس والإصلاحيين والمحافظين والعلمانيين) داخل المجتمع اليهودي الإسرائيلي.

### التعليم ذو النزعة القومية خطر على الإنسانية

يرفض الإنسانون - متدينون وعلمانيون - النظرية النسبية والتي تتعامل بتسامح وتفهم ومنح حقوق للتعصب القومي والعنصري، لأنهم جزء من ثقافة المؤمنين بها. وتتيح هذه الرؤية موارد لتعليم يروج المعادة للسامية أو رفض حقوق شعب عن طريق شعب آخر.

يؤدي التعليم وترويج التعصب القومي والعنصري إلى اللإنسانية. حيث إنها تتسبب في أن ينظر الإنسان إلى نفسه على أنه شعب مختار أو عرق أو جنس سامي. وفي دور كهذا هم يسمحون لأنفسهم أن يفعلوا بغيرهم ما يكرهوه لأنفسهم، وأن يتعاملوا مع غيرهم على أنهم وسيلة وليس غاية، وتطبيق مبادئ أخلاقية على أبناء الجنس أو الجماعة التي يتمتعون إليها فقط.

التعليم المتعصب قومياً وعنصرياً هو من أسباب اللإنسانية لأنه يعمل على نقيض الثلاث قيم السامية للإنسانية والتي تؤكد الإنسانية، كما صاغها هليل وكانط وهي:

- لا يفعل الإنسان بغيره ما يبغضه لنفسه.
- لا ينظر الفرد إلى غيره على أنه وسيلة بل غاية في حد ذاتها.
- المبدأ الأخلاقي غير العالمي لا يعد أخلاقياً.

يؤدي التعليم الإنساني إلى إضفاء الطابع الإنساني عن طريق استيعاب تلك القيم؛ والتي تؤكد على الإيثار بمساواة في الحقوق لكل إنسان وشعب وعرق وجنس. ويكسب التعليم النفعي بأنواعه - المتعصب قومياً وعنصرياً - إيثاراً بعدم المساواة: فهو يبرر على سبيل المثال تحقير النساء في الصلاة اليومية (بمقوله الحمد لله أنه لم يخلقني امرأة). وامتدانتهم من خلال إبعادهن إلى المقصورة النسائية (في الأتوبيس أو في المعبد)، وهضم

نوقهن في القوانين وفي نظم المحاكم (مسموح لمن أن يكن ماثلات أمام المحكمة وألا ن قاضيات).

وعلى هذا النحو يرسخ التعليم العنصرى بأنواعه الاعتقاد المختلق بأفضلية الرجل المرأة، ويسمو الأرى على اليهودى وبأفضلية اليهودى على غير اليهودى.

وتشوه معتقدات كتلك في وعى المؤمنين بها صورة الواقع وتقلل من آدمية الإنسان زمن بها لأنها تقوض وتلغى صلاحية القيم الإنسانية.

ويتواجد المجتمع الديمقراطى الذى يعلم الإنسانية بفضل أداء واجباتنا تجاهه من خلال الدفاع عن حقوق الإنسان من أجل المساواة والحرية والاحترام المتبادل. ويعد دفاع عن وجود مجتمع كهذا أمام أيديولوجيات عنصرية ونفعية ضروريا للعملية إنسانية ولاستمرار وجود المجتمع كمجتمع متطور ومستقر.

إن التعليم الهادف إلى التعددية يرفض النسبية التى تمنح مشروعية وحقوقا متساوية كل تعليم ينادى بالتعصب القومي والعنصري، ويضطهد أنصار الديمقراطية وزعمائها. لامبرر لتعليم يرسخ معتقدات كتلك حتى وإن كانت "صحيحة" أو تنمو في البيئة ثقافية التقليدية.

### بم إنسانية - معايير لتقييمه ونقد الفرائض والشرائع

تعد القيم هي، كما أسلفنا، معايير تقييم وتفضيل فرائض الشريعة أو قوانين الدولة. يعلم التعليم الإنسانى نقد الفرائض والقوانين حسب معايير القيم الإنسانية. ويمنح اعتقاد بأن الإنسان هو مبتكر القيم وماهية حياته هو غايتها، وللبشر حق تقييم القوانين الفرائض التى تفيد في تطوير حياة الإنسان، ورفض القوانين والفرائض التى تضر بماهية ياته .

ويقوم التعليم الإنسانى اليهودى على تلك المعتقدات وليس على الاعتقاد بأن ائض الشريعة مصدرها الإله وأن هدف السلوك الإنسانى هو إرضاء الإله عن طريق اعه أوامر الذين يتظاهرون بالتحدث باسمه ويلغى الإيمان بالمصدر الإلهى للفرائض

حق الإنسان في نقدها وتقييم وتفضيل ورفض فرائض وقوانين معينة ، أو تمحيصها لمعرفة الافادة التي تجلبها للإنسان.

واعترف أيضا مفكرون عقلانيون في اليهودية الدينية - مثل سعديا وموسى بن ميمون - بأنه توجد فرائض لا يدرك مبررها، ليس لها مبرر، ولا منفعة منها للبشر. وعلى ذلك قال موسى بن ميمون أنه توجد فرائض وقتية - فرائض تبطل عبر الزمن - مثل فرائض تقديم القرابين التي ظلت خلال سنوات كثيرة فقط لأن اليهود كانوا معتادين على تقديم قرابين أثناء عبادتهم لآلهة كثيرة أخرى وصعب على البشر الانقطاع مرة واحدة عن تعودهم وعباداتهم .

ويشرح التعليم الإنساني اليهودية بوصفها ثقافة متطورة ويؤكد على السمة الوقتية للفرائض حيث إن فرائض الشريعة لا تتطابق مع قيم اليهودية، تماما مثلما أن واجب تقديم قرابين لم يشكل قيمة كهذه. و فرائض تقديم قرابين ، مثل كل الفرائض الأخرى هي تعليقات الوقت التي كانت سارية المفعول فقط في نظر المؤمنين بصلاحياتها لمبرر ما، وعندما توقفوا عن الإيذان بذلك توقفوا عن الحفاظ على تلك الفرائض، كما توقفوا عن تقديم قرابين.

ويعتنى التعليم الإنساني بالنقد والتقييم واستنتاج النتائج العملية للتشريع الذي يرسخ أو يلغى قوانين و فرائض مناقضة للقيم الأخلاقية، حتى وإن قبلت صراحة في العهد القديم أو قالها رجال دين لاحقون مثل: الوصية التي تطالب بقتل كل شعب "عماليق" أو الفرائض التي تقضى بقتل الخارجين على قوانين يوم السبت ، أو الفرائض التي تضطهد النساء. وعلى ضوء إعادة نقد وتقييم كل الفرائض والقوانين طبقا لمعايير فائدتها للبشر فسوف يتوقف كثيرون من دارسى التعليم الإنساني عن التمسك بفرائض الشريعة التي لافائدة منها حسب رأيهم، أو بتلك التي عفا عليها الزمن، حتى وإن لم تكن مناقضة لمبادئ الأخلاق مثل : فرائض الطعام الحلال، وفرائض الامتناع عن ملامسة المرأة خلال أيام كثيرة كل شهر، فرائض الامتناع عن مشاهدة التلفزيون يوم السبت أو في كل الأيام الأخرى وغيرها.

تقدست في اليهودية، كما في كل الثقافات الدينية، تقاليد وشرائع قديمة مناقضة لقيم الإنسانية مثل: واجب الضرر البدني بالأطفال وبأعضائهم الجنسية، تحريم تحديد نسل (أحد الأسباب الأساسية في الانفجار السكاني وانتشار المجاعة والتخلف في مناطق الفقر في العالم) فرض شرائع دينية على غير متدينين وغيرها. ويشجع التعليم لإنساني إعادة تمحيص وتقييم كل القوانين والفرائض مجددا بهدف إلغاء كل قانون يفرضه تضر الناس أكثر مما تنفعهم.

قال "يشعياهو ليفوفيتس": "لست إنسانا (في محاضراته التي نشرها في كتاب 'اليهودية المتحررة والديانة في إسرائيل' ١٩٩٩) حيث عارض كل تغيير في فرائض الشريعة. ورأى أنها ذات فاعلية متساوية، لا تخضع للتقويض، بما في ذلك، كما قال في محاضرة أخرى، المساواة بين فرائض الحفاظ على السبت وفرائض الإبادة الجماعية لشعب عماليق. وستضم دراسة اليهودية بوصفها ثقافة تقييمات وتفضيلات وليس فقط وصف أنثروبولوجي "موضوعي" يقارن بين العادات لكي يصنفها بشكل علمي. وتؤكد دراسة اليهودية بوصفها ثقافة متطورة، على سبيل المثال، الميزة الأخلاقية للإصلاح في الديانة اليهودية والتي ألغت الصلوات التي تهين النساء، وألغت المقصورة النسائية، وألغت الحق الخاص بالرجال في اختيار حاخامات أو مرتلين أو قضاة للشؤون الدينية، وألغت شرائع يوم السبت التي تعطل حرية التنقل (بما فيها الانتقال إلى المعبد ومنه) والاستمتاع بيوم الراحة والفراغ.

وينظر إلى تلك التغيرات البارزة في الديانة اليهودية في عصرنا ليس فقط بوصفها ظاهرة تاريخية متعددة الدلالة بل أيضا من ناحية الفائدة التي جلبتها لليهود المتدينين الذين يرغبون الانتقال إلى المعبد في أيام السبت وفي الأعياد، ولليهود العلمانيين الذين يرغبون قضاء السبت (في تمزيقه وقت فراغ آخر) بعيدا عن بيتهم.

ويشجع التعليم الإنساني إلغاء النظرة إلى الفرائض والشرائع على أنها مقدسة بسبب مصدرها الإلهي أو بسبب أنها جزء من تقليد قديم.

إن تقييم عادات وتقاليد ثقافية بما فيها شعائر الأعياد والمناسبات في حياة الفرد

والجماعة، ناجم عن تقييم اسهاماتهم لماهية حياة الفرد ولشعور الانتفاء الذى يمنحونه ل تجاه الجماعة الثقافية التى يعيش بها، ولتنوع الحياة وإثرائها من خلال عادات العيد وعنصر التسلية الذى به يشارك الحاضرون فى احتفال كل عام.

يعمق التعلم الإنسانى هذه المعرفة ويمزجها برؤية نقدية لتقييم وتفضيل كل عادة، وفرايضة وقانون، على ضوء الإفادة أو الضرر الذى قد يسببه للبشر.

## تعلم إنسانى مشروط بثقافة واسعة ونشاط اجتماعى

### الثقافة

يكسب التعليم الإنسانى اليهودى دراسيه التعرف على اليهودية بوصفها ثقافة الشعب والشعوب من خلال نظم ثقافة واسعة، تساعد الدارس على معرفة انفتاح الثقافة اليهودية على تأثيرات ثقافات الشعوب وتأثيرها عليهم، والقواسم المشتركة لثقافات الغرب المعاصر ودور القيم الإنسانية فى تطورها.

وتضم ثقافة كتلك إلمام انطباعى وفكرى بالإبداعات التى تمثل الثقافات اليهودية المختلفة التى تعيش بجانب بعضها البعض فى اليهودية، وثقافات الطوائف والتيارات الدينية. وتساعد الثقافة المنهجية الموجهة للإلمام بالإبداعات الكلاسيكية على استيعاب قيم تضامن إنسانى، وترسيخ قيمة مساواة حقوق البشر فى العالم، وتفهم مشاكل الإنسانية عامة والتى تتجلى فى الإبداعات الكلاسيكية لكل الشعوب.

والتعليم الإنسانى مشروط بثقافة تؤدى بالإنسان إلى معرفة إنجازات البشر ليس فقط فى مجالات الحضارة، بل أيضا فى مجالات الثقافة كما حددها بوبر.

ويعد مستوى الثقافة والتعرض لتنوعه الإبداعات التى تمثل الثقافة القومية وثقافة الشعوب أحد أسباب إثراء أو ضعف الحياة الروحية ومستوى تنوع موضوعات الحوار فى الأسرة وفى دائرة الأصدقاء. وماهية الحياة المشروطة بنوع النشاط الروحانى الذى يتكيف معه الإنسان ويندمج به.

وثقافة كهذه هى جزء لا يتجزء من كل تعليم يهدف إلى تكيف اجتماعى ومشاركة

، الثقافة القومية والدولية التي يعيش بها دارسوها. ويحقق تعليم كهذا أهدافه عندما تزرع الثقافة التي يمنحها بالتعلم وبالاندماج في النشاط الاجتماعي وبتشجيع النقد الإبداعي المستقل.

### نشاط اجتماعي

إن الأداء الاجتماعي في التعلم الإنساني للأطفال والكبار الذين يأخذون على بائقهم مسئولية ومهام داخل إطار الأسرة والجماعة، يلقي المسئولية على الفرد. ويمنحه معورا بأنه يؤدي دورا له مغزى في حياته، ويعرض أمامه مشاكل تطبيق القيم والمبادئ لأخلاقية، والتي تؤثر على حياة الناس في المجتمع الذي يعيش به. ويمكن جلب نماذج على ذلك من نشاط أطفال وشباب يعملون من أجل حقوق أطفال، ومن أجل مساواة سكان مضطهدين، ومن أجل الطائفة ونشاط تعليمي ومن أجل شباب منهم، ومن أجل اندماج في حركات احتجاج على الحرب النوويه وعلى إتلاف البيئة وعلى التعصب القومي والعنصري وغيره.

مثال : إن مشاركة قسم كبير من شباب اليهود على أرض فلسطين في نشاط حركات شباب وأطر الحرب استعدادا لإقامة الدولة، والمشاركة السياسية والعمل في نشاط تهجير اليهود سرا من أوروبا عقب الحدث النازي، قد أثروا تأثيرا تربويا حاسما في ترسيخ قيم تضامن قومي وإنساني لدى أجيال إسرائيليين. ولقد أضر فقدان أطر ووهن التعليم بآداء النشاط التطوعي للأطفال والشباب الهادف إلى حقوق أطفال ومساواه حقوق النساء والأقليات القومية كما أضر بمسارات التعليم الذي يهدف إلى ترسيخ قيم إنسانية بين الشباب الإسرائيلي. وامتزجت مشاعر التضامن مع أناس في الأسرة وفي الطائفة بين دوائر في الجمهور الإسرائيلي بمشاعر تضامن مع أناس في اليهود في كل مكان يعانون فيه من ضائقة بسبب كونهم يهود، كما في روسيا السوفيتية أو في أثيوبيا.

ويوجب التعليم الإنساني اليهودي، مثل كل تعليم إنساني قومي غير متعصب، توسيع دائم لدائرة التضامن والمسئولية ويعمق هذا التوسع الاعتراف بضرورة أداء الوظائف التي من خلالها يستطيع الأفراد التأثير على مصير المجتمع القومي والإنساني



وترسيخ قيم تضامن قومية تمتزج مع مشاعر تضامن عامة إنسانية. وتتعرز هذه عن طريق إندماج شباب في نشاط اجتماعي وسياسي لضمان حقوق المساواة، مثل نضال ومخاطرة شباب أمريكي يهود و"بيض" آخرين من أجل ضمان حقوق مساواة "للأمريكان الأفارقة" في الولايات المتحدة في الستينات والسبعينات.

يشمل التعليم الإنساني تعلم يهدف لإندماج سياسي نشط من أجل حقوق الإنسان في كل عمر وجنس وقوم. ومن أجل ذلك يجب أن تشمل خطة ثقافة التعليم الإنساني الاعتراف بالمشاكل الاجتماعية والفكرية التي تواجهها، وموائيق حقوق الإنسان والتي تطالب بالتأكيد على تلك الحقوق، بما في مصادرها في الأدب الكلاسيكي، واليوناني واليهودي، وفي الفكر والإبداع الإنساني الأوربي، وتصريحات حقوق الإنسان في الثورات الأمريكية والفرنسية، وحتى موائيق حقوق الإنسان والطفل للأمم المتحدة.

ويختلط التمرس في نشاط اجتماعي، وثقافة منهجية واسعة لمعرفة الثقافة والإبداعات التي تمثلها، وتشجيع النقد والإبداع لدى الأفراد، بنشاط تعليمي إنساني يزيد الوعي بالقيم، وينتقد على ضوئها القوانين والفرائض والتقاليد الموجودة، ويسعى لتحويل اجتماعي من أجل تحسين حياة البشر وإثرائها.

### الدور التعليمي لإبداعات كلاسيكية يخطئ أبطالها أخلاقيا

يطلق على الإبداعات الكلاسيكية (والتي تسمى أيضا إبداعات نموذجية) هذا المسمى بسبب الدور الذي تلعبه في الحياة الثقافية للجماعة والفرد، وتسمى كذلك طالما أنها تؤدي هذا الدور.

يقوم كل تعلم إنساني على معرفة منهجية من المدارس للإبداعات الكلاسيكية لثقافته، وللقواسم المشتركة لكل تياراتها ولتأثير تلك الإبداعات على الإبداع الثقافي في العصور المختلفة.

و"الإبداعات الكلاسيكية" في الأدب هي الإبداعات التي تمثل ثقافة شعب أو مجموعة شعوب، إنها إبداعات "مستدامة" تمنح انطباع وتثير اهتمام في عصور مختلفة وبعيدة عن تلك التي ألقت بها، كما أنها إبداعات تدل على العصر الذي ألقت به وتؤثر في

ثقافة قرائها في كل عصر، وتبرز مشاكل ومعضلات إنسانية عامة في شكل متميز، وكأنها مشكلة شخصية لأبطالها (مثل: يعقوب، يوسف، أيوب، مداه، لير، دون كيشوط، فاوست وغيرهم).

يقيم الإبداعات الكلاسيكية مفكرون ونقاد في العصور المختلفة بوصفها إبداعات نموذجية بالشكل الذي ألفت به، ومؤثرة في التعليم والإبداع في ثقافتها. ويعد الإلمام بالإبداعات النموذجية هو مفتاح معرفة الثقافة التي تحصى بها، مثل إبداعات هوميروس في الثقافة اليونانية القديمة وإبداعات العهد القديم في الثقافة اليهودية، والتي تحولت كليهما إلى إبداعات كلاسيكية للثقافة الغربية كلها. ولقد أضيف على كل هذا في عصور لاحقة إبداعات قد تحولت إلى كلاسيكية في نظر قرائها في فترات مختلفة في تاريخ الثقافة، مثل: التراجيديات اليونانية التي قد تطور الاعتراف بها بوصفها إبداعات كلاسيكية للثقافة الغربية بالتدرج منذ عصر النهضة الأوروبية، أو إبداعات فيلون وفيلافوس والذي قد تطور الاعتراف بها بوصفها جزء من الإبداعات الكلاسيكية للثقافة اليهودية القديمة في عصرنا فقط.

تؤدي "الإبداعات الكلاسيكية" - في الفن والأدب والفكر - إلى انطباع وجداني وفكري لمستوعبيها. وذلك مثل إبداعات كثيرة في العهد القديم والتي تستمر في أداء دور بوصفها إبداعات كلاسيكية في الثقافة اليهودية المعاصرة، وتؤثر في الحياة الروحية والإبداع في كل تيارات اليهودية - العلمانية والدينية.

تتحول الإبداعات لتكون إبداعات كلاسيكية أولاً وفقاً للتحويل الذي طرأ على الدور الذي تؤديه في المجتمع والثقافة، مثل: توقف الإبداعات الكلاسيكية اليونانية عن أداء دور الإبداعات الكلاسيكية في أوروبا، بعد العصر الهليني خلال قرون كثيرة، وبدأت تلعب هذا الدور منذ أن عرفت مجدداً لدى كثيرين وأدخلت إلى مناهج التدريس في أطر التعليم الإنساني الغربي.

لعبت معظم إبداعات التلمود والمدراس دور الإبداعات الكلاسيكية في الثقافة اليهودية بالعصر الوسيط بجانب إبداعات العهد القديم، لكنها توقفت عن أداء هذا

الدور في معظم التيارات اليهودية في القرن العشرين، عقب التحول الذي طرأ في ثقافة اليهود نتيجة لمسارات الثقافة والعلمنة، ولانقسام اليهودية الدينية إلى تيارات إصلاحية وأرثوذكسية، وللتحول المفرط الذي حل على التعليم اليهودي الذي يتلقاه معظم الشباب اليهودي - من التعليم الذي يقوم على دراسة التلمود إلى تعليم يهودي يقوم على دراسة العهد القديم ويدمج اليهودية بثقافة الشعوب.

وتواصل إبداعات التلمود والمدارش، مثل إبداعات في القبالة، والشريعة والتفاسير الدينية، أداء دور إبداعات كلاسيكية بين تيارات يهودية أرثوذكسية لكنها لم تعد تؤدي ذلك الدور بين معظم اليهودية الدينية والعلمانية في العالم. وتواصل إبداعات من أدب التلمود، والقبالة والشريعة أداء دور بوصفها جزء من "مصادر اليهودية"، وتمثل عصور تاريخية وتيارات دينية في تاريخها، لكنها لا تؤثر تأثيراً بارزاً على الإبداع وعلى الحياة الثقافية لغالبية اليهود العلمانيين.

وفي كل تيار من تيارات اليهودية يتعرف دارسوه على الإبداعات الكلاسيكية لثقافتها، وعلى مستويات مختلفة من المعرفة والتجربة. وتواصل في اليهودية العلمانية إبداعات العهد القديم العمل بوصفها إبداعات كلاسيكية، بجانب إبداعات كلاسيكية من ثقافات الشعوب الغربية. وتستمر في ثقافات شعوب الغرب إبداعات العهد القديم العمل بوصفها إبداعات كلاسيكية، كجزء من الإبداعات الكلاسيكية المشتركة لها وبجانب الإبداعات الكلاسيكية لكل ثقافة من تلك الثقافات القومية.

### إسهام إبداعات الأدب الكلاسيكي الذي يخطئ إبطاله في التعليم الإنساني

منذ أفلاطون يتخطب معلمون ومفكرون في مشكلة القيمة التربوية للإبداعات الكلاسيكية والتي يحق لأبطالها الخطأ وتخطئ القوانين أو مبادئ الأخلاق - من إبراهيم حتى داود، ومن أجنون حتى مدهاه، ومن مكبث حتى فاوست.

لا يستخدم في الإبداعات الكلاسيكية أبطال الأدب نموذجاً لسلوك جدير بالتقليد. فلن يرغب إنسان أن يتصرف ابنه أو تلميذه كما تصرف إبراهيم مع ابنه، أو كما فعل يعقوب مع أبيه العجوز الأعمى أو كما فعل يهوه بتحريمه المعرفة والفضيلة. وتعد أفعال أبطال معظم تلك الإبداعات الكلاسيكية هي أثم من وجهة نظر القيم الأخلاقية.

من أى ناحية تسهم إبداعات كتلك في التعليم الإنساني الذي يهدف إلى ترسيخ قيم اخلاقية ونقدية؟

### حقيقة إنسانية وحقيقة عاطفية

لا تكمن القيمة التربوية لإبداعات الأدب الكلاسيكي في عرض نماذج السلوك الجديرة بالمحاكاة، بل في كشف حقيقة إنسانية (كما يقول تولستوى)، وعن طريق الحقيقة الوجدانية المدركة من خلال الانطباع أثناء استيعابها (كما يقول أرسطو). وبالمواجهه مع ما يخص الجنس البشري الذي ليس له تعريف إلا في الإبداع الأدبي والفنى العظيم (كما في إبداعات شكسبير).

تدل حقائق إنسانية ووجدانية مثل تلك على القوة الكامنة في الإنسان وهى أقوى من الحقائق التاريخية، والتي تتغير مع تقدم البحث التاريخي والأثرى وفك شفرة دلالاته. وتميط الحقائق الوجدانية التي تكشف، كما يقول أرسطو، ما يمكن أن يحدث وليس ما قد حدث، اللثام عن قدرات المواجهة الإنسانية مع مشاكل عامة إنسانية، وتكشف إبداعات كلاسيكية في الأدب، بكل أنواعه، عن واقع إنساني عام والذي يعبر عن مواجهه بين كل إنسان وبين فشله. وتعد مواجهة معضلات ومشاكل بدون حل هى جزء من الشرط الإنساني وشرط إنسانية الفرد. وكلما كان العمل حساس ومتصف بالكشف الذاتى كلما واجه أبطاله ومستوعبوه معضلات بدون حل، مثل معضلة هملت، ومعضلة أوديب، ومعضلة يعقوب ويوسف أو معضلة حواء التي خالفت قانون غير أخلاقي بوضوح، القانون الذي يحظر التمييز بين الخير والشر.

تعرض المشكلات الإنسانية في الأدب العظيم من خلال مخالفة قوانين ومن خلال آثام أبطاله الأخلاقية. وتكشف من خلال تشكيلهم الأدبي في الإبداعات النموذجية القدرة الإنسانية على الشر (مثل داود الذي يقتل أوربا)، ومواجهة الشر (مثل إرميا الذي يخاطر بحياته من أجل السلام) والبؤس والغضب على الإله والمصير (كما في سفر أيوب) واليأس من فقدان الهدف (مثلما في سفر الجامعه)، والحب (مثل شولاميت في نشيد الاناشيد)

يعد كشف الحقائق الإنسانية من خلال حقائق وجدانية أمر موجود في كل الإبداعات الكلاسيكية، في كل الآداب المعروفة لنا. حيث لا يتصرف أبطالهم الأساسيين على أنهم ضحايا يثيرون الشفقة، بل على أنهم أبطال يواجهون مصيرهم وأنفسهم. ولا يوجد في واقع إبداعات الأدب الكلاسيكي صديقين خالصين أو نهايات سعيدة، ولا يوجد عبرة أخلاقية لا تقبل التأويل، بل يوجد فقط كشف لخصوصية القدرة الإنسانية ولعظم تأثيرها، وللتعمق في الفكر وللتعبير السامي، وللغوص في أعماق الفشل والعناء الإنساني ومواجهتها (كما في إبداعات أوريفيدس، وشكسبير، وديستوفسكي وبريموليفي).

إن كشف حقائق وجدانية من خلال تجربة القراءة في إبداعات كلاسيكية تؤدي إلى إحساس يقين نادر بأن ما قد انكشف هو حقيقة غير مرهونة بدليل واقعي. ويمتدنا نمط وشكل الإبداع متعة وجدانية وروحانية رغم الصدمة من جراء الإثم والشر اللذين يظهران في الإبداع. والانطباع عن الإبداع الأدبي والفني عظيم في نظرنا، فيخلط الإثارة بالمتعة من الشكل والمضمون، ومن اللقاء مع شخصيات الأبطال الأدب ومع مبدعيها، ومع أشكال التعبير وخصوصيتها ومع مقدرة كل هؤلاء على التعبير عن حقائق وجدانية وإنسانية.

وأحد أهم إسهامات التعليم الإنساني للإثراء الروحاني ولماهية الحياة هو الاهتمام بالقدرة على التعبير عن انطباعات وجدانية كتلك من الإبداعات الكلاسيكية في الأدب والفن.

والتعلم الذي يهدف إلى قيم هو أيضا تعليم يهدف إلى سرعة تأثره بالاشتراط الإنساني. ولا يشمل ترسيخ قيم إنسانية اعتراف بمبادئ العدل فقط بل أيضا سرعه تأثره بالصدق، والحكم عليه طبقا لمبادئ نابعة عن مبادئ سامية أخلاقية. لمقولة أحد حاخامات التلمود: خربت القدس بسبب أنهم حكموا بها حكم التوراة - وليس أي حكم غيره.

يكشف الأدب الثرى الأثام ويشجبها ولا يحاكم أبطاله وفق معيار الحكم. ويقوم قراؤه مجددا القيم التي طبقا لها نحدد أفعال مثل إثم أو ذنب، ونتحير في القدرة التي تكشف بهم سرعة التأثر والتعاطف مع الأبطال المخطئين.

إن مشاعرنا تجاه أبطال الأدب الثرى ليست مشاعر شفقه بل مشاعر ارتباط وتعاطف حيال القدرات المشتركة لنا ولهم. والارتباط بين القارئ والبطل الأدبى غير مرهون باستقامة البطل بل بالثراء الإنسانى الذى يظهره المبدع بوصفه له ؛ فالملك لير أقرب إلينا من ابنته، "ورسكو لديكوف" أقرب إلينا من "سوننا" الطيبة، ويوسف أقرب إلينا من يهودا الذى أراد التضحية بنفسه لكى لا يحزن أبيهما، وداود أقرب إلينا من أبشالوم الذى انتقم من والده لعدم مبالاته لاغتصاب اخته "تامار".

### حواء وبرومتاوس

تعد حواء فى الأسطورة اليهودية وبرومتاوس فى الأسطورة اليونانية بطلتان أدبيتان تتحولان إلى رموز للإنسانية فى ثقافة الغرب. وترمزان إلى تحرر البشر من الخضوع الملزم للطبيعة، وإلى التمرد على قوانين مستبدة التى تهدف إلى قهر الإنسان وحرمانه من حرية الإبداع المرهون بتقدم الحضارة، مثل اختراع النار التى وهبتها برومتاوس للإنسانية، وتطور المعرفة والتمييز وتفضيل الخير على الشر، وظروف تطور الخليقة والإبداع.

وما كانت لتتحقق إنسانية كل البشر لو تركوا فى الغابات مثل الجنة التى بعدن، خاضعين للطبيعة أو للإله، يعانون عدم المعرفة وعدم التمييز بين الخير والشر، بدون خجل، والتى هى ناجمة عن المعرفة والمحرك للضمير.

فى عصرنا تهدد حقيقة نسبية ما بعد الحدائه أسس التعلم الإنسانى، وذلك عندما يتحول التعليم فى أماكن كثيرة إلى تأهيل مهنى يهتم باختصاص ضيف ويهمل تطور إنسانية دارسيه. وزادت خطورة العودة إلى جنة عدن التى تمثل الجهل الثقافى وعدم التمييز بين الخير والشر.

وعلى التعليم الإنسانى أن يثير مجددا القضية ومواجهة تلك المشاكل الأساسية لإنسانيتنا عن طريق إبداعات كلاسيكية مثل قصة حواء فى التكوين، ومسرحية برومتاوس المكبلة لأيسخيلوس.

### تطوير قدرة الانطباع الوجدانى فى التعليم الإنسانى

يعد الأدب والفن الكلاسيكى أمران ضروريان فى التعليم الإنسانى للفرد بكونهما

عاملين حيويين في تنمية قدرة تميز لما هو نافع وخير في الإبداع الإنساني. ومعظم منتجات الترفيه التي تتعرض لها، التمثيليات والأفلام وبرامج التلفزيون والراديو، وهى أعمال ترفيهيه تؤدي إلى انفعال معاكس (مثل أفلام المطاردة والجنس والحرب والجريمة). وتواصل من نواح كثيرة إبداعات العرض الخاصة بالصرعات العنيفة والفتاكة تقليد عرض معارك المصارعين في العالم القديم.

إن العروض والكتب التي تثير الغرائز، والرعب والإثارة، بدون إحساس وتفكير، تمنح في أحيان نادرة انطبعا وجدانيا يشمل استجابة لشكل متميز ولمغزى الإبداع. ويتكون الانطباع الوجداني من عوامل إنفعال (انعكاسيه) وشعور (عاطفة) مثاره إزاء أشكال ومضامين الابداع الفنى.

وتثار المشاعر والأفكار بمواجهة مشاكل إنسانية معروضة في الإبداع، في غضون الانبهار بشكله المتميز.

يحتاج الناس إلى عوامل إثارة - إثارة وضحك وشفقة ورعب - تحدث لهم في التخيلات والأحلام، وعروض المسرح والسينما والألعاب وفي الأتعة والتنكر في المسابقات وغيرها. وتتظاهر مسببات الإثارة تلك بأنها واقعية، لكن المشاهد يدرك أنها نتاج خيال ولاستطيع الإضرار بجسده.

وتتشر مثل تلك الألعاب بين الصغار والكبار على حد سواء. فهى تؤدي دورا مختلفا عن ذلك الانطباع الوجداني الناجم عن إبداع له شكل ودلالة متميزة. وتسبب انطباع متميز يُدعى "انطباع وجداني" على اسم الإبداعات الوجدانية والتي يحددها الانطباع.

نعتاد على تسمية الانطباعات على اسم المسبب لها حتى بدون القدرة على تعريفها بالكلمات. مثل: انطباع جنسى، انطباع غذائي، انطباع جمالي وانطباع وجداني.. إلخ.

### علاقة تطوير قدرة الانطباع الفنى وتعلم اليهودية

يكشف التعرض للإبداعات الوجدانية التي تسبب انطباعات عاطفيه للدارس عالم مبهج يشرى نفسه وحياته الروحانية. وتواصل الإبداعات التي تسبب تلك

الانطباعات العيش في ذاكرتنا، وتربطنا بالذاكرة الجمعية للثقافة التي نعيش بها. وبفضل تلك الانطباعات تتنوع وتعمق الرابطة الوجدانية والإدراكية لدى الإنسان تجاه الثقافة المعروضة في الإبداعات الوجدانية التي تسبب له تلك الانطباعات.

ويُعرض الانطباع الوجداني الناجم عن إبداعات فنية مثل سفر الجامعة وونشيد الأناشيد، رواية الآباء والأمهات وقصيدة الخلق وأشعار من المزامير، وعن إبداعات نثرية وشعرية يهودية، دينية وعلمانية. وقد تطورت تلك الإبداعات خلال ألفى سنة منذ اتمام العهد القديم - دارسى التعليم الإنسانى اليهودى لإبداعات وجدانية متميزة في ثقافتهم.

يمتزج تطوير قدرة الانطباع الوجداني أثناء التعرض لإبداعات كلاسيكية يهودية وأخرى في كل العصور بتطوير الوعي بالتراث التاريخي والثقافي لليهود وللشعوب التي يعيش بينها. ويقوى الاستمتاع بصور التعبير وبناء الإبداع، والإثارة، والاحساس والفكر، يقوى ذلك الارتباط بالإبداعات التي تعرض عصور وتيارات في ثقافة اليهود.

لا يحظى معظم الناس في عصرنا بتعليم إنسانى منهجى. ولذلك فهم معتادون على الاكتفاء بإبداعات ترفية، وإثارة وانفعال، والتي تنسى بمجرد استيعابها ولا تتجمع في الوعي الثقافى للفرد. وفي معظم الحالات لا يحاول نظام التعليم مواجهة الفقر الروحانى هؤلاء الذين كل غذائهم الروحانى هو إبداعات تؤدى إلى ردود فعل إنعكاسية بدون تحديات، وإحساس وتفكير، وبدون تقييم لشكل متميز أو لشخصية المبدع وأسلوبه.

تولد الحياة الثقافية المصنوعة فقط من إبداعات ترفيه وإثارة احساس فراغ خطير، وألم للأعضاء الروحانية والوجدانية المعطلة عن العمل. وتماثل الحياة النفسية لمستهلكى الترفيه فقط الحياة النفسية للأفراد الذين يقبلون على الإشباع الجنى لكنهم لا يحظون بإحساس الحب. ويمتزج التعليم الإنسانى الذى يهدف إلى ترسيخ قيم أخلاقية وتطوير ثقافة وجدانية بتعليم إنسانى يهدف على تطوير قدرة الانطباع الفنى. وتعليم كهذا يوسع المعرفة ويعضد تمييز وتقييم الإبداعات التي تسبب انطباعات كتلك، وبواسطتها يلتقى الفرد مع ثقافة الشعب الذى يعيش فيه ومع ثقافات الشعوب التي يعيش بينها شعبه. ويخلق التعرض المنهجى لإبداعات كلاسيكية فنية وأدبية قادرة على أن تسبب انطباعات



وجدانية، في سن الشباب، احتياجات روحانية يواصل الإنسان اشباعها طوال حياته. ويتم إشباع تلك الاحتياجات عبر لقاءات متواصلة للإنسان مع إبداعات تمثل ثقافته.

لا يولد إنسان متعطشا إلى إبداعات وجدانية متميزة أو سامية، ولكن يمكن أن ينمو لدى الإنسان الشوق والاستمتاع بإبداعات نموذجية في الأدب والموسيقى وفن التصوير والنحت وفنون العرض.

يحدث الاهتمام بكفاءة النقد والاستقلال الروحاني أثناء التعرض لإبداعات نموذجية أدبية وفنية وخلال تطوير ملاحظة تميز الإبداع، والصفات المشتركة له مع الإبداعات الأخرى، عوامل الانطباع الوجداني أو عوامل مشاعر الرفض التي يسببها الإبداع.

تخضع الإبداعات النموذجية في نظر الطبقة المثقفة التي تقوم بتثقيف جماعة معينة خلال أجيال كثيرة للاختبار مجددا في كل جيل. وتتحول الإبداعات التي تقبل بوصفها إبداعات نموذجية لدى جيل المثقفين الجدد إلى جزء من نظام القيم الجمالية التي تساعد على تطوير قدرة النقد، وترعى قدرة الاستمتاع بإبداعات أدبية وفنية.

### التعامل مع الغير والارتباط بالمخاطب والمخاطبة في التعليم الإنساني

ميز بوبر بين التعامل مع الغير بوصفه "مخاطب" حيث نظر إلى "الغير" على أنه وسيلة تخدم احتياجاتنا. بسبب وظيفته فهو يقوم بالخدمات، مثل العلاقة بين المعلم والتلميذ، وبين الطبيب والمريض، وبين الحاكم والمحكوم.. إلخ. ويظهر "المخاطب" و"المخاطبة" تجاه الغير، عندما نعرفه كشخصية متميزة بعيدة عن الوظيفة الذي هو أو هي يؤديانها.

تتطور في الحب وفي الفن وفي العقيدة العلاقات تجاه "المخاطب" و"المخاطبة" أي الغير. فنحن نظور العلاقة بشخصيات متميزة تظهر لنا الحب والصدقة، في الإبداعات الفنية والأدبية الكبيرة، وفي الاخلاص الذي نشعر به تجاه الإنسان أو الإله. وبفضلهم يشرى العالم الذي نعيش به بكيانات كثيرة والتي تعيش في روحنا عبر ما يدرك بالحواس والواقع، مثل أحبائنا الذين يعيشون معنا حتى بعد موتهم، ومثل الإله في وعى المؤمنين به.

يهتم التعلم الإنسانى، الساعى إلى تطوير رقه الاحساس تجاه الغير بوصفه شخصية مستقلة، بالتعرف على إبداعات فنية وأدبية كبيرة يتصدرها الإنسان بوصفه مبدع وبوصفه شخصية قد ابتكرها. ويميز الإنسان بين تلك الإبداعات وبين الإبداعات التى تعرض الغير بوصفه "الآخر" - بوصفه وسيلة، بوصفه كيان يتلخص فى الوظيفة الذى يؤديها فى حبكة القصة، فى الشخصية المشكله فى الرسم، والتى ليست فقط بقعة لون لها شكل يؤدى دور فى تكوين الصورة.

وتتطور عن طريق تطوير قدرة التمييز هذه رقة الاحساس تجاه الغير حتى خارج الإبداع الأدبى، كما تتمزج بمسار ترسيخ القيم الأخلاقية، فى غضون تنمية قدرة الاستمتاع والانطباع الوجدانى، والنقد والتمييز بين القصور والانجازات للإبداعات الأدبية والفنية.

يصطدم الاحساس بالتعاطف مع البطل الأدبى ويختلط بنظرتنا النقدية لصفاته وأفعاله. وتعد تلك المشاعر هى جزء من مكونات الانطباع الوجدانى وأحد عوامل التقارب الذى نشعر به تجاه المبدعين وأبطال الأدب. ويتحول اللقاء مع المبدع من خلال العمل والشخصيات المشكله به إلى حدث روحانى يلقى الضوء على مسلمات برؤية جديدة تجعلنا نلتقى مع أنفسنا.

يجد الإنسان فى أحيان نادرة شجاعة أو فرصة للوقوف أمام نفسه، ويعرب عن التناقضات التى بداخله بشكل مدرك.

وكثيرا ما يجسد أبطال الإبداعات الوجدانية تلك التناقضات حيث تعرض تشكيلتهم الأدبية الصراعات الداخلية التى فى أنفسنا - مثل هملت أو دون كشوط لفاوست أو أيوب وسفر الجامعة. بانعكاس شخصيتا فى شخصية البطل الأدبى مواجهه الأنا مع نفسه.

يساهم إدراكنا بتميز الأبطال والمبدعين فى الأدب والفن فى تطور إدراكنا بالفردية بوصفها أحد سمات الإنسانية. وينمى الإدراك بالانحراف عن المعيار ويتميز كل فرد قدرة التسامح من قبل الفرد تجاه الآخر وتجاه نفسه.

يسهم التعليم الإنسانى الذى يضم تعرض منهجى ونقدى للإبداعات الكلاسيكية للثقافة التى نحيا بها، فى تنمية إدراك الفرد لنفسه واستقلاله بوصفه شخصية تفكر وتعبر عن آراء تثرى عالمنا الروحانى وعلاقنا بالغير.

### التعليم فى الثقافة القومية وثقافات الشعوب

يشمل التعليم الإنسانى الكلاسيكى تعرض للموسيقى والفنون وللأدب والفلسفة، لفنون الحديث والحوار، وللثقافة البدئية والعناية بحب الجمال، وللعلوم والرياضة. وكلما نما الإدراك بثقافة إنسانية عامة (فى الهلينية وفى الإمبراطورية الرومانية) فإن التعليم فى الثقافة القومية يتحول إلى جزء من تعليم ثقافات الشعوب التى تعيش الأمة بينها. ودرس يهود كثيرون فى العصر الهلينسى تاريخ الشعوب والأدب الكلاسيكى، بجانب دراسة ثقافة اليونان وإبداعاتها الكلاسيكية والفلسفية والأدبية والفنية. ومنذ ذلك الحين وحتى اليوم ينشط فى اليهودية، كما فى ثقافات قومية أخرى، اتجاه الانفتاح على ثقافات الشعوب ودجمه فى تعليم ثقافى قومى - كما كان فى العصر الوسيط فى مناطق تأثير الإسلام والمسيحية، وكما كان فى عصر النهضة الأوربية والتنوير اليهودى فى مناطق وسط وغرب أوروبا، وكما فى الحاضر - فى إسرائيل وكل البلدان التى يعيش بها اليهود خارج فلسطين.

إن فقراء الروح الذين يدرسون الفقر الروحانى عن طريق تعليم منغلق فى قطاع واحد لليهودية متجاهلا لثرائها وتنوعها وإبداعاتها المعاصر يتجاهلون أيضا ثقافات الشعوب. وتكسب نظم التعليم التى تحولت إلى نظم تأهيل مهنى أو علمى فقط الجهل وتتجاهل التراث الثقافى الذى يعرض فى إبداعات كلاسيكية للثقافة القومية والإنسانية العامة. حيث يتعرض دارسوها فقط أو بوجه خاص لإبداعات الترفية التى فى الموضة، وطالما هى فى الموضة، فتلك إبداعات إثارة إنعكاسية، تفقد بالتدرج ميزتها كإبداعات ثقافة قومية معينة أو كإبداعات تعبر عن شخصية متميزة.

وبدون التعلم الإنسانى فإن نظم التعليم المهنى والتخصص ترعى محترفين أكفاء "مخلوقات ذات رأس مفكر وجسد حيوان" كما أطلق عليهم أحد علماء الجريمة فى نهاية القرن

العشرين. فالتعليم الإنساني ضروريا لإقامة مجتمع إنساني، ويقول أرسيموس "لايولد الإنسان إنسانا بل يصير إنسانا" (من خلال عملية النقاش: الفردية هي نتاج الخضوع لسلطة المجتمع) ويقول "فيكو دالا ميراندولا" (١٤٨٦) في خطابه حول كرامة الإنسان: "وُهب الإنسان تكوين وراثي مضاعف ناجم عن إمكانية الخيار التي منحت له. فلكل مخلوق نطقة تحدد خواصه، لكن الإنسان فقط هو القادر على أن يشبه الحيوان في خلقه، والملاك في رشاده، والنبات في فتوره، والإله في فهمه للعالم، وفهمه لنفسه وطهارة صفاته.

والبشر هم المخلوقات الوحيدة التي تحتاج إلى تعليم منهجي لكي تحقق الخاصية التي تميزهم - ليكونوا بشرا. وتعمل باقى الحيوانات وفقا للنظم الوراثية والغريزية الممنوحة لها منذ ميلادها. تلك النظم لا تجبر الإنسان على أن يكون آدميا. فهي تتيح له التحول ليكون آدميا. وتتيح النظم الوراثية والغريزية التي تدفع تطور الإنسان بوصفه مخلوقا بيولوجيا له بنفس المعيار ليكون أيضا غير آدمي. وإنسانية الفرد متعلقه بعملية الإنسانية أو اللإنسانية التي في التعليم.

يتحول التعليم الذى يتجاهل الهدف الإنساني والعناية الروحانية والشخصية للفرد إلى أحد عوامل تقويض المجتمع الإنساني حيث تقوض أزمة الهوية التي يعانها كثيرون من دارسى نظم التعليم فى عصرنا، التمييز بين الخير والشر، وواجبات الفرد تجاه المجتمع وتجاهه الغير، وإدراكه للحقوق الذى يجب على المجتمع منحه لها.

يتصرف أطفال مجرمون وقتلة، لا تمنعهم أزمة اقتصادية أو طبقية، مثل سيكوباتين لا يميزون بين الخير والشر، ومجردين من المشاعر تجاه الغير ولا يعتبرونه شخصية متميزة لها حقوق. وتعد هذه أحد الظواهر الخطيرة للغاية على المجتمع والتي تظهر فى غياب لتعلم الانساني.

والتعلم الإنساني الذى يرسخ التزامات الفرد تجاه الغير والمجتمع الذى يعيش به، يعضد الوعي بحقوق كل فرد فى المجتمع وهذا هو شرط لعيش أفراد معا فى مجتمع إنسانى قادر على حماية نفسه من تقويض من الداخل.

## تعليم الديمقراطية ومصادرها فى اليهودية

يشمل التعليم الإنسانى تعلم الديمقراطية ليس فقط بوصفها النظام الأفضل من أى بديل من ناحية اقتصادية وأمنية، بل بوصفها النظام الإنسانى الوحيد الذى يدافع عن الأقلية وعن الفرد وعن حرية الابداع الثقافى والتعليمى.

يشمل التعليم الإنسانى التمرس فى إجراءات ديمقراطية فى كل سن، وفى الإلمام بمعتقدات وآراء قد طورت الديمقراطية فى الشعوب وفى العصور التى تطورت بها.

ويتيح بحث إبداعات كتلك ودراستها مواجهة فكرية مع مشاكل مشاركة بسبب التناقضات الداخلية التى تظهر فى مسارات الديمقراطية المنبثقة عن أسسها. مثل لذلك مبدأ حكم الأغلبية الذى اتخذها حاخامات فى التلمود، تأثرا بأسس الديمقراطية اليونانية، والذى اعتمد على ما يقال فى العهد القديم: الميل نحو الأكثرية. وتكشف تكملة هذه الفقرة فى العهد القديم - "وليس نحو الأكثرية الشريرة" الصعوبات فى تقبل مبادئ الديمقراطية وحكم الأغلبية بوصفه مبدأ ليس له استثناء. ويرتبط الأمر بقبول رأى الأغلبية والانصياع له بتحذير من الانسياق وراء أغلبية عندما تكون غير محقة، وقرارتها سيئة وتساء (مثل صعود النازيون إلى الحكم فى إجراء ديمقراطى فى ألمانيا)

واستنتاج حاخامات كثيرين فى التلمود: يجب الانصياع للأغلبية مع الحفاظ على رأى الأقلية لثلاثين فى المستقبل (الحاخام عقيبا)، لكن لا يجب بأى حال منح حق اتخاذ القرار للفرد، حتى وإن كان هو الإله (كما يفهم من قصة موقد عخنائى)

على أساس هذه الرؤى فى اليهودية أمكن تطوير ديمقراطية بين طوائف يهودية كثيرة أختير بها زعماء الطائفة واستؤجر حاخامات عن طريق الطائفة، التى يحق لها إبداهم بحاخامات آخرين، كما هو متبع لدى غالبية الطوائف اليهودية الدينية فى العالم حتى هذا اليوم.

و أمكن على أساس تلك المبادئ قيام دولة إسرائيل كديمقراطية بمشاركة زعماء وحركات علمانية ودينية معا. وظهرت فى مرحلة لاحقة للغاية فقط التناقضات بين الرؤى ومطالب بعض الحركات الدينية وبين أسس الديمقراطية.

يقوم التعليم الديمقراطي على التجربة المتجمعة في الديمقراطيات الكبيرة لشعوب الغرب منذ ظهور الديمقراطية اليونانية، وهو يشمل الانتفاء إلى مظاهرها في اليهودية وإلى الإبداعات الفكرية والنقدية التي تنتمي إليها في ثقافتنا.

منذ عصر التلمود لم يؤمن معظم مفكري اليهودية أنه يوجد إنسان يتحدث باسم الإله، أو أن مكانة إنسان في جماعة الحاخامات أو في التقاليد الدينية تجعله لا يخطئ (مثل البابا)، أو أنه دائئاً على صواب في كلامه وآرائه. ولم يتردد اليهود في انتقاد والاعتراض على أقوال مفكرين وحاخامات كانت تبجلهم دوائر واسعة للغاية وترى أنهم عظماء الجليل. حتى أنه اعترض كثيرون أيضاً على كتاب "مشنه تورا" (مراجعة التوراة) لموسى بن ميمون ولم يتقبلوه كدستور ملزم لمعظم دوائر اليهودية في العالم. ولم يتردد موسى بن ميمون نفسه في إدانة أقوال حاخامات تلموديين عندما اعتبرهم كذبه يحشون على الشعوذة؛ مثلها في خطابه إلى طائفة "مونبليا"، والذي يدين فيه التنجيم بوصفه كذب، لكن يذكر فيه أن حاخامات تلمود آمنوا بأنه يمكن حساب مصير الإنسان من خلال مسار الكواكب يوم ولادته.

توجد بالطبع في اليهودية أيضاً رؤى واضحة معادية للديمقراطية والتي تكسب الأفراد خاصية - "كبار علماء التوراة"، إصدار أحكام في كل أمر شخصي أو سياسي، تشريعي أو قانوني، ولازال كثير من اليهود المتدينين يعيشون في عصرنا في أطر معادية للديمقراطية سواء من ناحية التنازل عن رأى الأغلبية أو من ناحية تجاهل حقوق الإنسان. وتحولت رؤى معاداة الديمقراطية تلك إلى إرث أقلية تتضائل في اليهودية.

تقوم دولة يهودية على الأسس الديمقراطية والتي تجلت في وثيقة إنشاء دولة إسرائيل والتي تلائم مبادئ اعلان استقلال الولايات المتحدة وميثاق حقوق الإنسان الخاص بالأمم المتحدة.

يساعد التعليم الإنساني دارسيه على الإلمام بمبادئ الديمقراطية، والقيم الإنسانية العامة، والأفكار التي تنسب إليها في اليهودية، والإبداعات اليهودية وإبداعات شعوب أخرى والتي تعبر عن أسس الديمقراطية والتي تصارع الذين يريدون تقويضها.

أحد أهداف التعليم الإنسانى هو تعميق الوعى بالقيم الاخلاقية التى تكمن فى أسس الديمقراطية. ويعتبر البحث والتفكير فى المشاكل والتناقضات الداخلية التى تظهر فى الديمقراطية من القيم الإنسانية بوصفها معيار لتقييم وتفضيل قوانين وأساليب مواجهة تلك التناقضات. ونماذج لذلك مشكلة حدود حرية الحديث والتعليم التى تحت على التعصب القومى والعنصرى وتقويض الديمقراطية، ومشكلة إعفاء المعارضين لحرب ما بدافع الضمير من واجب التجيند للدفاع عن الدولة عندما تُهاجم، مشكلة حرية الانضمام إلى جماعات صوفية وغيرها والتى يتزعمها بشكل غير ديمقراطى زعماء يجب أن ينصاع الجميع لهم، ومشكلة تحكم المرأة فى جسدها وحرية الإجهاض، ومشكلة حرية الإنسان فى الحياة أو الموت برغبته فى ديمقراطية تحرم القتل بدافع الرحمة.

### تنمية القدرة اللغوية

يعتنى التعليم الإنسانى بتفوق الإنسان على كل حى فى الطبيعة - وبالقدرة اللغوية التى أنعم عليه بها، وقدرته على الاتصال بواسطة رموز لفظية تتغير دلالتها طبقاً للسياق وإتفاق المستخدمين لها.

تبدأ تنمية القدرة اللغوية من اكتساب لغة الأم والأب فى إطار الثقافة القومية التى يعيشون بها. وتتطور القدرة اللغوية لدى يهود الخارج منذ سن مبكرة للغاية بسبب تعرض الأطفال لعدة لغات، علاوة على لغة الأم والأب - منها لغات يهودية (كالعبرية، واليديشية، واللادينو، والموغرابية والطايطيه ولهجات للغات أخرى تحدثها اليهود فقط) ومنها لغات شعوب أخرى عاش بينها اليهود.

تتطور القدرة اللغوية كلما زاد التعرض لإبداعات أدبية، ومسرحية وإذاعية وسينمائية لغتها ثرية ومتعددة الأساليب، وبنسبة هذا التعرض لإبداعات لفظية مندمجة فى تطور قدرة الحديث: الحوار والسرد، وتنظيم الفكر اللفظى لتعبير مُركز وواضح. ومن أجل ذلك فعلى التعليم الإنسانى العودة إلى جذوره وعليه أن يشمل فى نظامه الدراسى بلاغة فعلية - وعقد محاضرات ومشاركة فى نقاشات ومجادلات منذ سن مبكرة، مع الاعتماد على إبداعات أدبية من كل الأنواع.

إن تنمية القدرات اللغوية ليست موجهة لتنمية الاتصال بين الناس، بل لأهداف عمل أو بدائل. والقدرة اللغوية المتطورة هي أحد الشروط الجوهرية لتحقيق حقوق وواجبات الفرد في الديمقراطية، وقدرته على الإنصات والنقد والتعبير عن الرأى والتأثير على ناخبين ومنتخبين على حد سواء.

تساعد تنمية القدرة اللغوية والثروة اللغوية الفرد على إثراء عالمه الروحاني بتجارب استيعاب لإبداعات جديدة وقديمة وفهمها والحديث عنها مع أصدقائه وأقاربه. ويساعده ذلك على إبراز ماهية حياته، بإضافة مستوى نشاط علاوة على مستويات النشاط اليومي والتي تسعى لإشباع احتياجات أو ممارسة مهنية.

تشمل اللغة الإنسانية - على نقيض نظام رموز الاتصال بين حيوانات أخرى - نظاما لمفاهيم تشير إلى ما وراء المحسوس. وتتحول تلك المفاهيم وتمثل "كائنات" موجودة وراء حدود الحاضر الذى حدث - فى الماضى ويحدث فى المستقبل. وتضم المفاهيم التى تعبر عن رغبات، وأسس تقييم وتفضيل (قيم) ونهاج وعوامل خوف.

وتبتكر كل الابداعات اللغوية: المفاهيم، والفكر، والحوار، وعلم الأخلاق، والمعرفة والأدب بأنواعه - فى بيئة ثقافية قومية، أثناء اللقاء مع ثقافات شعوب أخرى.

كما تشكل تنمية القدرة اللغوية - باللغة القومية وباللغات الأخرى - أحد الأساليب الرئيسية فى التعليم الإنسانى لتحقيق القدرة الإنسانية ومعرفة الثقافة التى يعيش فيها الفرد ويتعلم.

\* \* \* \*



الجزء الثاني

# العهد القديم

رؤية نقدية معاصرة

المفتدين

## الفصل الأول



### أدب العهد القديم ودوره في ثقافة اليهود العلمانية

#### النظرة إلى العهد القديم من خلال الرؤية النقدية الثقافية

إن نقد الثقافة، والبحث والتأمل ونقد الإبداعات والظواهر الواردة في ثقافة اليهود على مر العصور، ليس جزءاً من دراسة العهد القديم والبحث فيها ونقدها؛ بل إنه يشمل البحث في سمات أدب العهد القديم ودراسته والوظائف التي أداها في الحياة اليهودية بوصفها ثقافة، والوظائف التي يؤديها في الحياة الروحية والثقافية لليهود العلمانيين المعاصرين.

يكشف نقد ثقافة اليهود عن الدور المتميز للعهد القديم على مر العصور؛ لكونه الأساس والقاسم المشترك الوحيد بين كل التيارات اليهودية، في حين أن مجمل الأدب اليهودي والفكر والفن قد لعبوا دوراً تأسيسياً وحافزاً في كل تيار من تيارات اليهودية في عصرنا أو في الماضي. ومثال ذلك: دور الأدب الهلينستي لليهود في التيار اليهودي الذي يتحدث اليونانية خارج فلسطين، ودور الزوهار في يهودية القبلا، والتلمود في اليهودية الربانية، والتناخي<sup>(١)</sup> في يهودية حيد، وآحاد هاعام<sup>(٢)</sup> وبيالك وبوبر في اليهودية العلمانية، والأدب العبري الحديث في اليهودية الإسرائيلية.

(١) كلمة «تنائيم»، و«تناخي» كلمة آرامية تعني «يكبر» ومنها «تنائيم». وتُستخدَم الكلمة للإشارة إلى علماء اليهود الذين جاءوا بعد الكتب وعاشوا في القرنين الأول والثاني الميلاديين. يبدأ عصرهم بمدرستي هليل وشهاي (القرن الأول) وينتهي عند الحاخام يهودا الناسي. وهم رواة المشنا ومعلموها.

(٢) آحاد هاعام: هو التوقيع الأدبي للكاتب اليهودي أشير تسفي جيتزبرج ١٨٥٦ - ١٩٢٧ وتعني هذه العبارة "واحد من الشعب" ويعد آحاد هاعام من أهم المكتاب والمفكرين في الصهيونية الحديثة، وهو رائد التيار الروحي فيها، ولعب دوراً مهماً في الحصول على وعد بلفور. وأهم مؤلفاته هو كتاب "في مفترق الطرق"، ويقع في أربعة مجلدات، وقد نشر عام ١٩٢٢ "رسائل آحاد هاعام" وهو يقع في ستة أجزاء. وهاجر آحاد هاعام إلى فلسطين عام ١٩٢٢ حيث استقر في تل أبيب حتى توفي عام ١٩٢٧.

يجهل كل تيار من تلك التيارات الكتب الأساسية الخاصة بالتيارات الأخرى أو بعض منها. أما العهد القديم فقط الذى تنتسب إليه كل الآداب اليهودية، هو الذى يشكل أساس ثقافة كل تيار من تلك التيارات. وتقر كل تيارات اليهودية بالعهد القديم أو بأجزاء منه، ويشكل إبداع العهد القديم لديها الوعى القومى والتراث التاريخى الذى يقوم عليه والأمال المسيحانية (الدينية والعلمانية) فى عودة الشعب إلى أرضه وتحقيق استقلاله السياسى والثقافى. ولقد ألفت فى كل تلك التيارات إبداعات بوحى من العهد القديم، فى المجالات الفنية المختلفة: فى الرسم والنحت والنصوص الكلامية والمسرح والسينما والموسيقى والشعر.

يبحث نقد الثقافة فى إبداعات العهد القديم ويعرضها من رؤية مختلفة عن دراسة العهد القديم فى مناهج دراسية، مثل: نقد العهد القديم والمصادر التى تتألف منها النصوص العهد القديم، وتفسيرها من الناحية اللغوية أو المقارنة بين آدابها وآداب أخرى فى الشرق القديم، ودراسة العهد القديم على أنها جزء من مبحث التفاسير التقليدية المقدسة فى اليهودية الأرثوذكسية، أو دراسة العهد القديم على أنها جزء من دراسة علم الآثار والتاريخ الخاصين باليهود أو التعرض لهما.

إن النظرة إلى العهد القديم باعتبار أنه الأساس الوحيد والقاسم المشترك لكل تيارات اليهودية (ثقافات اليهود) تهدى إلى أن عدم معرفة العهد القديم لا تكفى لمعرفة اليهودية التى تتطور منذ ألفى عام عقب اكتماله.

من الواضح أن اليهود الذين يعتبرون أن أدب الحاخامات مصدرا حيويا ليهوديتهم، يدرسون إلى جانب العهد القديم أيضا التلمود والآداب المدراسى والتفسير والفكر المنسوب للحاخامات .

يتضح لنا بنفس الأهمية أن اليهود الذين لا يكتفون بأدب الحاخامات كممثل لليهودية فى العصر الهلينستى البيزنطى، بل ينظمون مجموعة مختارة تشكل مجمل اليهودية فى ذلك العصر. وتضم هذه المجموعة المختارة: إبداعات الحاخامات و فيلون وفلافيوس والعهد الجديد ورسومات معبد دورا ايرفورس ومسرحية الخروج من مصر للمسرحى

حزقيال وأشعارًا وأمثالا وقصصًا من الأسفار الخارجية، وكتاب الإبداع، قامة مديدة، وقصص رحلات هفراطوليم في أدب المركبات وأدب الهياكل، ومخطوطات البحر الميت، والقمران<sup>(١)</sup>.. إلخ.

(١) مخطوطات البحر الميت (قمران) تضم ما يزيد على ٨٥٠ قطعة مخطوطة، بعضها مما سمي لاحقًا الكتاب المقدس وبعضها من كتب لم تكن تعرف أو كانت مفقودة. أول من عثر عليها هو راع فلسطيني اسمه محمد الذيب واكتشف المزيد بين عامي ١٩٤٧ و ١٩٥٦ في ١١ كهفًا في وادي قمران قرب خربة قمران شمال البحر الميت. وقد أثارت المخطوطات اهتمام الباحثين والمختصين بدراسة نص العهد القديم لأنها تعود لما بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الأول منه.

وقد اكتشفت في كهوف قرب البحر الميت في موقع خربة "قمران" لذلك فهي تسمى أيضًا "لفائف قمران". وهي تتبع طائفة يهودية، ربما كانت طائفة "الأسينيون" التي انعزلت عن بقية المدن اليهودية، وربما بنت مدينة صغيرة في هذا المكان، لكنها تحطمت بفعل زلزال (عام ٣١ ق.م)، وأعيد بناء الموقع عام ٤ ق.م، ويظن أن الرومان أحرقوه عام ٦٨ م. والمرجح أن أفراد هذه الملة لم يكونوا يعيشون في هذه الأبنية، بل في الكهوف المجاورة، وفي أكواخ أو خيام من الجلود أو الطين.

وقد تم العثور على جزء من هذه المخطوطات من قبل بعض البدو في كهف، فيما يقال أثناء بحثهم عن ماعز ضلت منهم، فباعوها لبائعين سريانيين حملها مطرانهم الذي هربها بدوره إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٨ م.

ثم قامت إسرائيل باحتلال القدس والضفة الغربية عام ١٩٦٧ م، وأصبح موقع خربة قمران والمدرسة التوراتية الفرنسية و"متحف روكفلر" أو "متحف الآثار الفلسطيني" في القدس المحتوي على بقية المخطوطات التي لم ترحل لأمريكا تحت السيطرة الإسرائيلية. وقامت إسرائيل بنقل مخطوطات البحر الميت من متحف الآثار الفلسطيني إلى متحف مسمى "معبد الكتاب" في القدس الغربية، كانت تحتفظ فيه بالمخطوطات التي اشترتها في الخمسينات في أميركا من مطران السريان.

كُتبت بعض المخطوطات على ورق الردي، وبعضها على جلد وبعضها على صفائح نحاس، وحفظت بعض المخطوطات بشكل جيد لأنها خبئت في جرار فخارية في كهوف منطقة صحراوية.

ومن بين مخطوطات البحر الميت ما هو نصوص طويلة، وما هو جذاذة صغيرة، يبلغ عددها مجتمعة عشرات الآف من القطع الصغيرة، بحيث يبلغ مجموع نصوص مخطوطات البحر الميت نحو ٩٠٠ نص، ينسبها أكثر الدارسين للطائفة الإسينية اليهودية، وتقسّم النصوص إلى:

٣٠٪ من النصوص من الكتاب المقدس العبري، قطع من كل الأسفار عدا سفر استير.

٢٥٪ من النصوص هي من نصوص يهودية ليست من الكتاب المقدس، مثل سفر اخنوخ وشهادة لاوي.

٣٠٪ من النصوص من التفاسير المتعلقة بالكتاب المقدس.

١٥٪ من النصوص لم تترجم أو لم تعرف هويتها بعد.

وأغلب النصوص مكتوب بالعبرية، والبعض منها بالأرامية والقليل باليونانية.

وتستند كل تلك الآداب إلى إبداعات العهد القديم، وتستطيع مجموعة مختارة فقط من مجملها أن تمثل التنوع الكبير للتيارات اليهودية التي عاشت جنبا إلى جنب، متداخلة وأحيانا متعارضة، في عصر الهيكل الثاني، وفي حقبة كثيرة في الألف الأول الميلادي. ولا تعنى مقولة العهد القديم هو الأساس الوحيد المشترك لكل تيارات اليهودية بأنه هو الأساس المطلق في ثقافة اليهود، حيث إن دراسة اليهودية بوصفها ثقافة تكشف لنا أنه في كل تيار من التيارات اليهودية قد أُضيفت وألفت وحدات مميزة لذلك التيار، علاوة على إبداع العهد القديم.

### النقاش حول وظائف العهد القديم في الحياة اليهودية بوصفها ثقافة

- أية وظائف قد شغلها العهد القديم أو يشغلها في اليهودية بوصفها ثقافة لليهود؟
- كيف أثرت الإبداعات الأدبية في العهد القديم على وعى التراث التاريخي والثقافي لدارسي اليهودية؟
- من أي ناحية يؤلف العهد القديم وثيقة تاريخية لواقع ثقافي وروحاني واجتماعي قد ساد في يهودية حقبة الألف الأول قبل الميلاد؟
- ما السمات الخاصة بالأنثولوجيا الأدبية والتي تتيح لهذه الأنثولوجيا أداء وظائفها المختلفة في ثقافة اليهود؟
- ما وظائف العهد القديم - وإبداعاته الدينية والعلمانية - في الحياة الثقافية والتعليمية لليهود العلمانيين؟
- كيف تؤثر معتقدات اليهود العلمانيين على نظرتهم إلى العهد القديم وعلى اختيار مصادر اليهودية؟
- لماذا تسيطر على اليهودية العلمانية رؤية بوهر، والتي ترى ضرورة النظرة إلى الإبداعات في العهد القديم بشكل مجرد ومنفصل عن إبداعات التفسير التقليدي والمدراش والبحث؟

وتعالج الفصول القادمة تلك الموضوعات.

## معتقدات اليهود العلمانيين تحدد النظرة إلى العهد القديم

نظرة اليهود العلمانيين تعني: يهودا متحررين من وجوب الحفاظ على فرائض الشريعة ومن وجوب الموافقة على التفسير الدينى والتقليدى والمقدس للعهد القديم. وترسخ هذه الرؤية من خلال معتقدات سائدة بين اليهود العلمانيين فى العالم. ولا تصاغ هذه المعتقدات دائما فى تصريحات، أو حتى فى وعى اليهود العلمانيين. وتتجلى المعتقدات فى نمط حياتهم، وفى تعليم أولادهم، وفى نخبة الإبداعات اليهودية التى بدون من خلالها مصادر اليهودية، وفى أسلوب قراءتهم لإبداعات العهد القديم.

بدأ العهد القديم منذ أن انتشرت اليهودية العلمانية بين اليهود فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وحتى صارت ثقافة معظم اليهود فى القرن العشرين، يشغل مجددا دورا مركزيا فى تعليم اليهودية. وبدأوا يعتبرونه مجددا أساس القومية اليهودية المدركة للتراث التاريخي والثقافي المشترك لليهود فى جميع العصور. ومن هذه الناحية، احتل العهد القديم مكان دراسة التلمود التى استمرت فى احتلال الصدارة فى الدراسة الدينية الأرثوذكسية. ويدرس العهد القديم فى اليهودية العلمانية والتيارات الدينية الإصلاحية بأساليب متنوعة، بوصفه الأدب الكلاسيكي فى ثقافة اليهود، وعلى أنه مصدر للديانة التوحيدية اليهودية التى انتشرت فى صيغ إسلامية ومسيحية وفى ثقافات شعوب كثيرة، وعلى أنه مجموعة وثائق تاريخية التى تدل على الحياة الاجتماعية والثقافية لشعب اليهود فى فترة تشكيله.

ولكى نعرف الرؤى العلمانية لأدب العهد القديم، علينا أن نعرف المعتقدات السائدة فى اليهودية العلمانية وتأثيرها على رؤى أصحاب تلك المعتقدات تجاه إبداعات العهد القديم.

أما أهم معتقدات اليهود العلمانيين التى تشكل نظرهم تجاه إبداع العهد القديم ومضمونه ورسالته :

○ إن البشر هم مبدعو العهد القديم والإله والقيم الأخلاقية والفرائض والقوانين التى يتم تقييمها وتفضيلها طبقا لتلك القيم.

- إن القيمة هي المعيار الحقيقي لتقييم وتفضيل المبادئ السلوكية والقوانين المدنية والفرائض الدينية والعادات والتقاليد.
- يتكرر البشر إلهًا مختلفًا في كل ثقافة إنسانية، وفي كل أدب يخص المؤمنين بوجود إله خارج إطار الأدب والفن، وينسبون للإله الذي ابتكروه قوانين وفرائض يلتزمون بأدائها، حتى وإن لم تتوافق مع قيم أخلاقية عالمية.
- في كل أدب للمؤمنين بوجود الإله أيضًا خارج الأدب والفن، ينسب للرب
- يتم تقييم أي قانون وعادة وتفضيلها من خلال الإيمان بقيم معينة وأهداف أخلاقية وإدراك المبررات والنتائج الممكنة للامتثال للقوانين والمبادئ السلوكية.
- تهدف الأخلاق والقيم إلى تطوير إنسانية البشر وتحسين حياتهم.
- إن تحقيق تلك الأهداف مرهون بسلوك أخلاقي، وهو سلوك يتمثل في قيم تنفق مع المبادئ التي صاغها هليل وعمانوئيل كانط وهي:
  - لا نفعل بغيرنا ما نكرهه لأنفسنا.
  - لا ننظر إلى الإنسان على أنه وسيلة بل غاية.
  - إن المبدأ الأخلاقي يعتبر أخلاقيا طالما أنه عام.
  - يأتي الميل الطبيعي للإنسان إلى الإنسانية والأخلاقيات نتيجة من التعليم بوصفه عملية إنسانية تطرأ على المجتمع الذي يتصرف وفقا لمبادئ أخلاقية.
  - إن التعليم والإنسانية يتحققان دائما في الثقافة القومية، حيث إنه لا توجد ثقافة غير قومية.
- ومن هنا فإن تعليم اليهود والعلمانيين الإنسانيين يتحقق من خلال تنمية المعرفة والصلة وإدراك اليهودية بوصفها ثقافة لليهود ولثقافة الشعوب التي تعيش في داخلها في الماضي والحاضر.

- يشمل مسار التعليم ثقافة المجتمع القومي الذى نعيش بداخله وثقافة الشعوب التى تعيش الأمة بها، مع معرفة الإبداعات والظواهر فى التراث التاريخى والثقافى للشعب ومبادئها مثل معرفة أذب العهد القديم فى اليهودية.

## فصل القراءة الظاهرية عن التفسير الباطنى

إن التفسير الظاهرى لإبداعات العهد القديم على أنها إبداعات أدبية خالصة، يختلف عن أى التفسير الباطنى أو التحليل العلمى الذى يقسم الإبداع إلى عناصر.

إن عرض الإبداعات الأدبية فى العهد القديم على النمط الموجود به يوجه إدراكنا نحو المكتوب فى هذا الإبداع وليس إلى المكتوب فى إبداع أدبى أو علمى آخر مثل أدب المدراس أو "نقد العهد القديم". وربط أى إبداع بالعهد القديم بالإبداعات الأدبية الإضافية يشوه الإبداع الأصيل سواء من ناحية أدبية أو من ناحية مكانته - إبداعه وتأثيره على الموروث التاريخى والثقافى الذى بسببه يؤدى العهد القديم دورا حيويا فى حياتنا الثقافية.

فعل سبيل المثال نجد أن صورة إبراهيم مشوهة فى وعى الذين ينسبون له ما يروى فى المدراس عن الطفل إبراهيم الذى حطم أصنام الآلهة فى حانوت أبيه، فى الوقت الذى تعامل إبراهيم بتبجيل مع كبير الآلهة الكنعانية، والذى قدم قربانا على مذبحه عندما حل ضيفا على الكاهن اليبوسى ملكي صادق ملك القدس.

لم يستطع قراء سفر "نشيد الأناشيد" أن يعبروا عن عظمة هذا الإبداع النموذجى فى تاريخ شعر الحب المادى، إلا إذا فهموا أولا مصطلحات التفسيرات الباطنية التى تنظر إليه على أنه حب بين يهوه والكنيسة الكاثوليكية أو بين يهوه وبنى إسرائيل.

سفر "التكوين" وفصول رواية الآباء والأمهات المدرجة فيه، والملحقه به لهدف الكمال والتميز فى تاريخ الأدب العلمى، من المستحيل التعبير عن هذا الإبداع إن لم نفصل بين قرائته على أنه شئ مكتمل وبين النقاش حول فرضيات المصادر اليهودية والإلوهيمية والكهنوتية التى استقى منها المحررون النصوص التى ألحقوها إلى إبداعهم.



## وثيقة تاريخية فى إبداعات أدب مختلق فى العهد القديم

تفسر الوثيقة التاريخية من خلال إبداعات أى أدب مختلق ، بما فى ذلك فى الأدب العهد القديم المختلق . ويخلق الأديب فى الأدب المختلق واقعا جديدا من مواد الواقع لتى يعرفها، عن طريق خياله . وتعرض مواد الواقع تلك، والتى هى بمثابة المادة الخام لإبداعه، واقعا اجتماعيا وثقافيا وروحانيا يعيش فيه أبطال الأدب، والواقع الذى شكله الأديب من خلال تجربة حياته، وتدلى عليها .

وعلى إثر كارليل ، فإننا نرى أبطال الأدب يتحولون إلى أبطال تاريخيين بفضل الدور الذى يلعبونه فى تاريخ شعبهم أو العالم ، مثل الملك آرثر أو يسوع الناصرى، وذلك أن يكون هذا الأمر مشروطا بمصادقية الحديث حول حياتهم، كما هو معروض فى قصة أو فى قصص قد شكلت شخصياتهم .

بهذا الشكل عرض آحاد هاعام شخصية "موسى" الذى صور فى قصص العهد القديم وصار فيما بعد شخصية تاريخية، عندما بدأ يؤدى أدوارا فى تاريخ اليهود وفى ديانتهم وثقافتهم، وفى الفكر الاجتماعى والسياسى وفى تطبيقاته فى حياة اليهود . حتى وإن لم يكن لدينا دليلا على أن تقرير هذه الوقائع فى قصة حياة موسى هى "حقيقة أثرية" . وعلى حد قول آحاد هاعام ، يجب النظر إلى الإبداعات التى شكلت موسى على أنها إبداعات قد قدمت شخصية تاريخية .

ومن هنا فإن الأدب المختلق من الممكن أن يؤدى وظيفتان متميزتان عن بعضهم البعض :

١- أنه ينسج شخصيات أدبية - إلهية وإنسانية - جديدة بما يجعلها تتحول إلى شخصيات تاريخية .

٢- أنه يعرض واقعا اجتماعيا وثقافيا وروحانيا يعيش فيه الأديب أو يحكى عنه، والذى شكل حبكة قصصية من مواد تاريخية واقعية، موجوده بالفعل ولم يتكرها .

إن لم تكن هناك إمكانية التأكيد من صحة التقرير حول الوقائع التى تتشكل منها الحبكة القصصية، فهى تؤلف وثيقة تاريخية وتمكننا من معرفة الواقع الاجتماعى والثقافى

الذى يدل عليه، وهذه الوثيقة من الممكن أن يجد لها سنداً في الأبحاث التاريخية والاكتشافات الأثرية.

تبنى المعرفة المكتسبة بهذا الأسلوب وعى التراث التاريخي والذاكرة الجمعية للشعب والمتمثلة في إبداعات أدبية يتقبلها الشعب على أنها إبداعاته الأساسية.

يؤدى العهد القديم وظيفة التراث التاريخي الذى يؤسس ذاكرة جمعية لليهود. وتكشف القراءة فى العهد القديم، بواسطة تلك الأدلة التاريخية، عن واقع اجتماعي وثقافي يعيشه اليهود فى زمن نشأته وتشكيله كشعب ذي خصوصية.

قد لعبت تلك الحقائق التاريخية دوراً فى تطوير الآمال والرؤى المسيحانية - الدينية والعلمانية - وتطلع الشعب للعودة إلى أرض العهد القديم وإقامة دولته المستقلة عليها كما حدث فى الثلاث ممالك التى أقيمت فى الألف الأول قبل الميلاد.

إن تخمينات الباحثين بشأن عدم مصداقية تقرير العهد القديم حول الأحداث المروية فى العهد القديم، لا تغير شيئاً فى الدور الذى أدته تلك الوثائق التاريخية فى ثقافة الشعب وتاريخه. والحقيقة أنه حتى الآن لم توجد بعد أى أدلة أثرية عن الخروج من مصر، باستثناء كتابات ترجع إلى ألفين وخمسمائة عام فى متناول أيدينا، لا تغير شيئاً بالنسبة لأهمية الذين يعتبرون الخروج من مصر فى اليهودية حقيقة، وبالنسبة للدور الذى تؤديه قصص الخروج من مصر فى ثقافة الشعوب. (انظر مايكل ولتسر "الخروج والثورة").

يوسع العلم بالبحث التاريخي والأثرى المعرفة فيما يختص بالخلفية التاريخية الممكنة للأحداث المروية فى أدب العهد القديم. وتستخدم تلك الأبحاث النظرة النقدية تجاه إبداع العهد القديم، التى من شأنها أن تكشف عن مفارقات تاريخية تثبت أن الإبداع يدل على أمور لا نفترض بأنها كانت موجودة فى تلك الفترة، مثل: الجمال المدرجة فى الهدية التى منحها فرعون لإبراهيم مقابل الأيام الثلاثة التى مكثها سارة فى قصره. (تدعى أبحاث واكتشافات أثرية عدم وجود مفارقات تاريخية، حيث اكتشفت فى إيران بقايا جمال أليفة ترجع إلى الألف الرابع قبل الميلاد، وقد اكتشفت فى صحراء النقب عظام لجمال مختلطة بعظام الكباش ترجع إلى الألف الثالث والثانى قبل الميلاد، مما يدل، على ما يبدو، على اكتشاف الجمال الأليفة فى الفترة المنسوبة للأحداث التى فى قصة إبراهيم).

تدعم النظرة النقدية ، المستخدمة في اكتشافات البحث التاريخي والأثرى ، في معظم الأحيان وثيقة العهد القديم التاريخية في وصفها للواقع الاجتماعي والثقافي - مثل المقارنة بين قوانين حمورابي والقوانين المتعلقة بالروابط الأسرية والميراث في أدب العهد القديم ، والصورة التي يرسمها البحث (على أساس وثائق من أرشيفات تل العمارنه ومارى<sup>(١)</sup>) فيما يتعلق بإبداعات أدبية سابقة لهؤلاء الإسرائيليين التي اكتشفت في القرن العشرين. ووفقا لشهادة العهد القديم فقد عبد بنو اسرائيل آلهة كنعانية قريبة في مكانتها ووظيفتها من الآلهة الموصوفة في أساطير بلاد النهرين. وتحدث وثائق ملوك بلاد النهرين عن الحروب الموصوفة في العهد القديم بين الغزاة من بلاد ما بين النهرين لمملكة إسرائيل. ويذكر صراحة في مسلة الملك المصري مرنبتاح التي ترجع إلى عام ١٢٠٧ ق.م إسم "إسرائيل" على أنه كيان إثني والذي وفقا لرأى الملك المصري في القرن الـ ١٣ ق.م قد قام بإبادتهم عن بكرة أبيهم ، ولم يعد لهم وجود في المستقبل.

يوجد في الأدب الذي ألفه اليهود في فترة الألف الأول ق.م وصف لترحال قبائل عبرية قديمة يشبه وصف ترحال قبائل "الخابيرو" أو "العابيرو"<sup>(٢)</sup> في الهلال الخصيب. ويماثل هذا الوصف وصف تجوال عائلات إبراهيم ويعقوب (حيث تتطابق الأسماء الشخصية مع الأسماء الموجودة في الأرشيفات المذكورة آنفا).

توجد أدلة كثيرة في العهد القديم عن العلاقات بين ثقافات الشعوب في الهلال الخصيب وثقافة العبريين القدماء والملقبين فيما بعد بنبي إسرائيل أو اليهود. ويثبت العهد

(١) ماري مدينة قديمة في سوريا تعود إلى القرن الخامس ق.م وقد دمرها حمورابي ، وكانت مركزا سياسيا واقتصاديا وثقافيا مهما في العالم القديم.

تم اكتشافها عام ١٩٣٣ شرق سوريا قرب حدودها مع العراق وظهرت فيها اكتشافات مهمة حيث وجدت في بداية الحفر ٢٥ ألف لوحة من الحزف مكتوبة بالأكدية ومكتوبات بالخط المساري، وتعد اللوحات ووثائق مهمة شملت موضوعات من مجالات الحياة المختلفة وشملت أحداث مهمة عن الحكام وعامة الشعب.

(٢) الخابيرو: يشير فريق من العلماء إلى وجود علاقة بين اللفظ عبري واللفظ خبير. ولفظ خبيرو في المصادر المصرية القديمة، والمصادر الآشورية والبابلية التي اعتادت الإشارة إلى بعض القبائل البدوية العربية ومنها القبائل الآرامية العربية التي يقال أن إبراهيم عليه السلام ينتمي إليها. كما تشير هذه المصادر إلى أن اللفظ خبيرو كان يطلق حوالى الألف الثانية قبل الميلاد على عدد من القبائل في شمال شبه الجزيرة العربية وفي الشام. انظر: د. محمد خليفة حسن: تاريخ الديانة اليهودية. ص ٢٠.

القديم أن الإسرائيليين القدامى قد تحدثوا باللغة العبرية (وفي القدس باليهودية)، وهى لغة قريبة الشبه من اللغة الفينيقية التى تحدث بها أيضا يهودا والذين ينددون بغاليلية بنى اسرائيل ، والذين يعبدون كثيرا من آلهة كنعان بجانب عبادة يهوه أو بدلا منه .

نتعلم من وثائق أدب العهد القديم أن الاعتقاد بالبعث لم يكن منتشرًا بين بنى إسرائيل، ولم يؤمن به أدباء العهد القديم (باستثناء أديب سفر دانيال). ولكن يوجد أيضا وثائق عهد قديم تدور حول الانحراف وعادات استحضار أرواح الموتى الذين يلتقون بالأحياء مجددًا، كما فى قصة شاول مع صموئيل بعد موته .

تعرض أدلة كثيرة فى أدب العهد القديم تطور التوحيد الأخلاقى الوارد فى تعاليم الأنبياء وخصوصيته، حتى وإن كان أيضا إرث أقلية بين اليهود، وقد تحول التوحيد الأخلاقى إلى عنصر يؤثر تأثيرًا حاسمًا فى تطور اليهودية والثقافة الغربية كلها. ويعتبر التجديد الأكثر إبداعًا وانقلابًا فى شريعة الأنبياء هو مطالبتهم بتنفيذ مبادئ العدل الاجتماعى وتفضيلها عن الفرائض الدينية وشعائر القرابين والصلوات.

بهذا وضع الأنبياء أسس مبادئ العدل الاجتماعى فى ثقافات الغرب، وشجعوا بمرور قرون كثيرة الذين اعتبروا قيم العدل معيارًا لنقد كل قانون وفريضة دينية ومدنية على حد سواء.

تشكل نصوص العهد القديم وثائق أثرية ، وفيها نصوص تم كتابتها قبل أكثر من ألفى عام، وتوجد نسخ على الأقل فى بعضها دقيقة للغاية، كما اتضح من المقارنة بين سفر اشعيا الذى اكتشف فى لفائف القمران وبين سفر إشعيا الموجود فى آلاف النسخ المطبوعة للعهد القديم.

يدعم قدم إبداعات العهد القديم مكانتها كوثائق تاريخية تدل على واقع الفترات التى كتبت فيها. ويُنسب شيوخ نهاج مطبوعة من مجلدات العهد القديم كثيرون القدم البالغ لإبداعات أدبية ترجم بعضها منها فى القرن الثالث قبل الميلاد.

على أية حال يجب النظرة إلى العهد القديم على أنه مجموعة من الوثائق التاريخية التى تدل على واقع لم يختلفه الأدباء بل وجدوه. ومثل كل أدباء الخيال فى العالم لا يكتبون

تقريبا دائما حول أحداث في الواقع بشكل يتماثل مع التقرير الواقعي الذي تطلبه المحكمة، ولكن يعرضون الواقع من خلال أعمال خيالية، أبطالها قد شكلهم الإبداع والكلام الذي يشعر به الأديب والذي كان على البطل أن يقوله.

كما يجب أن نفترض أن الإلياذة والأوديسا تعرضان واقعا اجتماعيا وثقافيا لقبائل عاشت قبل القرن الثامن قبل الميلاد الذين لقبوا في فترة متأخرة باليونانيين، يجب أيضا أن نفترض أن قصص العهد القديم تعرض واقعا اجتماعيا وثقافيا لحياة القبائل العبرية والإسرائيليين، والتي لقيت فيها بعد باليهود والذين عاشوا في الشرق الأدنى القديم وفي أرض الشعوب الكنعانية في الألف الأول قبل الميلاد وربما أيضا في النصف الثاني للألف الثاني السابق له.

إن المحاولات المتطرفة والصارخة للذين ينكرون وجود بنى إسرائيل والذين يعتمدون على فقدان أدلة أثرية قاطعة حول وجوده، بتجاهلون القاعدة الأساسية لأي بحث تاريخي وقانوني والتي تقول "فقدان الدليل لا يعد دليلا على غيابه".

إن التخمينات الخيالية للذين ينكرون وجود بنى إسرائيل والتي تقول: إن عبيد الكنعانيين قد تمردوا على آسيادهم وهربوا من مدنهم. واستقر هؤلاء في جبال الضفة والخليل واختلقوا لأنفسهم التاريخ الإسرائيلي الذي يبدأ من الخروج من مصر وتبنوه. هذه التخمينات اختلاق لواقع ولا تمثل إلا خيال مختلفيها.

عندما يصطدمون بأثر مرئيات الذي يعود إلى ١٢٠٧ قبل الميلاد، وفيه ذكر مباشر لبنى إسرائيل يكتفى منكمرو وجود بنى إسرائيل باعتراف مشكوك فيه، إلا أنهم مضطرون أيضا للاعتراف بأن الوثيقة الوحيدة التي بين أيديهم عن وجود بنى إسرائيل هي إعلان عن إبادته وعدم وجوده.

## الفصل الثاني



### دور العهد القديم فى التعليم العلمانى الهادف إلى إرساء الإنسانيّة فى اليهوديّة

إن هدف أى تعليم هو تحقيق إنسانية المخلوق البيولوجى المسمى بالإنسان والذى يمتلك قدرات تمكنه من أن يكون إنسانا اجتماعيا وثقافيا ولديه ميول أخلاقية وقدرة على النقد والتميز بين الخير والشر. ويمكن تحقيق هذا الهدف فى التعليم والثقافة القومية، حيث إنه فى الواقع لا توجد ثقافة ليست قومية.

يوجد اتجاهان يتصارعان فى تعليم كهذا، هما:

١ - يتحقق تأقلم الفرد مع المجتمع ومسلّماته من خلال اكتساب المعرفة حول الموروث التاريخى والثقافى، ومن خلال استيعاب قيم أخلاقية عالية، ومن خلال اكتساب مهارات حيوية عن قدرة الفرد فى الدراسة والتعلم فى هذا المجتمع.

٢ - تتحقق تنمية شخصية الفرد المستقلة من خلال تنمية إبداعات الفرد ونقده لمسلّمات المجتمع وإبداعاته ونقده لبنود فى الموروث التاريخى والثقافى. ويتحقق أيضا من خلال السعى لتحقيق غالبية القوى الكامنة الميزة لكل فرد، ومعرفته بالحقوق والواجبات النابعة من عضويته فى المجتمع القومى، والطائفى، والأسرى.

ويخدم هذان الاتجاهان الثقافة والتعرف على الإبداعات الكلاسيكية التى فى جوهر الثقافة القومية وثقافة الشعوب التى يعيش بينها الشعب.

إن معرفة وتنمية العلاقة الحسية تجاه تلك الإبداعات النقدية والإبداعية فى النظرة إليها تطوران تأقلم الفرد تجاه المجتمع الذى يعيش فيه، وتنمى شخصيته المستقلة والتى تجعله يواجه المجتمع وهذه الثقافة.

## تطوير قدرة الانطباع المادى والنقدى

تستوجب المعتقدات الشائعة في اليهودية العلمانية تنمية المعرفة وتطوير القدرة على الانتفاع والثراء الروحاني من إبداعات العهد القديم، بجانب الرؤية النقدية تجاه كل ظاهرة وإبداع بدون أى قيد دينى أو غير دينى.

إن تطوير القدرة النقدية الجمالية والأخلاقية لإبداعات العهد القديم، حيث أبطال الأدب من الآلهة والبشر في العهد القديم والرسائل والفرائض المتضمنة في تلك الإبداعات، بفسر الإبداعات الأدبية والحسية التى في العهد القديم على أنها إبداعات تؤدى إلى انطباع حسى وشعورى، وتثرى العلاقة بين جوهر الثقافة اليهودية والروابط بين ثقافات الشعوب.

ولكى نسرع في تحقيق تلك الأهداف يجب معرفة الوحدات الأدبية التى يحتويها العهد القديم، ويجب أيضا الانتباه لشكلها ومضمونها كأنها إبداعات أدبية مكتملة، بعيدا عن البحث عن المصادر والمكونات المختلفة لمعظم الإبداعات في العهد القديم.

إن القراءة والتمعن في الإبداع الأدبى والفنى والشعري تمثل جزءا من النشاط التثقيفى والجمالى والأخلاقى لكل فرد مثقف. ومن أجل ذلك علينا ان نتعلم مقولة قولريدج حول الاشتراط الجبرى للانطباع عن القراءة الخيالية التى تقول "إقرار عدم الثقة".

علينا أن نأخذ انطباعًا عن الإبداع المادى من خلال تفعيل قدراتنا النقدية والأخلاقية، ومن خلال إقرار النقد العلمى الذى يتحرى ويطالب بإرجاع كتابات شكسبير إلى مصادرها أو التحرى من أى مصدر يأتى إبداع العهد القديم من المصدر "اليهوى" أو "الألوهيمى" أو "الكهنوتى"<sup>(١)</sup>.

(١) لقد أثار الاختلافات والتناقضات الواضحة في صفحات التوراة الحالية انتباه كثير من الباحثين قديما وحديثا . فأشاروا إلى تعدد المصادر واتفق العلماء على أن التوراة تتكون من مجموعة كتابات جمعت وحررت في عمل واحد وحدد العلماء أربعة مصادر للتوراة وهى المصدر الألوهيمى الذى يتميز بلفظ ألوهيم للدلالة على الألوهيم وله مجموعة من الخصائص التى تميزه عن بقية المصادر.

يؤكد إظهار إبداع العهد القديم على أنه مكتمل حتى لو كان البحث يوضح أيوب على أنه "مكتمل وبه خلل"، كما يسميه يائير هوفمان في كتابه الرائع عن أيوب، يؤكد ذلك اللقاء مع الدراما الفلسفية "أيوب" قبل أن يقسمها الباحثون إلى عناصر.

يجب أن يركز البحث في إبداع العهد القديم أولاً حول قدرته كإبداع مادي وحول الرسائل الإنسانية والأخلاقية النابعة من أسلوب عرض الحكاية وأبطالها والمعضلات الأخلاقية التي تظهر في حياة أبطال العمل وفي حياتنا. يظهر ذلك في القصة القصيرة التي تدور حول صدام البطل الأدبي الإله مع البطله الأدبية حواء، نتيجة خطيئة الإله القديمة حيث حظر المعرفة والأخلاق بتحريمه ثمار "شجرة معرفة الخير والشر". وتماثل المعرفة conscience الضمير بالفرنسية والإنجليزية، هي أيضاً "ضمير" وأيضاً معرفة التمييز بين الخير والشر.

### يكشف أدب الخيال عن واقع إنساني ويرمز إليه

يستطيع أي عمل أدبي كبير أن يجعلنا نلتقي مع شخصيات وواقع إنساني في نقاط ما يكشفه البحث التاريخي والعلمي، وتستخدم المعرفة مثل اللغة اليومية الاستقراءات والمفاهيم والأسماء التي تشير إلى المجموع.

يتكون الواقع الإنساني من تفاصيل متميزة وتقوم اللغة والمفاهيم والعلوم بتسمية هذه التفاصيل بالاستقراءات والتبسيطات والقوانين. ويشتاق البشر إلى اللقاء مع ما هو

---

والمصدر اليهودي ويتميز باستخدام لفظ يهوه للدلالة على الإلهية وربطه القوى بين الدين والقومية. والمصدر الكهنوتي ويطلق عليه اسم الكهنوتي لأنه من عمل الكهنة الذين عكفوا على تحرير المصدرين الألوهيمي واليهوي فزادوا عليها إضافات مطولة زعموا أنها كانت موجودة، وأهم ما يميز هذا المصدر التركيز على العبادة وتنظيم الطقوس والشعائر والأحكام التشريعية. المصدر التنوي وهو أساس سفر التثنية ويتميز بمحاولته التوفيقية بين المصدر اليهودي والمصدر الإلهيمي فهو يحتفظ بالتراث العنصري لليهوي ويضيف إليه المثالية الأخلاقية للإلهيمي. للمزيد حول المصادر الأربعة وتفاصيل كل مصدر انظر: محمد خليفة حسن: علاقة الإسلام باليهودية، رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية. دار الثقافة للنشر. القاهرة ١٩٨٨.



ذي خصوصية في القصة وفي العمل الأدبي والإبداع الفني، حيث تكشف عن ما هو متميز ومصاغ في العمل وما يرتبط به.

إن قدرة الأدب تتمثل في التغلغل عبر حواجز الاستقرارات التي تفصل بيننا وبين الواقع الإنساني. ويتجلى الشوق في الاقتراب من الإنسان الذي يمتلك شخصية متميزة لنا في الحب والإبداع الأدبي والفني، وهو أحد الضروريات النفسية المشتركة فيما بيننا جميعا. ويخلق الأدب والفن واقعا جديدا مستقلا نواجهه وتنعكس من خلاله حياتنا. وتتضمن المفاجأة المتعلقة باللقاء مع الواقع الإنساني الموجود في أدب الإدراك الفجائي رغم الغربة والاختلاف بيننا وبين الأبطال، إلا أنهم قادرون على أن يمثلونا.

يتم في كل ثقافة إضافة الواقع الذي يتم ابتكاره في إبداعات الأدب الكلاسيكي إلى الواقع الذي يعيش فيه أبناء تلك الثقافة ويتعرضون لها. ويتعرف معظم الإسرائيليين الصغار من مرحلة الروضة وحتى نهاية مرحلة الثانوية على الواقع وعلى الأبطال الذي تم ابتكارهم في أدب العهد القديم. إن هذه المعرفة موجودة بمستويات مختلفة من التجربة والمعرفة مثل إدراك الواقع الاجتماعي والثقافي الذي نعيشه في الحاضر.

إن الواقع في الإبداعات الأدبية العظيمة في نظرنا هو جزء من الواقع الروحاني المشترك لدارسي كل ثقافة قومية والمنفتحة عليهم. ونحن نحتاج بمساعدة الإبداع الأدبي الفني ووجود الأشكال والمضامين والأبطال والحكايات التي تثرى حياتنا الأدبية، للتخلص من الشعور بالاضمحلال ومن تيار الظواهر والتغيرات وردود الأفعال الفورية التي نحتاجها في حياتنا اليومية.

يكشف الأدب لنا السلوك الإنساني من خلال ما هو متميز، كما يكشف العضلات الأخلاقية والمشاكل التي هي إرث للجميع، ولكن هناك ما هو أكثر تميزا، وهو قدرة مبدعي الأدب والفن، من الأشخاص المتميزين فقط، على مواجهتنا بها وبمغزاها.

يجعلنا الأدب نلتقي مع حياة تتحول إلى رمز من خلال وصف حياة أفراد يمتلكون شخصيات متميزة، مثل تميز كل واحد منا، ومن الأمثلة على ذلك حياة يعقوب الذي تغلب على مصيره وإله وصار إسرائيل، ومثل دون كيشوط الذي سئم الواقع وأحيا في خياله نبهه وحارب من أجل العدل.

إذا كانت الحياة اليومية تمثل ذاتها فإن الحياة في الإبداع الأدبي، في ذروته، تمثل المعضلات والقوى الإنسانية الكامنة لدى كل البشر. وإبداعات كتلك هي مثل كثير من إبداعات العهد القديم تكشف ما يسميه أرسطو بـ "الحقيقة الحسية"، وليست تقريراً مطابقاً لـ "ما يحدث في الحقيقة"، بل هي قصة تكشف عن قوى كامنة لما يمكن أن يحدث سواء لأبطال العمل أو لقرائه.

تتمثل قوة قصة الذبيح في أنها تجعلنا نركز بعقلنا ومشاعرنا في معضلة الضحية، وبذلك فنحن نستطيع أن نضحى بأعز ما لدينا من أجل ما نؤمن به إيماناً مطلقاً.

ومن هنا تأتي عالمية الإبداعات الكلاسيكية والتي تخرج عن حدود ثقافتها القومية، و تتحول أيضاً إلى إبداعات كلاسيكية في ثقافات قومية أخرى. مثل الإلياذة وهاملت والحرب والسلام والقضاء وأيوب ويونس أو صيغتي قصة الخلق التي تنصدر العهد القديم. وتمثل هذه الإبداعات رمزية الوضع الإنساني وقدرته على تشكيل عالم وشخصية الإله ومعرفة الخير والشر كشرط حتمي لإنسانية الفرد أو لحظر معرفة الحرية.

وذلك على غرار مقولة فيكوده ميرندولا: "معنى أن تكون ذا طبيعة إنسانية هو أن تكون قادراً على أن تكون سامياً كالملاك وحقيراً وشريراً كالشيطان".

### صبيغتان لقصة الخلق، أنشودة خلق الوجود وقصة الخطيئة الأولى للإله

أنشودة الخلق التي تنصدر أنتولوجيا العهد القديم والتي يركز على أهميتها لونجينوس في الفترة الهلينية (في كتابه حول الارتقاء). تبدأ الأنشودة بتشكيل البطل الأدبي الإله على شكل وصورة الإنسان. وهنا يعرض الإله على أنه تجسيد ورمز للقوة ومطمح الإبداع الإنساني.؟

يخلق البطل الأدبي الإله الذي هو في هذه الأنشودة ذكر وأنثى على حد سواء، الإنسان على صورته. وتتأكد بشرية الإله من خلال صيحات السعادة والتفاخر التي يطلقها عقب انتهاء يوم عمل الخلق، وذلك عندما ينظر إلى صنعته ويحدها جيدة، وأحياناً يجدها رائعة في نظره. لكن في نهاية أسبوع من العمل الشاق يحتاج الرب أيضاً إلى الراحة،

فیرتاح بعد كل الأعمال التي قام بها، فيصنع يوم السبت وقوانينه - القوانين الأولى للمساواة في العالم.

يرى مؤلف أنشودة الخلق أن الكون والحياة على الكرة الأرضية بمثابة مسار تدريجي؛ يبدأ التدرج في انفجار طاقة النور داخل الفوضى عن طريق خلق السماء وحركاتها. ثم أوجدت الزمن وتقسيماته إلى أيام وليالي، ثم تقسيم الفضاء إلى سماء وأرض، ثم تجمع المياه التي على سطحها. وخلق الحياة التي في المياه وتدفعها إلى الهواء واليابسة ثم زواحف تتكاثر حتى ظهور الثدييات، حيث قمة تطورها بخلق الإنسان ذكر وأنثى، كليهما أوليين ومتساويين في خلقهما، وسيطران على كل الأرض ويسيران عليها.

تختلف الصيغة الثانية للخلق عن الأولى وتتعارض معها في معظم سماتها الحكائية والأيدولوجية، حيث يتواجد الإله في داخل العالم وليس خارجه وهو يخلق الحياة بالأفعال وليس بالأقوال، وينظم الإله شبكة الرى لجنته ويغرس الجنة في عدن، وهي إحدى المناطق الموجودة على الأرض، ثم ينحت تمثال الإنسان الأول وينفخ فيه روح الحياة. وعندما يتضح له أنه ليس من المستحسن أن يكون الإنسان بمفرده، ينحت تماثيل صغيرة وكبيرة على هيئة كل الحيوانات الموجودة على الأرض وينفخ فيها روح الحياة، ويشعر بخيبة أمل عندما يطلق على الحيوانات أسماء ترمز إلى أنها لم تخلصه من وحدته. ويصف المؤلف بطله الزراعى، ويتحول المثال إلى جراح قدير حيث يقوم بتنويم الإنسان ويغشيه في ثبات عميق ويخرج ضلعاً من جسده وبطريقة بسيطة يخلق منه مساعدة لآدم ليست مخلوق أول كآدم، بل آخر المخلوقات التي خلقت في العالم، مخلوق ذو وظيفة محددة لتكون مساعدة لحارس جنة الإله والعامل بها.

لكن صنعة الرب الأخيرة تمردت على خالقها، فكل الحيوانات بما فيها الذكر البشرى على استعداد للإذعان للقانون الوحيد الذى شرع في العالم. هذا القانون هو قانون حظر المعرفة والأخلاق، أو حسبما يصيغه الأديب، قانون عدم التمييز بين الخير والشر. أما المرأة التي خلقت من الرجل لم تدعن للقانون التعسفى، ويدفعها الفضول لثمار شجرة المعرفة المشتهاة لتستقف بالمعرفة، لكى تدرك الثقافة. وتصدق المرأة الحية التي تخمن بأن الإله كذب حيث لا يموتون من المعرفة، فتأكل من ثمار التمييز بين الخير والشر المحرمة

المحظورة، وتجتاز المرأة بذلك حدود الحياة الحيوانية للإنسان، وأطعمت الرجل الذى معها وأنقذت البشرية من الاضطراب العقلى ( عدم التمييز بين الخير والشر) ومن الحياة الأبدية فى الطبيعة المنوحة دون غيرها.

على ضوء نجاح المرأة الأولى فى التمرد على الخطيئة الأولى للإله الذى حاول حظر المعرفة والأخلاق عن البشر طور الأديب موضوع الصدام بين أبطال البشر والآلهة والذى صار جوهرىيا فى بعض إبداعات أدبية فى العهد القديم.

نظرا لأن حواء ، تماما مثل بروماتوس فى الأساطير اليونانية، قد تمردت على قوانين الإله التعسفية والمسيطر على العالم ، يعاقبها يهوه الإله هى وكل بنات الجنس الأنثوى باللعنة التى تتضمن الألم والحزن أثناء عمليات الولادة، كما يعاقبها بخضوعها للرجل المتحرر من كل هذا. والأسوء من هذا يعاقبها بالشوق للذكر وحبه وهو يستعبد لها ويسيطر عليها فى كل النظم الاجتماعية منذ ذلك الحين وحتى الآن.

هذه اللعنة والتى تصف المأساة الاجتماعية للمرأة يمكن أن تكتبها أدبية امرأة فقط كما يدعى الناقد الأدبى الكبير هارولد بلوم فى كتابه "جيسى". وتجد القصة ودلالاتها المختلفة، بما يتفق مع التفسيرات البسيطة والمتعمقة التى صاحبها خلال عشرات الأجيال، صدى حتى اليوم فى الفكر والإبداع العالمى.

حاول الذين يبغضون المرأة مثل أوجوستينوس تحويلها إلى قصة الخطيئة الأولى للمرأة. وقد تقبل الذين ساروا على نهجه هذا التفسير وحولوا الخطيئة الأولى إلى أحد مبادئ إيمانهم بالجرم العالمى للبشر والذين ولدوا من المرأة التى تحطأ بطبيعتها، حيث إنهم نسل المتمردة الأولى التى استطاعت أن تنتصر على الإله.

تكمُن قدرة الإبداع الأدبى الكبير فى الخروج عن حدود الثقافة التى ألف بها والمتمثل فى تاريخ قصة جنة عدن الموجودة فى الفصل الثانى من سفر التكوين. ويستمر مثل كل إبداع فى الأدب الكلاسيكى أيضا هذا الإبداع فى أداء دور فى الثقافة واللغة العبرية وكل تراجمها التى تقلل من شأنها ومن قوتها الأدبية. فمن الصعب على المترجم أن يقدم تعبيراً مساوياً فى المغزى ، لوصف لحظة الحيرة واتخاذ القرار الحاسم التى تتخذها

حواء عندما ترى أن ثمرة شجرة المعرفة هي "جيدة للتثقيف". فتقيظ الحواس الممتع والاشتياق العقلي الذي لا يمكن كبحه يؤدي إلى تعبير لغوي مضطرب لا يمكن صياغته.

لتأكيد أهمية التمرد التي قامت به أم البشر ضد الإله وعظمته، يسمع الأديب أصوات الخوف. حيث يعبر الإله (بصيغة الجمع) عن خوفه من أن الإنسان على وشك أن يصير مشابها له ليس فقط من ناحية الشكل والهيئة، فبعد أن تمكن من المعرفة، فمن الذي سيمنعه من الأكل من شجرة الخلود أيضا، وعندئذ كيف سيسيطر الإله على الإنسان؟

بفضل الخوف الإلهي تحرر الإنسان من جنة عدن. ولكونه مسلحا بالمعرفة التي منحت له حواء، بدأت ذريتها في الإبداع والابتكار والخلق، وتطوير حضارة واقتصاد وثقافة وفن، كما هو موصوف في فصول القصة التي تدور حول حياة البشر الذين خرجوا من الجنة في عدن، وبدأوا في تعمير الأرض وكل أرجائها.

يبدأ الإبداع الإنساني منافسة الإبداع الإلهي، حيث يتصارع البطل الأدبي الإله منذ ذلك الحين مع أبطال البشر الموجودين في إبداعات أدب العهد القديم العظيمة - في قصص إبراهيم ويعقوب وموسى وحتى قصص يونس وأيوب.

### تأثير النظرة إلى الإله بوصفه بطلا أدبيا

يسود في الثقافة اليهودية العلمانية الإيمان بأن البشر قد ابتكروا الإله كبطل أدبي في أدب العهد القديم، وقد صوروا الرب في إبداعات سفر التكوين على شكل الإنسان وصورته (ذكر وأنثى)، وفي إبداعات أخرى كشخصية مجردة من الشكل والصورة مثل الطبيعة والإنسانية بخواصها وأقوالها وسماتها.

يختلف يهوه إله إسرائيل الذي شكل في الأدب الإسرائيلي في العهد القديم عن آلهة الشعوب التي ابتكرها البشر في الأساطير القديمة وفي منطقة الهلال الخصيب واليونان.

في مقابل آلهة شعوب كثيرة التي ابتكرت في الأساطير وفي أدب الشعوب الوثنية، فإن يهوه وحيدا بلا أسرة وليس له مكان محدد (مثل أوليمبوس). وقد شكل يهوه في العهد القديم على أنه إله سبق الكون والطبيعة التي خلقها من الفوضى ويستمر في الصراع معها.

في عقيدة مبدعى العهد القديم فإن الإله قد خلق العالم والإنسان، وينسبون ليهوه كل القوانين التي تطبق على السلوك الإنساني للفرد والمجتمع، هم يلغون بذلك التمييز بين فرائض الديانة وبين القوانين المدنية (واجبات الفرد تجاه غيره من البشر وتجاه المجتمع الذى يعيش فيه).

وتلزم عقيدة التوحيد الفرد بالانصياع لزعماء الدين وأوامرهم وشرائعهم؛ لأنهم في هذه العقيدة يتحدثون باسم الإله خالق العالم ومجتمع البشر، حاكم العالم والمراقب لحياة كل إنسان والمكافئ والمعاقب كما يريد.

يحرر اعتقاد اليهود العلمانيين الذين يؤمنون بأن الإنسان هو مبتكر الإله والقيم الأخلاقية، يحررهم من سلطات زعماء المؤسسات الدينية والشريعة التى ابتدعوها ومن الفرائض التى فرضوها باسم الإله، ومن كافة القوانين التى تسمى فى العبرية "ديانة" والتى يفرضونها على المؤمنين بهم وبقدرة البشر على التحدث باسم الإله.

ويعد هذا الاعتقاد إلحادى فى جوهره، لأنه يعارض الإيمان بصلاحيات الديانة وزعمائها وفرضها على البشر كيف يتصرفون وبما يؤمنون. ويكتسب الاعتقاد الإلحادى أشكالاً مختلفة مثل: اللا أدريون الذين يؤمنون بالتماثل بين الطبيعة، وبين مفهوم الإلوهية لكون الطبيعة إلهاً فى نظرهم (كما يرى سبينوزا)، أو بتماثل الإله مع الطبيعة (فالإله ليس مكان حيث إنه هو المكان ذاته)، وفى اعتقاد اللا أدريين ليس للدين صلاحية حيث إنهم يؤمنون بعدم احتمال معرفة وجود إله أم لا خارج نطاق الأدب الذى شكل وجوده. وعلى ذلك لا يمكن تصديق زعماء الدين بأنهم يتحدثون حقاً باسم الإله والذى ليس من المحتمل معرفته أو اللقاء معه وسماع صوته. أما اعتقاد التوحيديين (مثل فولتير) فهم يفترضون وجود كيان سامى فوق كل كائن يمكن أن ندعوه إلهاً، ولكن لاصلة له بالبشر أو الفرد به. وعلى ذلك فلا نبغى تصديق الذين يزعمون الحديث باسمه أو الانصياع لهم.

أما اعتقاد الفلاسفة المتدينين (مثل مؤلف كتاب "دليل الحائرين") فهو قريب مما ذكر آنفاً لأنهم يؤمنون بأن الإله لا يمكن للبشر إدراكه ويمكن أن ننسب إليه خاصية ما، بما فى ذلك خاصية الكينونة، لكونه الحكمة السامية والبارزة فى هذا الكون. الحكمة التى

يستطيع فقط المميزون من الحكماء والعلماء الاقتراب منها أو كما قال أينشتين: "إن الإله هو الاسم الذي نمنحه للغز الذي لا يحل عن سبب الشرعية السائدة في الكون والأرض، الشرعية التي يمكن بحثها ولكن يمكن معرفة مصدرها.

ويشارك المؤمنون بالعقائد المذكورة آنفا - التوحيدون والملحدون واللاأدريون

فيما يلي:

أ - النظرة إلى الإله في العهد القديم على أنه بطل أدبي قد ابتدعه مؤلفو الإبداعات الأدبية التي جمعت فيه. ويشكل على هيئة بطل له شخصية إنسانية وملامح إنسانية (فم وذراع وما شابه ذلك) أو له خصائص البشر (يتحدث ويأمر ويضرب). وقد صاغه بهذا الشكل المبدعون؛ وذلك لكي يقدموا للقراء غير الفطنين مثالا أدبيا (كما يقول موسى بن ميمون في كتابه "دليل الحائرين") يستطيعون فهمه ويؤمنون به. والبطل الأدبي الذي شكل في العهد القديم له شخصية (جسدية أو نفسية) تماثل شخصية الإنسان، وعلى ذلك فيمكن أن ينسب إليه أقوال شفاهة وأفعال يفعلها بذراع مبسوطة، يغضب أو يصاب بخيبة أمل عندما يشعر بأن بنى إسرائيل ينكرون الجميل ويشكون من التحرر من العبودية وما شابه ذلك.

ب - الرؤية الإلحادية للدين القائم على المؤسسات، بمعنى؛ الإيمان بأن الإنسان المتحرر من الإلحاد والديانة ومن زعمائها ومن كل فرائضها يلتزم بقيم أخلاقية قد صاغها البشر وتشكل ظروف للحياة في مجتمع إنساني، أي: في المجتمع الذي فقط نستطيع أن نكون فيه بشر.

عندما تكون الفرائض والعادات الدينية غير مقبولة من ناحية القيم والأخلاق والإنسانية (مثل ذبح طفل والتضحية به على مذبح، أو قانون وعادة اضطهاد النساء اللاتي هن نصف المجتمع) لا يجب الانصياع لها ويجب إبعادها خارج القانون.

بدلا من تداخل قوانين الشريعة الدينية مع القوانين المدنية يجب الفصل بينهما. فكلاهما صنيعا البشر. ويجب أن يخضعا لاختبار قيم العدالة الإنسانية. وعندما يصطدم

القانون المدني الديمقراطي بالشريعة والفرائض الدينية يجب تفضيل القانون المدني الديمقراطي إذا كان صامدا أمام اختبار قيم العدل والتي تمثلها محاكم عليا والتي اختارها المجتمع.

يلعب التمييز بين الإله بوصفه خالق الإنسان وبين الإله بوصفه بطلا أديبا ابتكره الانسان دورا حاسما في النظرة إلى الحياة وإلى المجتمع وإبداعاته بها في ذلك العهد القديم .

الأفراد الذين يعيشون مؤمنين بأن الإنسان هو سيد متحرر من كل القوانين ،يرفضها ويغيرها وفقا لقيمه الأخلاقية ،يتعاملون بشكل نقدي مع القوانين والشرائع المعروضة في العهد القديم ، مثل كل أفعال الأبطال وأقوالهم التي تقال في إبداعاته. وهذه الرؤية النقدية - القادرة على قبول أو رفض أى فريضة في العهد القديم وأى عمل أو حديث للإله أو إبراهيم أو موسى - هى جزء من التعليم الأخلاقى والذى يخدمه معرفة إبداعات العهد القديم.

أعرب أيضا مبدعو العهد القديم المتدينون، والذين يؤمنون بأن الإله هو خالق العالم والإنسان وأن له السلطة القضائية العليا، عن آراء نقدية متطرفة فيما يتعلق بأخلاقيات يهوه. حيث يشك إبراهيم في أن الإله قاضى الأرض يقيم قضاء عادلاً وذلك عندما يعاقب عقابا جماعيا، ويعلم قراء سفر أيوب إن الإله هو المذنب وليس أيوب في تلك المأساة، كما يعلم مبدعو أسفار الجامعة وإرميا بأنه لا يوجد عدل في عالم يهوه ففيه الخير للآثمين والشر للصديقين.

ومثل كل أبطال الأدب الكلاسيكين في العالم فإن يهوه يخطئ من وجهة نظر القارئ الأخلاقية والقيمية. فمثلته مثل أبطال الأدب في الإلياذة والأوديسا، وإبداعات درامية مثل إسخيلوس وسوفوكليس وأورفيدس وشكسبير وموليير وجوته.

أخطأ أفلاطون عندما نسب إلى الأدباء الذين يقدمون أبطالاً يخطئون ، وذلك عندما اقترح تنويع رأسهم بأكاليل الشناء وطردهم من المدينة . فأبطال الأدب في الإبداعات النموذجية - بما فيهم يهوه - لا يمثلون نموذجا للسلوك الأخلاقى. فهم يمثلون الواقع الإنسانى النفسى والاجتماعى والدينى والأخلاقى.



إن التعامل المتسامح مع أبطال الأدب المخطفين بسبب قداستهم في التقاليد الدينية يضر بالتعليم الأخلاقي للفرد وبتطوير قدرة نقدية لديه.

فمن ناحية قيم القارئ الإنسان فلا مبرر أخلاقي لامثال إبراهيم الأعمى الذي يندع ابنه ويسوقه إلى مكان التضحية يحمل عليه الخشب الذي ينوى حرقه به، يعد ابنه للذبح ويقرب السكين من حنجرته ليذبحه حيث يبدو له أن إله قد أمره بهذا.

فالأمر الذي تلقاه إبراهيم من الرب بتقديم ابنه قربانا أمر غير أخلاقي بصورة لا تقبل الجدل ، مثل انصياع إبراهيم والمكيدة التي حاكها لينفذ الأمر.

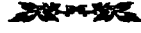
إن الإيمان بأن الإله الموجود في العهد القديم بطل أدبي يتيح قراءة الإبداع الأدبي الذي أدرج به مع تنمية الارتباط بالشخصيات الفاعلة في تلك الإبداعات بما فيها يهوه. وهذا الارتباط هو جزء من الانطباع الحسي والعقلاني الذي يثار لدى القارئ من خلال الإبداعات الأدبية.

\* \* \* \*

مكتبة

المهتدين

## الفصل الثالث



### أركان الفكر الإسرائيلي في أدب العهد القديم

#### مغزى موقع جنة عدن في بداية التاريخ

تتجلى في أدب العهد القديم أقوال تعبر عن الفكر الذي ساد عصر العهد القديم وعقيدته من خلال قصص وأشعار وأقوال أبطاله الأدبيين، مثل: الأنبياء أو الشخصيات الفاعلة في الحكاية. فالإيمان بالتمييز بين الخير والشر مشروط بالمعرفة معلن في قصة جنة عدن، ويتم التأكيد عليه في كل إدانة للشر النابع من الجهل الذي لا يتوقع ما سيطرأ من أحداث ولا يظن بنتائج أفعال الشر التي تؤدي إلى الدمار والخراب.

إن المعرفة، ومعرفة الخير من الشر في هذا الصدد، هي شرط لإنسانية الفرد. حيث يستطيع الانسان من خلالها فقط الاختيار بين خيارات مطروحة، أو يخلق اختيارات جديدة (حسبما يقول براجسون: إن الإنسان يتميز عن أى مخلوق آخر في الطبيعة)

وبالنسبة لمؤلف قصة عدن، فمن الواضح أن الحية على حق وأن الإله قد تصرف من منطلق مبررات أنانية، كأنه لم يطعم من شجرة معرفة الخير والشر. ولأنه لم يفكر في المستقبل، فلم يفهم يهوه الرب أنه على وشك أن يفقد الحارس في جنته والعامل المخلص بها. وأنه من المستحيل أن يمنع المعرفة إلى الأبد. فكل عاقل يتمرد على من يحاول أن يمنعه من حرية الاختيار بين الخير والشر. فالمعرفة، بالنسبة لكاتب سفر التكوين، لا تقلل بشكل دلالي الفرق بين الإنسان والإله، فهي أيضا تحررنا من تبعية ما يعرضه لنا الإله في الطبيعة. ومن الآن يستطيع البشر خلق بيئة طبيعية جديدة، بعيدة عن جنة عدن، التي آمن كل أدباء العهد القديم بأنها موجودة في بداية التاريخ وليس في نهايته.

يمثل موقع جنة عدن في بداية العهد القديم أحد الوسائل الكثيرة التي يتم التعبير

من خلالها في أدب العهد القديم عن وجهة نظر حول اقتصار الحياة على هذا العالم، وأن الموت هو تفتيت للجسد البشرى ليصير ضمن المواد الترابية التي خلق منها.

ولأن الطريق من جنة عدن ذو اتجاه واحد، فإن هذا يعد أحد التجديدات المفرطة في الفكر الإسرائيلي في عصر العهد القديم. ويسود في معظم ثقافات جيران بنى إسرائيل الاعتقاد بالبعث في عالم ما وراء الحدود بين الحياة والموت، ففي هذا العالم يعيش الآلهة بجانب الموتى ويواصلون الحياة الأبدية.

ينكر فكر اليهود في عصر العهد القديم البعث ويتجاهل الحياة التي بعد الموت. ويمثل هذا الموقف تحولاً ثورياً في تاريخ الفكر الغربى. وقد ساد في عصر ما بعد العهد القديم، وبخاصة في العصر الهلنستى وفي العصر الوسيط الاعتقاد في البعث وفي الحياة الأبدية (المذكورة في العهد القديم في سفر دانيال فقط). وهذا الاعتقاد على نقيض من فكر الفلاسفة، مثل موسى بن ميمون في كتابه "دليل الحائرين" الذين فهموا أن الحياة الأبدية للنفس بمفاهيم امتزاج العقل البشرى بالعقل السامى للإله.

### تأثير الإيمان باقتصار الحياة على هذا العالم

شكل إنكار العهد القديم للحياة ما بعد الموت، تجديداً وتحولاً ثورياً في فكر العالم القديم. وأصبح ذلك في فترة التنوير حداً فاصلاً يميز المؤمنين بالديانات التوحيدية في الغرب عن المشككين واللاأدريين والملحددين، الذين تزايدوا في اليهودية وفي ثقافات شعوب الغرب.

كان الإيمان باقتصار الحياة على هذا العالم هو أساس تفضيل الأخلاق والعدل الاجتماعى على فرائض الشعائر الدينية. والإيمان بأن العقاب والثواب يتحقق للإنسان في هذا العالم وفي هذه الحياة فقط، قد خلق المطلب الذى كرهه بيالك بعد مرور سنوات كثيرة في قصيدته "إذا كان هناك عدل فليتحقق فوراً". فمن وجهة نظر بيالك فقد كان هذا شرط لإيمان بسيطرة وتبرير الإله على هذا الكون، وعلى هذا فهو يقول في نفس القصيدة "إذا ما ظهر العدل بعد موتى فلينهض عرشه إلى الأبد". ويمتزج كذلك في أقوال الأنبياء الإيمان باقتصار الحياة على هذا العالم مع المطالبة بتحقيق العدالة هنا والآن، ليس فقط لأن

"الأموات لم يقدسوا الرب" ولكن على أساس أنه لا يوجد عالم يستطيع أن يعرض أولئك الذى وقع عليهم الظلم فى هذا العالم.

وقد أدرك الأنبياء أن أعمال الشر وتجاهل مطالب العدل هو جهل باعتباره نقيضا للحكمة التى هى رؤية المستقبل بمعنى؛ أنه فهم نتائج الأعمال وليس فقط ثوابها فى الحاضر.

اعتمد قادة ديانات التوحيد على العهد القديم فى مطالبتهم بالإذعان المطلق لفرائض الشعائر ولزعماء الديانة الذين أمروا بها ، عندما يهددون بعقوبات بدنية مروعة فى العالم القادم حيث تشتعل به نار جهنم إلى الأبد.

لقد تطور فى أدب العهد القديم بالذات فكرة إنكار البعث والذى كان فى المسكalah أساس التحرر من الديانة ومن سلطة زعمائها. ولقد عاد وتطور الإيمان فى فترة المسكalah باقتصار الحياة على هذا العالم وبحقوق الإنسان، فهو مبتكر القيم الأخلاقية ، وبوجوب تطبيقها هنا والآن ، حيث إنه لا حياة أخرى يمكن فعل هذا بها.

على هذا استطاع أيضا اللاأدريون والملحدون أن يقدروا إسهام أدباء العهد القديم وأنبياء يهوه المدرجين به، فقد كانوا أول من أعلنوا أن العدل الاجتماعى مفضل عن الصلاة وتقديم قربان للإله.

استند الإيمان بصلاحية القيم الأخلاقية فى أقوال الأنبياء على المعرفة والنقد اللاذع والصارم الذى وجهه الأنبياء ضد المؤسسة الاجتماعية والاقتصادية والسلطة الدينية. ولقد وجههم التمييز بين الخير والشر إلى رفض سلوك الكهنة الشرير والأحمق وسلوك أصحاب الأملاك والوزراء والملوك الذين لم يتنبؤوا بالمستقبل ولم يفهموا بأنه بانتهاك العهد مع الإله، والذى أساسه فعل الخير، حسب رأى الأنبياء، فإنهم يسيروا بالمجتمع الإسرائيلى نحو الانهيار والدمار. فلا مغزى من الإيمان بقيم بدون معرفة شىء من الداخل - القدرة على التنبؤ بشىء يحدث نتيجة لأفعال أو إهمال.

يعد الإيمان بمطلق القيم الأخلاقية باعتبارها معيار للخير والشر، كما صاغها هليل وكانظ، هو إيمان بالوظيفة التى تؤديها تلك القيم كشرط لوجود مجتمع يمكن أن تتحقق

فيه إنسانية الفرد، وتنهار إنسانية الفرد في مجتمع ينهار، مثل النظم الاستبدادية كالنازية وطالباني وتحمل مسارات اللإنسانية محل مسارات الإنسانية، فيتحول التعليم من أجل حياة أفضل لكل البشر بتعليم يحث على الاستعداد والاستبداد، وفرض الديانة والثقافة على الآخر والتضحية بالإنسان والانتحار.

وكما أن الإيمان بقيم ما والقدرة على الاختيار وتفضيل الخير على الشر مشروط بالمعرفة التي تميز بينهما، فإن معرفة النتائج المتكهنه لأفعالنا تشكل شرطاً لاختيار العمل الأفضل أو لرفض العمل الأسوأ. وبدون الإيمان بقيم فلا معيار للتقدير وللتفضيل والاختيار بين الخير والشر. وبدون المعرفة فلا احتمال لتطبيق قيم أخلاقية لاختيار الخير من الشر.

### الصراع بين الإنسان والإله في أدب العهد القديم

إن أحد الموضوعات المشتركة في إبداعات العهد القديم الكثيرة هو الصراع بين البطل الأدبي الإله وبين أبطال الأدب من البشر. ويتجلى التعبير عن ذلك في قصص واقعية مثلما في رواية الآباء والأمهات في سفر التكوين، بداية من وصف الجدال حول مشكلة أخلاقية العقاب الجماعي، الذي يدور بين إبراهيم والإله، عندما يرسل الإله مبعوثيه لتدمير سدوم وعمورة. ثم يتهم إبراهيم الإله بأنه يصدر حكماً على كل الأرض دون أن يقيم محاكمة، حيث نكبة الدمار والقتل لسكان مدن كاملة، مثل النكبة التي دمرت سدوم وعمورة، فتلك النكبة لا تفرق بين الصديق والشرير، ولا يمكن اعتبارها حكماً عادلاً.

يتمثل قمة الصراع بين البشر والإله في قصة يعقوب الذي يصارع من أجل مصيره وينتصر في النهاية على الإله نفسه في صراع وجه لوجه في "فنيثيل" ذلك المكان الذي أطلق عليه يعقوب هذا الاسم، لأنه رأى الإله فيه "وجها لوجه" عندما صارعه وانتصر عليه. ويتجلى الصراع بين الإله والإنسان ثانية في إبداعات سريالية مثل يونا الذي يتهم إلهه بالتسامح المفرط والإحسان والرحمة تجاه مملكة الشر، ومثل أيوب الذي لا يوافق على تبرير حكم الأتقياء الجاهلين الذين يعتقدون أن النكبة التي قتل فيها أبناء أيوب وبناته هي نتيجة

لخطيئته. وإلقاء التهمة في أثناء النكبة على الضحية لكي نرفع التهمة عن الإله القادر على كل شئ أمر استنكره أديب العهد القديم في سفر أيوب ورأى أنه انحراف وجرم من قبل المتدينين، مثل أيوب والذين يسرون على نهجهم اليوم والمتمثلين في حسيدية حيد و سطر. يوضح لنا الأديب في رواية الإطار - المؤلف الذي ألف سفر أيوب من مصادر - أن يهوه فعل مكيدة مع الشيطان بجلبه الكارثة والمصيبة على أيوب الصديق بسبب صدقه لكي يختبره.

يظهر في كل قصة من قصص الصراع بين الإنسان والإله شخصية الإله المتميزة وشخصية المتصارعين معه. ومن خلالهم ينكشف المغزى الفكري العالمي لصراع الإنسان مع مصيره بمعنى: صراع الإنسان ضد مسارات طبيعية لا يسيطر عليها، ولا تخضع لحكم الأخلاق، وينسبها المؤمن المتدين للإله.

إن الاعتراف بقوة العوامل والقوى التي تشكل مصير كل فرد، يظهر في معتقدات دينية و علمانية، وتمثل في أدب العهد القديم من خلال صراع الإنسان مع إلهه.

في عقيدة العلمانيين كلمة "مصير" تعنى القوة المؤثرة على حياتنا بشكل غير مرتبط بالإرادة ولكن من المحتمل أن يكون متأثرا بالإرادة وشخصية الفرد. وهذه القوة مثل "القوة المتعادلة" - الموجه في الفيزيكا - التي تشكلها فيزياء القوى التي تعمل في اتجاهات مختلفة، وعناصر تؤدي إلى خلق قوة فاعلة في اتجاه آخر، ولكن تحت تأثير تلك القوى.

من بين القوى المؤثرة في حياتنا، بشكل غير متعلق بإرادتنا، توجد عوامل بيئية ووراثية، الإرادة والقوة اللتين يفرضهما علينا الآباء والزعماء وأناس آخرون. إرادة الفرد من المحتمل أيضا أن تكون إحدى تلك القوى المؤثرة، وفي حالات كثيرة تغلب عليها.

أما في عقيدة المتدينين فكلمة "مصير" تعنى حكم من السماء؛ أى تعبير عن إرادة الإله، حيث إن كل شئ في العالم يفعل بقوله وإرادته وأنه قادر على كل شئ.

يتغلب المصير على رغبة الإنسان وأهدافه في التراجيديا اليونانية، كما في أديبوس الملك، ولا يستطيع أن يغير أو يلغى حكم الآلهة، ورغم كل جهوده وأفعاله فإن حياته تحدد في نهاية الأمر من خلال هذا الحكم.

يتصارع في أدب العهد القديم - كما في قصص إبراهيم ويعقوب ويوسف وداود - أبطال الأدب مع العوامل الوراثية والبيئية ويتغلبون على مصيرهم ، مثل يعقوب الذى صارع أشخاصًا وإله وانتصر عليهم.

تنشط في قصص العهد القديم المذكورة أنفا رغبة الفرد وشخصية الإنسان كجزء من القوى الكثيرة التى تحدد مصيره. ولا تماثل مسارات حياة الفرد رغبته ولكن سمات الفرد وقوة شخصيته تؤثر على تلك المسارات. ويمكن أن تغير الاتجاه والنتائج التى كانت ستحدث لولا ظهور تلك القوى.

لقد نجح يعقوب فى التغلب على مصيره كشاب ليس له حقوق فى المجتمع الذى ولد فيه ، ولكن بعد أن تغلب يعقوب حتى على إلهه ، لم يكن يستطيع منع مسارات الأحداث التى أدت إلى هروبه من نابلس عقب المذبحة الجماعية التى نفذها أبناؤه ضد السكان انتقاما على اغتصاب أختهم . ورغم تفضيله ابن محبوبته راحيل فإن هذا لم يمنعه من العزلة والحزن لسنوات كثيرة، عندما اعتقد أنه فقد ابنه يوسف الذى صار ذا شأن فى البلد المجاور، وتنكر لإخوته الذين قد باعوه عبدا، ولأبيه الذى أحبه أكثر من كل أبناؤه.

يتأثر مصير الإنسان فى تلك القصص بقوة مبادرته وقدرته على انقاذ مواهبه والخضوع للتحديات والفرص المتاحة له فى بيئته.

تظهر حرية الفرد فى قدرته على الصراع مع القوى غير المتعلقة برغبته ، ومع رغباته وغرائزه، ومع المجتمع ومسلّماته، ومع قدرته على شق طريق خاص به ، رغم القيود أو من خلال استغلال الفرص التى تظهر أمامه.

ينفذ معظم أبطال أدب العهد القديم رغباتهم ويبادرون بمحاولة منهم لتغيير مصيرهم.

يجد إبراهيم طريقة غير تقليدية ليتخلص بها من الجوع والفقر المهددين لحياته وحياة أسرته وخطته فى أن يصير سيدا لجمهور من الغرباء. فعندما كان مستقبه فى خطر بسبب الفقر والجوع فى أرض كنعان فقد بادر بتنكير زوجته الجميلة سارة حيث أقنعها بأن

تتظاهر وكأنها أخته عندما أخذها رسل ملك مصر لقصره لمدة ثلاثة أيام. وفي المقابل يمنح الفرعون ثروة لإبراهيم وعبيدا وإماء وحميرا وجمالا.

لقد كان إبراهيم أحد الرحل المعدمين مثل عائلات "العابرو" أو العبريين الذين عبروا النهر الكبير، والمتجولين في كل منطقة الهلال الخصيب - من أور طريق حران حتى مصر. لكن في هذه القصة بفضل مبادرة إبراهيم ومكره وتعاون سارة معه في خطة الخداع والحيلة العظيمة، أصبح إبراهيم رئيسا لعشيرة كبيرة وامتلك جيشا يضم مئات العبيد، وقادرا على هزيمة جيوش أربعة ملوك سوريين قاموا بمهاجمة جاره في كنعان.

ونتيجة لنجاحه في بلاط ملك مصر وفي ميدان المعركة عند مداخل دمشق حاز إبراهيم على الاحترام والتقدير في بلاط ملك الشعوب الكنعانية. ملك القدس اليوسى ملكى صادق كاهن الإله الأعظم، كبير الآلهة الكنعانية، دعا إبراهيم ليضحى على مذبحه، واستطاع إبراهيم أن يحصل على حق المواطنة عن طريق شراء قبر عائلي من الحثيين في الخليل.

يعد هذا التحول في مصير إبراهيم وأسرته نتيجة مباشرة لمبادرة ذلك البطل الأدبى ورغبته وقوته والذي تجاهل مسلمات الأسرة والزواج واختار أن يغير اتجاه حياته و حياة أسرته من النقيض إلى النقيض.

### يعقوب يصارع مصيره وإلهه ويصير إسرائيل

يمثل يعقوب أكثر من أى بطل أدبى آخر في العهد القديم القدرة على المواجهة مع مصيره ومع إلهه والصراع معهم. وتعد قصة يعقوب هى أعظم قصص الصراع. فهى كما يقول روبرت ألتر تروى من قبل الميلاد وحتى الوفاة بأسلوب نثرى متميز يسرد رواية الآباء والأمهات في سفر التكوين.

تبدأ قصة حياة يعقوب منذ أن كان جنينا يصارع لكى يولد أولا ويفشل. ويحاول يعقوب أثناء الولادة عرقلة خروج توأمه فيمسك بعقبه، ولذلك أطلق عليه الوالدان المتبهجان "يعقوب".



إن فشل يعقوب في صراعه وقت ولادته يحدد مصيره في الأسرة والمجتمع الذي ولد فيه. فلن يكون الابن البكر مطلقاً وإنما الابن الثاني غير مكتمل الحقوق مقارنة بأخيه البكر. ويظهر يعقوب في سياق القصة أمهر وأكفاً وأمكر من أخيه الذي يدعى عيسو، وذلك لأنه كثيف الشعر. وكان عيسو صيادا أحبه والدهما إسحاق العجوز الضرير المغرم بأكل اللحم وخاصة الذي يصطاده له ابنه، ويطعم اللحم الذي تعده له زوجته. ويقدم الكاتب عيسو على أنه رجل غير حكيم لا يتنبأ بالمستقبل، مندفع وكثيب، من نوع البشر الذين لا يجوعون بل يموتون جوعاً. وبخاصة عند عودته من رحلة صيد فاشلة متعب وجائع. ويرى أخوه الذي يسكن الخيام والذي يغريه بطبخة العدس التي يعدها لنفسه. ويؤكد الأديب على الشخصية البدائية لعيسو فلا يسأل عن طبيعة الطعام ولكنه فقط يشتاق ويتلهف للأكل "من ذلك الأحمر" مشتاق ومتلهف حتى أنه يستجيب لعرض يعقوب المخزي بأن يبيع له حق البكورة في مقابل طبخة العدس.

يعلم أدباء نثر العهد القديم كل شئ ويقدمون بياناً ليس فقط عن الأفعال والأقوال العلانية بل أيضاً عن الأقوال التي يقولها الإنسان في داخله. ففى تلك الواقعة يقول الأديب قال عيسو لنفسه: "على أى حال إنه سوف يموت جوعاً بما ستيده البكورة؟ وأقنع نفسه وهكذا يبيع بكورته مقابل طبخة عدس.

ويعد هذا اللقاء بين الأخوين هو أحد الدرر الأدبية المتطورة في رواية مكونة من أربعة أجزاء تنصدر كل جزء منها شخصيات أب وأم (أو أمهات) من جيل مختلف:

١ - إبراهيم، سارة وهاجر.

٢ - إسحاق ورفقا.

٣ - يعقوب، راحيل وليئه.

٤ - يوسف وإسناات.

أب وأم لأباء أسباط مملكة إسرائيل الشمالية، يهودا وتامار أجداد ملوك يهودا. لقد حدد محررو رواية الآباء والأمهات ضمن مجموعة العهد القديم لبنى إسرائيل في بداية تاريخه في الوقت الذي كان اليهود أسرة واحدة، حتى انقسم في الجيل الرابع إلى مجموعة

أسباط ، متحدين ومنفصلين عن بعضهم البعض، الأمر الذي تحول إلى سمة من سمات التعددية الثقافية لليهود.

في الجزء الثالث من الرواية يركز الأديب على شخصية يعقوب المعروف ، لكل القراء، بفشله في الصراع الأول في أن يحظى بالبكورة، ويتنظر الفرصة ليحظى أيضا بالبركة.

إن بيع البكورة مقابل حساء العدس كان رمزا في ثقافة قارئى الأدب ، لكنه في إطار القصة ليس إلا محطة أولى في الطريق الذى ينجح من خلاله يعقوب في الصراع مع البشر والإله، والتغلب على القوى التى لا ترتبط برغبته، وتشكل معظم عناصر المصير الذى يتصارع معه.

لكى يمنح شرعية لشراء البكورة يجب أن يحظى يعقوب أيضا بالبركة التى يمنحها الأب لابنه البكر. في وصية رسمية تقال شفاها في ذلك العصر الذى لم يكن به كتاب حتى ذلك الوقت.

يعرض الأديب قصة الخداع والتنكر وسرقة بركة الأب الضرير المسن بإيجاز في تقرير حول حقائق وأحداث، يميز في كل كتابته، لكن في هذه الحالة تسمع، فيما وراء السطور، نغمة سخرية وحزن، من خلال مهزلة خداع العجوز الضرير ليتظاهر بأنه لا يميز بين أبنائه ، ومأساة الرجل المستقيم البسيط الذى يظل محروما من كل شئ بسبب خيانة أخيه وأبيه.

منذ الصدمة المروعة من جراء تكبيل إسحاق لتقديمه للذبح على مذبح في جبل الموريا، عندما قرب أبوه السكين إلى عنق الأبن المقيد فوق كوم من الحطب على وشك أن يشعل بها النار ، عاش إسحاق مصدوما مغلوبا على أمره ، تائها، رجلا لم يتزوج حيث لم تواسيه أمه التى ماتت فور علمها بسر التضحية بابنها. و فقط عند بلوغه الأربعين عاما عندما أحضر عبد أبيه العجوز من بلد بعيد ابنة الخالة التى وافقت على الزواج منه، فقد سقطت من فوق الجمل الذى ركبته عند رؤيته، أدخلته إلى خيمة وواسته على أمه وتحولت بذلك إلى الزوجة الشرعية الأولى والوحيدة له.

يبرز الأديب سليات إسحاق وكبح جماحه مقارنة بأخيه البكر إسماعيل الذي يدخل في مشاكل مع المجتمع، أو بابنه يعقوب المفعم بالنشاط والدهاء أو بوالده إبراهيم الذي هاجر من أرضه ووطنه ومن بيت والده بحثا عن الثراء والمستقبل في بلد بعيد.

لأن إسحاق قليل الحيلة عديم الابتكار فإنه يقلد أباه، بما في ذلك محاولته في أن يعير زوجته لملك جرر لصبح ثريا، ولكنه فشل في ذلك أيضا، حيث إنه لم يكبح جماحه وداعب زوجته التي من المفترض أنها أخته، فاكتشف الملك خدعته.

إن طبيعة شخصية إسحاق كرجل واهن يجعل تقديم المشهد يعد في شكل مسرحية ساخرة حيث يمنح الأب بركة البكورة لابنه الصغير الذي تنكر مرتديا فرو ماعز، ولا يميز الراعي العجوز بينها ولا يميز جلد ابنه المشعر عيسو. لكن هذا المشهد أيضا يسقط في شباك يعقوب، كما سقط عيسو من قبله، حيث إنه يقع تحت تأثير إغراء رائحة الأطعمة التي تعدها له زوجته، ومن الواضح أنه يستطيع أن يستمتع بها بعد أن يوافق على أن يتم خداعه ويمنح البركة كما هو مطلوب منه.

في المشهد الأخير يعرض إسحاق على أنه مسن وضرير بالإضافة إلى كل الصفات الأخرى التي أنعم عليه بها. وعندما تنكر ابنه يعقوب مرتديا فرو ماعز خشن وافق إسحاق في نهاية الأمر. إن هذا دليل على أن تلك الأيدي أيد عيسو. ولكن ماذا يمكن أن يفعل والعجوز لا يرى ابنه لكن يسمعه ويعلم أن الصوت هو صوت يعقوب؟

على ما يبدو أن العجوز تخمن بأنه سيسقط مرة أخرى ضحية للخداع (مثلما حدث في الرحلة إلى جبل الموريا عندما خدعه والده). ولكن إسحاق يتعاون هذه المرة ويعلم أنه حانت اللحظة التي سيأكل فيها من طعام رفقا، بارك يعقوب بالبركة التي تضمن له كحفيد لإبراهيم، كل الأرض الموعودة، وكل الحقوق التي يمكن أن تربطه بهذه الأرض وتضمنها له.

هكذا كانت بركة إسحاق ليعقوب شاملة ومكتملة حتى أنه لم يبق لديه شيء يستطيع أن يبارك به ابنه البكر عيسو الذي يصل متأخرا إلى ساحة المعركة الأخيرة حول البكورة، ويسمع من أبيه أنه عاجز مثله، وتتغير حالة الصورة من ابتسامة ساخرة إلى حزن ومأساة.

عيسو هو ضحية مصيره ؛ وطبيعته ، وشخصيته وعدم الحكمة وعدم الدهاء، والأب الذى لم يكن عوناً له. أراد عيسو قتل أخيه - الخيار الوحيد الذى تبقى له هو أن يعيد لنفسه حقوقه الشرعية - ولكنه فشل فى هذا أيضاً. فقد سبقه أخوه بالهروب من أمامه لأنه سمع وتكهن بالخطة التى دبرها أخوه لقتله والانتقام منه. لا يحاكم أديب سفر التكوين أبطاله بل يكتفى فقط بوصف الحقائق، ويقوم أبطال الأدب الآخرون بنقد أفعال نظرائهم.

فالنبي هوشع مثل عيسو يتحدث هو أيضاً عن إدانة يعقوب، لكن يعقوب الهارب من أخيه يفتقد كل شيء لكنه صاحب البركة والبكورة الشرعى ويفكر فى مستقبله فقط. عندما هرب كانت عصاه فقط التى بيده ، لكنه حلم أحلاماً عظيمة منذ الليلة الأولى؛ فالمكان الذى نام فيه بدا له وكأنه بيت للإله، ومنذ ذلك الحين وهو يسمى بيت إيل "بيت الإله". وبدا ليعقوب النائب المرقد الحجري الخاوى الذى يتوسط المكان وكأنه قاعدة لسلم يؤدى إلى السماء وإلى الإله الذى يؤمن به حتى فى يقظته. وحينئذ يضع شروطاً للعلاقة بينهما: إذا ما وفقه الإله فى طريقه ونفذ كل الشروط التى اشترطها عليه يعقوب. وفى مقدمة تلك الشروط ضمان عودته إلى الأرض الموعودة، ويوافق يعقوب أيضاً على أن يعمل من أجل إلهه، ويقيم له مذبحاً مثل الذى أقامه بعد ذلك يربعام فى بيت إيل ، والمعروف لجميع قراء القصة و من سمعوها والتى حدثت فى عصر العهد القديم.

يلازم تعاطف الأديب لبطله الذى وعد كل شيء ويفتقد كل شيء من بداية الإصحاح الثانى وبالتحديد من هذا الجزء فى الرواية التى تنسب ليعقوب. فالكاتب يخلق توتراً وتوقعا عن طريق التناقض بين حالة فقدان الأمل كما فى الواقع وبين الأمل والوعد الذى منح ليعقوب فى المستقبل.

يعقوب الذى يعرض فى البداية على أنه مرتكب لآثام خطيرة، مثل كل أبطال إبداعات الآداب العظيمة فى العالم القديم، يتغير الآن بشكل مفاجئ أثناء قصة صراعاته مع مصيره، والتى تؤدى به إلى الصراع النهائى مع إلهه. ويظهر التغير المفاجئ فى شخصية يعقوب، الأنانى الذى يركز حتى الآن فقط فى تطلعة ليكون البكر، فى حبه العظيم لابنة خاله راحيل. وبما أن حبه كان عظيماً نذر نذراً بأن يعمل سبع سنوات مجاناً ليحظى بالزواج منها. ويفاجئنا

الكاتب مرة أخرى في ليلة العرس يسقط يعقوب في المصيدة التي أعدها الأب والأخوات؛ ففي ظلمة الليل يصير يعقوب زوجا لليثة دون أن يلحظ مطلقا أنه لم يضحج مع محبوبته راحيل، حيث تم تبديل النساء في فراشه، ولم يلحظ أثناء غريزته الجنسية ذلك.

يزعم الكاتب بأن هذا الحدث لم يؤثر مطلقا على حب يعقوب لراحيل. فيستمر في حبه العظيم لها وينذر بأن يعمل سبع سنوات أخرى مجانا لكي تكون هي أيضا زوجة له.

يتم التعبير عن التحول عند يعقوب في الأسلوب الذي يحقق به أهدافه. فهو يُجذع ولا يندع، ويعمل بإخلاص على مدار أكثر من عشرين عاما ولا يسرق شيئا من أحد، وهو يثرى من يقوم بتشغيله ويثرى نفسه باستقامة وبفضل حرفته النادرة حيث يكتشف أساليب تكاثر لأنواع الغنم. صار يعقوب من لاجيء معدم لرب أسرة وقييلة ثرية الممتلكات؛ لديه الكثير من النساء والأولاد وامتلك الكثير من العبيد والإماء، ويستطيع أخيرا الخروج إلى الأرض الموعودة بعد أن حقق كل الوعود الأخرى بقدرته الذاتية.

هناك من العلماء من فكر ووجد (انظر "عالم العهد القديم" قصة يعقوب في آرام) تفسيراً دقيقاً لصحة قصة محاولات يعقوب تنظيم ولادة الضأن ونجاحه، كما أراد الكاتب تعظيم تفسير الحبكة في هذا القصة والتي معظمها واقعية؛ بمعنى وصف ما كان يمكن أن يحدث في الواقع وليس بالضبط ما قد حدث.

يصل صراع يعقوب من أجل مصيره في هذه المرحلة إلى الذروة. حيث يرغب الرجل، الذي كان قائدا وزعيما ثريا، الآن في تحقيق الوعد الإلهي الذي منح لجده وأبيه وورثه هو عندما اشترى البكورة وسرقها.

يقف يعقوب بمفرده على مشارف الأرض الموعودة بعد أن نقل كل أفراد عائلته إلى الضفة الغربية عبر معبر البيوك، وبعد أن ودع لبان خاله وحماه بعد أن عقد معه اتفاقية سلام وفصل نهائي بين المملكتين والشعبين، وذلك بعد أن اقتنع لبان بأن يعقوب لم يسرق منه آلهة المنزل. (فلم يفكرا في أن راحيل سرقتهما وحلست فوقهم أثناء التفتيش الذي قام به لبان في خيام أسرة يعقوب بحثا عن الأصنام أهنته، وامتنعت راحيل عن القيام من فوق رحل الجمل والتي أخفت فيها آلهتها بزعم أنها في فترة الحيض).

لقد اتضح ليعقوب بعد كل تلك المغامرات أن طريقه إلى الأرض الموعودة مغلق. حيث اعترضه شخص مجهول الاسم، هيئته تشبه الإله، مثل كل البشر. (ربما لأنه يشبه كل البشر فمن الصعب حتى على المؤمنين به أن يعرفوا أنه الإله. حيث إن ما يميز الإله عن باقي الملوك، كما تقول الأسطورة، أن كل الملوك يصكون صورتهم على عملاتهم فتشبه العملات بعضها البعض، ولكن ملك الملوك يطبع صورته على كل الأشخاص دون أن يشبه شخص آخر).

يوطد الكاتب الإحساس بالواقعية في قصته بإشارته إلى المكان المعروف للجميع، والذي حدث فيه اللقاء المصيري بين يعقوب وإلهه. في البداية لم يعرف يعقوب مع من يتصارع في معبر البيوك، حيث اعترضه هناك ذلك المجهول أثناء دخوله الأرض الموعودة، وكان يطلق على هذا المكان حتى وقت تأليف هذه القصة "فنيثيل".

يقول الكاتب لقد دار في فنيثيل، بجوار معبر البيوك، طيلة تلك الليلة صراعا قويا بين يعقوب المعروف لنا والشخص الغامض.

ولقد أصيب يعقوب في الصراع البدني الذي تطور في فخذه، عرق النساء، ولكن عناده وقوته جعلاه يتغلب على خصمه الذي ظل بين قبضته حتى عندما أراد الرجل الانسحاب من المكان، بسبب بزوغ الفجر. فرفض يعقوب وقال له بأنه لن يتركه يفلت من قبضته حتى يكشف ذلك الغامض عن هويته.

فكشف الإله عن هويته رغما عنه أمام يعقوب مقرا بأنه من الآن عليه تغيير اسمه. فلن يدعى بطلنا يعقوب، أي العقب لمحاولته تعقب أخاه، بل من الآن سيدعى يعقوب "إسرائيل" لأنه نجح في التصارع مع البشر والإله أيضا والتغلب عليهم.

أطلق يعقوب، المكنى من الآن إسرائيل، سراح الإله، وحسب كلامه فقد رآه وجها لوجه. ولذلك أطلق يعقوب على هذا المكان "فنيثيل"؛ وجه الإله كما رآه إسرائيل. واستمر كل المصدقون لهذه القصة في إطلاق كلمة "فنيثيل" على هذا المكان، وهو مدينة معروفة للقراء وتقع في شرق الأردن. واستطاع يعقوب أن يعبر، ولكن أثر الصراع ظهر عليه فحسب كلام الكاتب: إنه صار أعرج.

تتجسد في هذه القصة المتميزة التي يتغلب فيها الإنسان على الإله عقيدة أدباء ومحرري العهد القديم في قدرة البشر على التصارع مع إلهه ومع مصيره والتغلب عليهما. واعتبر قراء كثيرون أن هذه القصة مصدر لمغزى اسم شعب إسرائيل، والذي يواصل الصراع، مثل أبيه الأسطوري، صراع بلا أمل فجأة تحول إلى أسلوب للحياة. بينما ارتعد قراء آخرون من حدة المضمون والتصريحات المؤولة في النص الأصلي للقصة والتي بدأت تكس عليه مجموعة تفاسير شوهته حتى صار مطموسا. أما الرسامون الكاثوليك والمفسرون المتدينون فقد هاجموا هذه القصة في تفاسيرهم. وأبعدوا عنها الإله، وذلك على النقيض من شهادة يعقوب، الشاهد الوحيد الموجود، في نظرهم، في المكان وقت الحدث. وعضوا عن الرب الذي تصارع معه يعقوب حسب كلامه، فقد اخترع المفسرون ملاكا ذو أجنحة، من نوع الملائكة التي اخترعتها اليهودية والمسيحية في آدابها عقب إتمام العهد القديم. لقد كان تأثير التفسير الديني على قراء العهد القديم قويا حتى أن كثيرا منهم يذكرون صراحة أن قصة بالعهد القديم تدور حول "يعقوب والملاك" رغم حقيقة أن النص العبري الذي في متناول أيدينا لا يذكر ذلك.

لا تعد قصة الصراع وجها لوجه بين يعقوب والإله ذروة قصة الصراع بين الإنسان ومصيره، بل إنها أيضا تسلط الضوء على مفهوم "الإله" كما هو موجود بين الجانب المادي والمعنوي. و"الإله" في نظر أدباء سفر التكوين هو كيان محدد ومنفصل عن أي كيان آخر في العالم. إلا أن القصص عن الإله وعلاقاته بالبشر تمنح مغزى جديدا لصراع الإنسان مع مصيره، الصراع الذي يدور أحيانا بين الإنسان ذاته، كما في قصة كافكا الأولى "قصة صراع"، والتي كتبت بوحى من قصة صراع يعقوب، فيها يخرج رجل ليلا ويصارع من يعترضه حتى بزوغ الفجر، حتى يتضح له أنه لم يكن رجلا غيره. ولقد أطلق المخرج والكاتب الفرنسي كريس ماركر على فيلمه الوثائقي حول دولة إسرائيل "قصة صراع" وذلك على اسم قصة كافكا، أو على اسم مصدر إلهامها.

يدرك أديب العهد القديم أنه في الواقع الذي ألفه بالكلمات يتحدث فيه عن حقائق وأحداث قد وقعت وليس فقط عن أفكار. ولكي يعيدنا إلى أرض الواقع فهو يعلق في نهاية القصة المثيرة حول الإله والإنسان عن أن يعقوب قد عبر نهر الأردن ودخل الأرض

الموعودة وهو يعرج على قدمه. هو ونحن فقط نعلم سبب عرجه، والذي يمنح لخيلنا تخيل هذه الشخصية البشرية، ذات لحم ودم، والتي يشكلها الإبداع.

### يتهم الإله فى سفر يونا بأنه إله رحيم وعطوف ومحسن

يسلط الضوء فى القصص السريالية الموجودة فى العهد القديم كذلك، مثل قصة يونا وقصة أيوب، على الصراع بين الإنسان والإله والذي وفقا لرأى أبطال القصة ليس هناك مبرر أخلاقي لأفعاله.

صار الإنسان فى تلك الإبداعات مدركا لعجزه أمام قوى الكون ومسارات التاريخ والطبيعة وينسبهم جميعا للإله.

يحرص الأديب فى قصتى يونا وأيوب على تشكيل أبطاله الأديبين وشخصياتهم من خلال سلوكهم والحوار والذي يعرض موقفهم واعتقاداتهم بشأن ما هو واجب من الناحية الأخلاقية.

فى البداية لم يدرك القارئ لماذا حاول يونا النبى الهروب من أمر الإله، الذى يطلب منه أن يصير نبيا على نينوى. يعلم القارئ أن نينوى هى عاصمة الشر التى احتلت وقتلت وشردت الجموع من بلدانهم إلى بلدان أخرى. وما لا شك فيه، وكما يتضح من القصة فيما بعد أن نينوى تستحق الدمار، مثل عواصم الشر الأخرى والتى تنبأ عاموس بدمارها. إلا أن سفر يونا ليس سفر تنبؤات ولكنه قصة قصيرة حول نبى لا يصدق أن نبوته ستتحقق. وعلى ذلك اعتقد بأنه لا ينبغي الاعتماد على إلهه، ذلك الإله رقيق القلب والعطوف والرحيم والمحسن.

ينضم ذلك الإبداع المكتوب فى شكل القصة القصيرة إلى كتب "أسفار" فن البلاغة فى العهد القديم، وذلك حسب تعبير تهكمى من المحررين الذين يشككون فى مقدرة النبوءة على توقع ما سيحدث فى المستقبل.

"سفر يونا" ذلك الإبداع الذى يعد نموذجا لفن القصة القصيرة، والذي يمثل نموجا أمثلا لقصة متعددة التقلبات والمفاجآت، والتي تؤدى إلى نقطة أيديولوجية مفاجئة



للمواجهة بين الموقف الإنساني للإله والموقف المتعصب للمؤمنين الذين يؤمنون بأن الحق يعلو ولا يعلى عليه.

تبدأ قصة يونا بوصف واقعى تقريبا، وفيها يسمع النبی أمر مهمته من فم إله على غرار أوامر كثيرة أخرى حملت مهام خمسة عشر نبيا آخرين في الأسفار المقدسة.

لم يكن رد فعل بطل القصة مشابها لرد فعل أى من الأنبياء الآخرين. حيث يحاول يونا الهرب من المهمة ومن إلهه، ويسرع بالنزول من مكان تواجدته في الجبال نحو ميناء يافا الكبير، ليجر هاربا من إلهه إلى الجانب الآخر من العالم.

يدمج الأديب أحداث صغيرة تمنح القصة بعدا واقعيا حقيقيا. يسرع يونا لدفع أجرة الإبحار للربان، وأثناء الإبحار يغط في سبات عميق كمن يهرب من اليقظة أيضا.

يعترف يونا في نهاية القصة فقط بأنه حاول الهرب من الإله حيث إنه لم يصدقه ولم يصدق أنه ممكن أن يتنبأ باسمه. لم يكن لدينا في هذه المرحلة الأولى من القصة تفسيرا للتصرف الغريب والذي فاجأ أيضا الملاحين الذين يصارعون الأمواج العاتية التي أرسلها عليهم الإله، فيصلى كل واحد منهم لإلهه على أمل أن ينقذ السفينة التي على وشك التخطم. ويونا فقط الذي يواصل النوم في أطراف السفينة حتى أيقظه الربان متعجبا: لماذا أنت نائم؟ قم وادع إلهك.

وعندما استيقظ يونا وألقى الملاحون السهام يتضح أن يونا هو سبب الخطر. فيسأله الملاحون عن حرفته وأصله حتى اعترف يونا بأنه هو الأثم؛ فهو عبرى وأن الإله الذي يهرب منه هو الذى خلق اليم واليابسة، ولذلك فلا احتمال للنجاة إلا بإلقائه في اليم.

بعد هذا هو اللقاء الأول بين يونا وأناس بسطاء جهلاء. وحتى عندما اضطر أن يكشف لهم عن إثمه وأن غرقه فقط هو الذى سينقذهم من الموت استمروا في الإبحار على أمل التغلب على العاصفة. فقط عندما تلاشى الأمل وزادت العاصفة أخذوا يصلون للإله ليغفر لهم العمل الذى كانوا على وشك القيام به ويفعلونه.

عند هذه النقطة من القصة فقط تتوقف القصة عن الوضوح وتأخذ طابعها الخيالي وربما بسبب هذا ترسخت في الذاكرة الثقافية لشعوب الغرب.

إن الإله لا يهتم بموت يونا بل بامتناله، لذلك يسخر حوتا كبيرا وأمره بابتلاع يونا، لكن يونا يصمت بجلد ثلاثة أيام كاملة وهو محبوس في أمعاء الحوت حتى لم يستطع التحمل ففغر فاه بصلاة تضرع لإنقاذه، ولا شأن لهذه الصلاة بالخلاف بينه وبين الإله، ولكن صيغتها تماثل تضرعات شعرية موجودة في سفر المزامير.

يلفظ الحوت يونا لليابسة فكرر الإله أمره له بالتنبأ على نينوى، ويعلم يونا أنه لا خيار له فذهب إلى نينوى كما أمر.

يعود الكاتب ويذكرنا بأبعاد هذه المدينة الكبيرة، فهي مسيرة ثلاثة أيام من أولها حتى آخرها. ويصل يونا بعد سير يوم واحد إلى داخل المدينة حيث المكان الذي سيبدأ نبوته، وكأنه ملزم بواجب فرض عليه رغم أنه.

بدلا من خطاب نبوءة شعري ثرى بالاستعارات على غرار النبوءات المعروفة من أقوال الأنبياء الآخرين يقدم الكاتب هنا على لسان بطله صورة هزلية لنبوءة بالخراب، بأسلوب لغة البرقية من خمس كلمات "بعد أربعين يوما ستقلب نينوى". وكل من يعرف قصة انقلاب سدوم وعمورا يدرك جسامة الكلام الذي قيل بها رغم الاقتصار والإيجاز والمغالة.

يعلن الملك صوما عاما لكل سكان المدينة وبهائمها ويرتدى الجميع مسوحا معلنين ندمهم على الظلم الذي ظلموه لجيرانهم وعلى كل الشر الذي ارتكبوه على أمل النجاة من الخطر.

وكانت استجابة الإله فورية؛ فقد تراجع عن قوله وأوقف الكارثة التي أراد أن ينزلها على نينوى. وعاشت عاصمة الشر، مثل من سبقوها ومن سيلحقون بها، لتمحو الشر بالندم والصلاة.

يقول الكاتب شخص واحد فقط لم يستطع أن يسامح على المغفرة. جلس أربعين يوما شرق المدينة وانتظر بفارغ الصبر وعدم إيمان وقوع الكارثة والتي لم تحدث. عندما اتضح له أن نبوته كانت باطلة استشاط غضبا. معترضا على إله متهمه بأنه إله عطوف ورحيم واسع الصدر ذو منة وغافر للذنوب. ولذلك حاول يونا الهرب إلى ترشيش كما

يقول لإلهه. ثم يقر بأن موته أفضل من حياته، ويواصل الإله في إثارته بسؤاله: هل أفاذك الغضب؟

يعد سفر يونا الإبداع الأدبي الوحيد في العهد القديم الذى يبرز قضية المغفرة والرحمة. وهل حقا يستحق العصاة المغفرة إذا ما أنابوا وأظهروا علامات ندم وحزن على الشر الذى ارتكبوه؟ أحقا؟ يسأل الإبداع، هل يوجد تبرير للعفو الذى يهبه إله رحيم وعطوف وواسع الصدر وغافر المعصية حتى وإن كان الأمر يتعلق بنينوى ومثيلاثها؟ هل كان يونا محقا بأنه ليس هناك احتمال بأن تتحقق نبوءات الخراب والعقاب التى لها ما يبررها طالما أن الإله ليس إله صدق وعدل بل إله رحمة وإحسان؟

يحاول الأديب الإجابة في نهاية عمله الإبداعي على ذلك، عندما يعود إلى الأسلوب الواقعي الذى استهل به، وهذه المرة في قصة حول شجرة اليقطين التى نمت في الصحراء التى استقر بها يونا وانتظر نتيجة نبوءته في شمس صحراء العراق الحارقة. برغم من أن أوراق شجرة اليقطين أنقذت يونا من حرارة الشمس، إلا أن الإله أرسل له دودة فتفانت وتلاشت شجرة اليقطين وتعرض يونا للدقء مجددا.

يلاحظ من الوهلة الأولى أنه لا علاقة بين القصة وذلك الحدث العارض، والذى اجتهد الأديب في إيجاز كل تفاصيله. فهو يدمج ويحوّله إلى استهلال للفكرة الرئيسية له.

عندما يفقد يونا وعيه من شدة الحرارة بسبب زبول اليقطين، والذى سعد بإنقاذه، يكرر الإله استفزازه له ويسأله: هل حقا اشتاط غضبك على زبول شجرة اليقطين؟ ويندفع يونا غاضبا قائلا: اشتطت غضبا حتى الموت. وفي تلك الإجابة يعرض الأديب نظريته في سياق واحد، وذلك عندما يضع على لسان الرب نهاية القصة بتلك الأقوال: " أنت عولت على شجرة اليقطين والتي لم تكد في عملها أو تربيتها، والتي ظهرت وتلاشت بين عشية وضحاها، أفلا أشفق على نينوى المدينة الكبيرة التى تضم أكثر مائة وعشرين ألف شخص، جهلاء، وبهائم كثيرة؟

وهذا الموقف تبناه كاتب قصة إبراهيم في النقاش مع الإله حول أخلاقيات العقوبة الجماعية، فيتحذه الآن كاتب قصة يونا على لسان بطله الإلهي. وينهى بسؤال يحول من

خلاله تعاطف القارئ من يونا إلى الإله. وكان قبل هذا الموقف تعاطف الأديب والقارئ تجاه يونا بطل القصة الرئيسي والنبى المحبط المتطلع لتحقيق نبوءة إلهيه عادلة وهى عقاب الأثمين.

فى نهاية القصة تتحول الأمور رأسا على عقب من خلال عرض الموقف الأخلاقى للإله، هذه المرة على لسان الإله، والذى بناء عليه لا يجب عقاب شعب معظمه جهلاء، حتى وإن كان زعمائه آثمين كنينوى.

ينضم سفر يونا لمجموعة الإبداعات الأدبية التى تحمل رسالة مثالية وأخلاقية والتى تشكل فسيفساء الفكر الإسرائيلى فى عصر العهد القديم. وتتناقض الكثير من الأفكار والمواقف المطروحة فى تلك الإبداعات مع بعضها البعض تناقضا صارخا، وذلك مثل وجهة نظر أديب سفر يونا المناقضة تماما لآراء معظم أنبياء العهد القديم والذين لم يترددوا فى التأكيد على: الخراب، والنفى والقتل الجماعى لشعوب كاملة وذلك فى إطار حديثهم عن مدن الشر الإسرائيلية وغيرها.

ومثلما اختارت إبداعات معاصرة برلين زمرا عاصمة للشر، كان اختيار نينوى بشكل مقصود. فجرائم نينوى ضد الإنسانية معروفة فى العالم، وهى مدونة حتى اليوم ومعروضة فى النقوش الحجرية القديمة والتى أبدعها فنانون آشوريون. والتى تظهر فيها مواكب نصر جنود نينوى وهم يحملون على أسنة رماحهم رؤوس المنهزمين.

يحول الأديب الأحداث التاريخية إلى خلفية للقصة التراجيدية الشخصية والروحانية لأشخاص مثل يونا الذين ينخدعون بمعلومة أن الإله لا يعاقب الأثمين على جرائمهم ضد الإنسانية.

ترسخ الفكرة المحورية لقصة يونا الأفكار المثالية الكثيرة فى فكر العهد القديم المتسم بالتعددية؛ حيث التحول من اتهام الرب بأنه يقيم أحكامه بلا محاكمة إلى إله متهم بأنه عطوف ورحيم ومحسن وغافر الذنب.

## يسال أيوب عن المذنب فى نكته

تعد دراما أيوب إحدى قمم الشعر الدينى فى أدب العهد القديم التى تقدم علامة استفهام حول مبادئ الإيمان بالإله العادل وتدخله فى حياة البشر. يعمل كتاب سفر أيوب على مواجهة ضحية البلية مع الإله ومع كل الذين يؤمنون بأن البلاء هو عقاب حتمى على الخطأ حتى وإن كان المخطئ لا يعرف خطأه .

يعد سفر أيوب تأليفاً جامعياً لمجموعة مؤلفين ومحرر مستول عن جمع المصادر وإعادة كتابة النصوص التى ألف منها سفر أيوب كما هو معروف لنا منذ ألفى عام. ويعرض من جمع سفر أيوب علينا إبداعا متكاملًا ممكن أن نبحت فى مصادره المنفصلة ولكن صدق روبرت ألتر فى قوله ، الذى أعلنه باسم إدموند ليتس " بشأن محاولة قراءة مصادر بدلا من إبداعات العهد القديم.: " لا يمكن فصل الفرع عن الأصل الذى نشأ منه " .

تظهر وحدة العمل " سفر أيوب " كما هو موجود اليوم فى العهد القديم فى الدور الذى يؤديه كل جزء منه فى خلق مغزى لإبداع متكامل .

يتم توظيف الافتتاحية الملحمية والحوار الدرامى، بين أيوب ورفاقه، والخاتمة المكونة من خطابين للإله، والنهاية الملحمية المختصرة التى من شأنها أن تتضمن نهاية جيدة لهذا الإبداع التراجيدى فى خلق مغزى وتميز لسفر أيوب. وحتى إذا ما بدأ سفر أيوب " اكتمال معيب " ، كما نظر إليه يائير هوفمان فى كتابه الرائع حول الروى الأدبية الفنية الفكرية والأخلاقية لهذا الإبداع، فىجب قراءته على أنه إبداع متكامل، وعلى أنه أحد الإبداعات الكلاسيكية فى الأدب العالمى سواء من ناحية ثباته على مر الأجيال أو من ناحية تأثيره وكونه مصدر إلهام لكثير من الإبداعات الشعرية والفكرية على مر العصور .

يجعل مؤلف سفر أيوب القارىء يعرف من البداية أن أيوب محق ورفاقه مخطئون فى ادعائهم بأن الأثم فقط هو الذى يستطيع توضيح حجم البلية التى تصيب عائلته وأولاده. حيث إن إخلاص رفقاء أيوب وتمسكهم بإيمانهم الذى لا أساس له من الصحة يحول الصدام العقلانى بينهم وبين أيوب إلى تعبير عن صراع درامى شخصى .

يجل البلاء من خلال أشخاص يهاجمون آخرين أو عن طريق قوى الطبيعة

كالزوال الذى أباد سدوم وعمورا وكل من يعيش بهما. وفي سفر أيوب يأتى المؤلف بكلا العنصرين للبلاء الموصوف فيه: حيث هجوم جيوش سبأ والكلدانيين ونشوب النار والرياح العاصفة التى تدمر البيت على أولاد أيوب وتقتلهم.

ينسب المؤمنون كلا السببين للإله. ولذلك فعليهم تبرير أفعاله بإتهام البشر بالخطايا التى جعلته يفعل ما قد فعل، أو أن يتهموا الإله بالخبث الشيطانى كما فعل مؤلف أيوب فى استهلال إبداعه.

نخبر فى الافتتاحية أن البلاء الذى يحل بإسرة أيوب وأولاده هى نتيجة مكيدة دبرها الإله مع الشيطان. فأطلق الإله العنان للشيطان ليعامل أيوب وأسرته بقسوة بسبب إيمانه العظيم وليس بسبب إثمه. وفى وقت الاحتفال الذى يلتقى فيه من حين لآخر، أبناء الإله يراهن الشيطان الإله بأن إيمان أيوب لن يصمد إذا ما أختبر بالبلاء الذى سيضعه فيه.

من الناحية الإيبانية لرفاق أيوب الجهلاء فإن الإله لا يمكن أن يخطئ، ولذلك فالخطأ دائما يلتقى على عاتق البشر، حتى وإن كانوا هم ضحايا البلاء وإن لم يخطئوا، حتى وإن كانوا رضع لا يستطيعون الخطأ.

عندما حلت الكارثة بأمالك أيوب وأسرته وحلت الحمى بجسده حتى اضطر للتمرغ فى التراب، تنصحه زوجته بسبب الإله والأيام. لكن أيوب لم يسب فهو يؤمن بالإله ويريد معرفة سبب، لماذا فعل به هذا الظلم. إنه يطالب بمحاكمة عادلة ضد الإله غير العادل بصورة فعلية. وهو غير مستعد لتقبل مزاعم رفاقه المتدينين الذين يجدون الإله عادلا دون معرفة الحقيقة، ويطلب لقاء مع الإله الذى يحاول أن يجعل نفسه عادلا أمامه.

استهل الجزء الشعري للسفر بقصيدة لعنات مزعزة موجهة ليوم ولادته فيلعن أيوب يوم مولده. تلحن القصيدة الحياة وتفضل عليها عدم الوجود. ولكنها لا تشمل اتهامها أو سبابا موجها للإله الذى سبب له كل هذا، حيث إن أيوب لا يعلم الحقائق المعروفة لنا. وعندما يقبل رفاقه لزيارته فى مرضه يحاولون إقناعه بأن الخطأ فقط يستطيع تبرير البلاء الذى حل به، لكنهم لا يعلمون أيضا أن الإله آثم لأنه انصاع لإغواء الشيطان وسمح له بالقتل والألم والمرض.

يعرف أيوب أن رفاقه مخطئون لأن الذنب ليس ذنبه، ولكنه لا يعلم على من يلقي هذا الذنب.

وفي مقابل كارثة أيوب وأنشودة شوقه للموت الذي هو أفضل من تلك الحياة، نجد ادعاء رفاقه السخيف والمتناقض مع كل ما هو معروف للبشر الذين يتظاهرون بالحكمة في واقع الحال دون حكم مسبق .

يعرض من الكلمات الأولى اليغاز هتياني ، المتحدث الأول من بين رفقاء أيوب، الادعاء الأساسي المتكرر في صيغ شعرية مختلفة لترسيخ الموقف الديني التقليدي وهو : لا يوجد في العالم بشر يهلكون بدون ارتكاب خطايا، وكل منكوب فهو مستحق للنكبة بسبب آثام بشرية وليست إلهية. لأنه ببساطة غير محتمل أن يكون البشر أكثر عدلا من الإله.

يعلم أيوب مثل القارئ أن ذلك الكلام ليس صحيحا. يدين الأديب ادعاءات المتدينين الباطلة. والذين يبررون البلاء ويفسروه سواء من خلال أسلوب عرض أقوال رفقاء أيوب أو من خلال ألقاب غير صحيحة عن طريق يهوه في نهاية الإبداع.

يعرض أيوب البطل الرئيسي في هذا الإبداع على أنه رجل متدين من ناحية عقائدية (في مقابل متدينين من ناحية الحفاظ على وصايا الشريعة). فهو يؤمن إيمانا كاملا بإلهه، وبوجوده وبعده أيضا حتى الآن. وخاصة أنه لا يستطيع الاتفاق مع رفاقه ويطلب فهم مبررات البلاء الذي حل عليه. فهو لا يستطيع التسليم بعقيدة أن الإله لا يستطيع الخطيء.

ينسب أيوب كرجل متدين أيضا للإله كل المصائب التي تحمل بالبشر سواء عن طريق البشر أو الطبيعة. وعلى ذلك فهو يطلب من الإله أن يظهر ويبرر تلك الأفعال، فهو المسئول الوحيد عنها. وواضح لأيوب إذا ما وافق الإله ليمثل للمحاكمة أمامه فسوف يبطل ادعاء إليغاز ورفاقه لأنه غير محتمل أن يكون البشر أعدل من الإله.

يؤدي البناء المعقد للإبداع "أيوب" بالقارئ إلى معرفة أنه لا يوجد للإله سبب مقنع لتبرير أفعاله ، لأن الإله ، أو عوامل الطبيعة والتاريخ المنسوبة إليه، يجلبون الشر

أحيانا. يدرك مبدعون آخرون في العهد القديم أيضا ، مثل مبدعى سفر الجامعة وإرميا ، ومبدعون مخلصون، مثل مبدع سفر أيوب الحقيقة أكثر من الإيوان بالعدل المطلق للإله ، فيعلمون أنه في أحيان كثيرة يوجد صديق وشرير وهناك أشرار يحظون بكل ما تشتهى أنفسهم.

يحول الأديب المواجهة الفكرية بين أيوب ورفاقه إلى مواجهة شخصية ودرامية بين أناس يتخذون مواقف متناقضة لا يمكن الربط بينهم. ويؤمن جميعهم بوجود الإله في العالم.

يرفض أيوب الذى يواصل الإيوان بإلهه رغم أنه ضحية للكارثة، التى لامبرر لها، سب الإله، ويرفض أيضا أن يجد له مبررا، وهو عكس رفاقه والحاخامات لوفافيطتش أو ليونيل ماستمر.

يطرح الكاتب من خلال الحوار بين أيوب ورفاقه السؤال الذى يزعزع إيمان مؤمنين كثيرين فى عصرنا: كيف يمكن أن يكون الإله عادلا فى عالم يقوم فيه البشر بالقهر والمذابح الجماعية لبشر بسبب أصلهم القومى أو الطبقي أو العرقى أو بسبب آرائهم أو ديانتهم أو حالتهم الصحية؟

يقوم البطل الأدبى الإله ،الذى ظهر فى مستهل الإبداع، بالتدخل فى هذا الحوار فى الجزء الأخير منه فقط. وتفند أقواله، مثل الإطار الأدبى للعمل كله، كلام الرفاق المؤمنين بعدل الإله المطلق وبأسلوب الثواب والعقاب الذى يدير العالم به، جعلته يمثل أمام محاكمة وتشكك فى عدله.

يتهم الإله فى ختام سفر أيوب الرفاق بأنهم مخطئون ويلقون اتهامات باطلة ويجب التكفير عنها ومصالحة أيوب.

يوضح الكاتب من خلال خطب يهوه أنه حسب رأيه فإن الإله ليس مسؤولا عن عناء البشر ولا ينبغى النظر إليه على أنه يعاقب على الخطأ، حيث إن الإله موجود فقط فى مصطلحات خلق الكون وألغازه حيث لا يستطيع البشر تفسير ذلك. (وهى رؤية تذكر باعتقاد أينشتاين بسر ما هو موجود فيها وراء العلم - لغز القوانين المسيطرة على الكون).



يظهر يهوه في الخاتمة كأنه يستجيب لطلب أيوب لسمع أقواله. ويمثل خطاييه جمل إسفهامية مجازيه ليس فيها تفسير للبلاء، الذي سببه الإله، وفقا للقصة، بموافقته على خطة الشيطان.

يتيح استخدام الأديب صور البلاغة المتميزة في خطاب شعري تساؤل لبطله الإلهي عرض الخلاف الذي بين أيوب ورفاقه على أنه خلاف غير موضوعي لفهم الطبيعة الإلهية ودورها في العالم.

بدلا من الإيمان بإله شخصي، يعاقب ويثيب، يعرض هنا إيمان بإله يائيل إيمان بعقيدة فولتير التوحيدية: الإله هو كيان خالق للعالم وما يحتويه، ولا علاقة له بالبشر وأفعالهم أو الألم والعناء الذي يعانون في حياتهم. وتوضح الأسئلة التي يطرحها الإله على أيوب في خطابه الأول أن الإنسان لا يستطيع فهم أفعال الإله التي تتعلق بمسارات الخلق وتأسيس نظم فيزيائية وبيولوجية والتي لا شأن لها بالخطأ والعقاب أو الألم والسعادة.

يضيف الكاتب في الخطاب الثاني وصف إيمانه بإلهه على أنه شخصية أسطورية رمزية تدخل في مواجهة مع مخلوقات مرعبة مثل بهائم وحوت والتي تذكرنا بمخلوقات مشابهة للأساطير الخاصة لبلاد النهرين. ويعرض الإله في هذا الخطاب أيضا على أنه بعيد عن عالم البشر وحياتهم. ومن هنا يتضح أنه من المنافي للعقل أن ينسب للإله أية مسئولية عن معاناة البشر.

تفهم تلك الاستنتاجات من أقوال أو خطب يهوه المكتوبة، مثل أناشيد الطبيعة المتميزة ومركبة من عشرات الأسئلة التي يطرحها يهوه على أيوب.

وكانه من خلالها يجسد الشاعر في وعينا الفجوة اللانهائية التي يكشفها بين الإله والإنسان، إيمانه بفضالة الإنسان عندما يواجه الكون وإلهه، وعندما يحاول بلا أمل فهمها أو محاكمتها بمعايير إنسانية مثل الأخلاق والعدل.

وتقريبا لا تتعلق أي من الأقوال التي قالها يهوه بموضوع النقاش بين أيوب ورفاقه باستثناء أقواله بأنهم مخطئون. وعلى ذلك يقول يهوه لأيوب بأنه لا منطوق لاتهام الإله بخرقه لقانون العدالة ولا يجب اتهامه بالظلم كما في مقولة يهوه: "لعلك تناقض حكمتي تستذنبني لكي تتبرر أنت؟" (أيوب ٤٠، ٨).

يذكرنا خيال الكاتب بادعاء إبراهيم القديم ضد الإله بأنه لا يقيم العدل وأن الخلاف الحالى ما هو إلا حلقة فى سلسلة طويلة من المواجهات بين أبطال الأدب من البشر وبين البطل الأدبى الإله فى إبداعات العهد القديم من سفر التكوين حتى سفر أيوب .

ولأن كلام يهوه خارج عن موضوع الخلاف، فلم يكن لأيوب إجابة مناسبة لادعاءاته. لكن لأن الافتراضات التى تحتويها أسئلة يهوه تذكرنا بقدرة الإله يستمر أيوب فى القول بأنه لا يستطيع أن يدرك لماذا حدث له ولعائلته هذا الظلم المريع .

يقول أيوب فى إجابته القصيرة ليهوه: "علمت إنك تستطيع كل شىء ولا يعسر عليك أمر"، "وَلِكَيْنِي قَدْ نَطَقْتُ بِمَا لَمْ أَفْهَمُ . بَعَجَائِبَ فَوْقِي لَمْ أَعْرِفْهَا". (أيوب ٤٢، ٢ - ٣)

يمنح الأديب فى النهاية على لسان بطله الإلهى إجابة على إيفاز هتيانى، أول المتحدثين من الرفاق والذى عرض جوهر ادعائهم: "قَدْ اخْتَمَى عَضْبِي عَلَيْكَ وَعَلَى كِلَا صَاحِبَيْكَ، لَأَنْكُمُ لَمْ تَقُولُوا فِي الصَّوَابِ كَعَبْدِي أَيُّوبَ". (أيوب ٤٢، ٧)

يحاول الأديب فى النهاية الملحمية لمأساة أيوب إيجاد مخرج سعيد للقصة المأسوية المتقدمة للأمل والمعروضة لنا فى هذا الإبداع. ويروى فى نهاية سفر أيوب أن الإله قد بارك أيوب ومنحه ثروة وأبناء وبنات جدد وكانت البنات أجمل من كل البنات وأثرى (لأن أيوب منحهن ميراثا خاصا هن بخلاف مشاركتهن لإخوانهن الميراث) وبالإضافة لكل ذلك طال عمر أيوب وحظى برؤية أربعة أجيال من نسله.

لا يستطيع كل تلك الأشياء أن تمحو الجرم أو إحياء من ماتوا بلا ذنب، أو محو إثم المؤامرة بين الإله والشيطان. وتدل التجربة على عدم وجود تعويض يعوض عناء ضحايا البلاء. حيث يستمر ألمهم وحدادهم اللذين ليس لهما مبرر كما يدعى ذلك الإبداع الدينى النادر الذى ينتقد الإله.

ومن أجل التأكيد على السمة العالمية للمشكلة فلا يحرص الأديب على ذكر الهوية القومية لأيوب. حيث لا تتعلق تقوى أيوب بالحفاظ على فرائض ديانة بنى إسرائيل أو أى ديانة أخرى. ولقد كان أيوب صالحا حيث إنه كان مستقيما وصالحا ويحيد عن الشر. وكان أيوب يخشى الرب ليس بالذات الذى يدعوه الإسرائيليون يهوه.

يؤكد إبعاد أيوب عن ارتباط قومي ما كونه بطلا للإبداع الخيالي الذي يعرض الفجوة بين الرؤية التي ترى أن كل ما يحدث للإنسان هو مبادرة من الإله وفعل منه وهناك من يرى أن الكون والطبيعة جزء منفصل من الناحية الأخلاقية غير مبالية بالمصير الإنساني مثل الإله في سفر أيوب.

يختلف الإله في إبداع أيوب في الغاية عن الإله الذي هو أب أو ملك، إله الأيام المفزعة والذي يدير حسابات شخصية في كتاب الحياة والموت الذي يتطور في نهاية كل العالم . وفي نهاية سفر أيوب يظهر الإله المختلف أيضا عن الشخصية التي رسمت في بداية قصة السفر. ويظهر الإله في ختام سفر أيوب كقوة مختزلة في عملية الخلق وككيان سامى فوق تفكير البشر، لا يستطيعون معرفة أو فهم الأوجه المختلفة لعملية الخلق والصراع اللاتهاهي مع الكائنات الخرافية التي تهدد الكون. (أى ما فوق النظام) وكأنه لا توجد نهاية لقوى الخراب التي تهدد الكون.

\* \* \* \*

مكتبة  
المهتدين

## الفصل الرابع



### تعددية دينية وانقسام اجتماعي في مرآة العهد القديم

#### تعددية ثقافية تميز اليهودية في كل عصورها منذ عصر ما قبل العهد القديم

تمثل إبداعات أدب العهد القديم كما ذكر وثيقة تاريخية بعرضها لواقع اجتماعي وثقافي وديني، ألفت فيه هذه الإبداعات ووصفته. فبالإضافة إلى الآراء والمعتقدات المتنوعة التي يعرضها متحدثون مختلفون في أدب العهد القديم ويكثر فيه وصف تفصيل لعادات دينية وعقائد وشعائر كانت شائعة بين بنى إسرائيل. وتوصف في الأسفار التاريخية لمؤرخي العهد القديم (كما في سفر القضاة وصموئيل الأول والثاني، والملوك الأول والثاني) وخطب أنبياء يهوه ثقافة لبنى إسرائيل تتسم بالتعددية الدينية التي انتشرت بين الشعب وفي أفنية الملوك وبين مئات أنبياء بنى إسرائيل الذين عبدوا بعل وعشتروت. لقد ميز التوحيد ثقافة معظم بنى إسرائيل في عصر الملكتين.

ويدعم الموقف النقدي للمؤرخين والأنبياء الذين يستنكرون ظاهرة التعددية حقيقة شهادتهم بأن الوضع كان هكذا فعلا.

وطبقا لتلك الشهادات فقد عبد معظم بنى إسرائيل في المدن والقرى آلهة الشعوب الكنعانية بجانب عبادة يهوه إله بنى إسرائيل أو بدلا منه. حيث وضع تمثال أشيرا، أم الآلهة الكنعانية، في هيكل يهوه بالقدس، وذلك وفقا لشهادات مؤرخي العهد القديم، ثلثى فترة وجود الهيكل والتي استمرت ٣٧٠ عام (وفقا لإحصاء رفائيل فتاي). ووضع المؤمنون من بنى إسرائيل تماثيل عشتروت وبعل "فوق كل هضبة عالية وتحت كل شجرة نضرة" (حسب شهادة أنبياء العهد القديم). كما عبد بنو إسرائيل آلهة مثل موليخ وكاموش وذبحوا لها واحتفظوا بآلهة في البيت ("ترافيم") آمنوا بأنها آلهة تشفى وتعالج.

يدل تعدد الشعائر والتماثيل على تعدد الديانات والمعتقدات التي انتشرت بين بنى

اسرائيل في عصر العهد القديم ، بالإضافة إلى الانقسام داخل ديانة بنى إسرائيل . انقسمت ديانة بنى إسرائيل عندما أجريت الشعائر الدينية ليهوه على أنه عجل من الذهب في مملكة الأسباط العشرة ، وقدم بنو إسرائيل في هياكل غالبية الجماعة ، في بيت إيل ودان ، قرابين ليهوه على أنه عجل من الذهب ، وتعاملوا معه على أنه الإله الذى أخرجهم من مصر (حسب أقوال يريعام ووفقا لتقليد الكاهن الأكبر الأول هارون). أما في هيكل الأقلية من اليهود في القدس فقد استمروا في إقامة شعائر ليهوه المتمثل في شكل تماثيل "كروفيم" ذات وجه إنسان وأجنحة ضخمة والممتدة من الجدار إلى الجدار في قدس الأقداس .

يستمر الأنبياء في الإيمان بأن يهوه هو كيان ليس له شكل أو صورة ، كما يصفه الأدباء الذين ينسبون هذه العقيدة لموسى ، أو كما يصيغه مؤلف قصة النبي الياهو في صيغة شاعرية رائجة ، والذى عرف أن الإله ليس موجودا في الزلزال ولا في العاصفة ، بل في صوت السكون التام .

وتعرض إبداعات العهد القديم من سفر التكوين وحتى سفر الجامعة وأيوب آراء كثيرة متنوعة مختلفة ومتناقضة مع بعضها البعض حول الإله وأخلاقياته وماهيته وشكله . وتعرض من خلال قصص وأشعار ومقالات فلسفية وخطابات وإبداع من الدراما آراء متنوعة ومعتقدات تمثل فكر بنى إسرائيل وثقافتهم في عصر العهد القديم بوصفها ثقافة تعددية . لقد تبلور منذ بداية فترة الاحتلال وحتى تدمير مملكتي إسرائيل ويهوذا الوعى القومي لليهود ، الوعى بالتضامن بين بنى إسرائيل كجماعة واحدة . وتحقق هذه الهوية القومية على الرغم من التضامن لدى الأسباط المختلفة وبدون علاقة مع الهوية الدينية القومية للمؤمنين وللعابدين ليهوه على أنه إله خاص وعالمى .

كانت "ديانة إسرائيل" - تلك الديانة التوحيدية الأخلاقية التى آمن المؤمنون بها بيهوه على أنه إله خاص لا شكل له ولا صورة - حينذاك ديانة قومية بمعنى : أنها ديانة لجماعة واحدة فقط . ولكن "بنى إسرائيل" "وديانة إسرائيل" كانا منفصلين عن بعضهما البعض . ففي فترة الازدهار السياسى والاقتصادى للمملكة الشمالية ، تحت حكم آحاب ، أعلنت ديانة بعل وعشترت على أنها ديانة للمملكة . وتم طرد أنبياء يهوه واختبئوا خوفا من أن يقتلهم ملك مملكة إسرائيل .

وفي وقت بناء الهيكل الأول ليهوه قام سليمان ببناء هياكل لكل آلهة الشعوب المجاورة في القدس. وبفضله صارت القدس عاصمة للتعددية الدينية والتي ضمت أيضا ديانة التوحيد. وقبل أن يبدأ الملك سليمان في إضفاء مثاليته على التقليد اليهودي، اتهمه نبي يهوه بأنه يؤسس التعددية الدينية، وينشرها في المملكة اليهودية حتى قبل أن تنقسم.

وبعد مرور مئات السنين على تدمير المملكة اليهودية والهيكل الأول في القدس، استمرت، حسب شهادة إرميا، عادة التضحية بأولاد وبنات على مذبح الإله مولوخ في سهل بن هنيوم والموجود اليوم بين صهيون ومتحف أرشيف الأفلام في القدس. وقام إسرائيليون بتقديم قرابين بشرية وحيوانية، وقد شاركوا في طقوس جنسية في هياكل الكنعانيين، استخدموا فيها أدوات مقدسة (قد وجدت أيضا في الهيكل الموجود بالقدس). وحسب شهادة الأنبياء، لم يمتنع بنو إسرائيل المتدينون عن ظلم واستغلال كل من يمكن استغلاله واستعباده من فقراء وأرامل ويتامى وعبيد وأجراء. وحسب رأى أنبياء يهوه فإن الإله مستعد للتنازل عن تنفيذ الفرائض الدينية الخاصة بالقربان والصلاة إذا ما انصاع بنو إسرائيل لمبادئ العدل والصدق والتي هي حسب رأيهم هي أصل العهد الذي قطع بين يهوه وشعبه.

ومن وجهة نظر أنبياء يهوه كان الصراع ضد الوثنية - أي العبادة بشعائر الآلهة الأجنبية - هو جزء لا يتجزأ من الصراع ضد عدم العدالة الاجتماعية التي تؤدي، حسب وجهة نظرهم، إلى دمار الدولة اليهودية وخرابها.

تستمر التعددية في يهودية العهد القديم في التطور في ثقافة اليهود في كل العصور.

يستمر تعدد الآراء والمعتقدات المؤثرة في حياة الثقافة والمجتمع، في تمييز اليهودية أيضا بعد خراب الهيكل الأول في القدس، وبخاصة في فترة خراب الهيكل الثاني وبعد خرابه.

تتميز اليهودية في كل جيل وعصر بالخلافات التي تقسمها إلى تيارات والتي أسهمت في تطورها، ليكون هناك ربط بين أقسامها وتياراتها، وبهذا الشكل تواصل الثقافة اليهودية كثقافة مختلفة عن كل الثقافات الأخرى.

بسبب الاحتكاك والتصادم المستمر بين التيارات اليهودية المختلفة، على الرغم من التباعد الجغرافي والطائفي الكبير بين تيارات اليهودية في العالم، تتوطد الروابط بينها في كل مرة يحدث خلاف جديد يكاد يعصف باليهودية كلها. وحدث هذا عند انتشار حركة شبثاي تسفى المسيحانية والخلافات التي دارت حولها. وهذا ما حدث في عصرنا مع انتشار الحركة الصهيونية والخلافات بشأن تبريرها وأماها.

تعمل الخلافات الدينية والأيدولوجية على التلاقى بين اليهودية العلمانية والدينية وتعمق إدراك أعضاء جماعات تيار معين تجاه التيارات الأخرى ومعها - الوعى القومى الذى لا يتطابق مع الهوية الدينية، مثلما فى عصر العهد القديم.

تتألف اليهودية من تيارات كثيرة وهى ليست أيديولوجية بل هى ثقافة جماعة، وهى ذات وجوه متعددة وآراء كثيرة ومعتقدات دينية وعلمانية، مختلفة عن بعضها البعض، وتتصادم مع بعضها البعض، وتجعل الأفراد يردون على الخلاف ويكونون مدركين ليهوديتهم. ومن هنا لا ينبغى القول "تقول اليهودية" كما لا ينبغى القول "يقول العهد القديم". ويمكن فقط القول "يقولون فى اليهودية" أو "يقولون فى العهد القديم".

إن كلمة "يهودية معيارية" هى كلمة خاطئة لأنها لقب يطلق على تيار من تيارات اليهودية يرى نفسه "نموذجيا" وأنه يمثل اليهودية الصحيحة دون سواه. هكذا يرى الأرثوذكس أنفسهم ويستمرون فى الاعتقاد بأن يهوديتهم هى اليهودية المعيارية حتى وإن رفض معظم اليهود، وحتى غالبية اليهود المتدينين، أسلوب تيار اليهود الأرثوذكس وأنماط حياتهم وأسلوبهم فى التعليم وكثيراً من المعتقدات والفرائض التى يرى الأرثوذكس أنها مقدسة.

### الانحرافات عن التوحيد فى العهد القديم فى إطار الديانة اليهودية

يعد التوحيد أى وهو الإيمان بإله واحد فقط، مجرد ومعنوى - كما صاغه مؤلفو قصص موسى وأسفار الأنبياء، أحد الإسهامات اليهودية المؤثرة للغاية فى ثقافة الشعوب، ولكن فى يهودية عصر العهد القديم قد ميز التوحيد فقط إحدى التيارات الموجودة فى اليهودية.

ومنذ الفترة الهلينية وحتى فترة التنور اليهودية، قد امتزجت الهوية اليهودية الدينية بالهوية اليهودية القومية، فكان اليهود، في نظر أنفسهم ونظر الآخرين، أناس يتمسكون بديانة إسرائيل ويحافظون على فرائضها. وكانت الديانة اليهودية ديانة قومية، ديانة جماعة واحدة في مقابل المسيحية والإسلام، فهما ديانتان عالميتان.

لقد حدث الانقسام هذه المرة داخل الديانة اليهودية. فقد تمسكت تيارات مختلفة بمعتقدات وآراء وشعائر ومواقف متناقضة مع بعضها البعض. ففي مقابل الإيمان منذ عصر العهد القديم باقتصار الحياة على هذا العالم، فقد نشأ وتطور في الديانة اليهودية الاعتقاد في البعث، والآخرة، وتأجيل الشواب والعقاب للآخرة.

وفي مقابل الاعتقاد بخصوصية الإله، فقد تسلل إلى الديانة اليهودية الاعتقاد في مجموعة كبيرة من المخلوقات الإلهية الأخرى - مثل ملائكة وشيطان وجن وإلهات مثل الشخينا والليليت وزوجات الإله.

لقد نشأت هذه المخلوقات الإلهية في إبداعات أدبية، مثل أدب هابطى المركبة والهاكل، وأدب العصر الهلينستي - البيزنطي. فيشبه هيكل الإله فناء الملك الفارسي (وفقا لاقتراح يوسف دان). وفي مقدمتها يقف مساعد الملك - الملاك مترون، وهو في السابق إنسان ويدعى حانوخ، وقد أحضره الملاك عنفيثيل إلى السماء، ويجلده أحيانا "بسياط من النار" مثل حادثة يشع بن أفويا السيثة، ذلك الملحد الذي ينتقد أيضا تلك الأحداث في السماء، متعجبا هل توجد سلطتان في السماء، سلطة يهوه وسلطة مترون.

تلك القصص تعبر عن معتقدات مختلفة تماما عن معتقدات موسى والأنبياء حول وحدانية إله السماء والأرض. والذي لا يمكن تحديد مكانه، لأنه هو نفسه المكان.

وفي مقابل الإيمان الذي يتجلى في توراة موسى حول تجريد الإله عن كل شكل وصورة، تتكرر في الديانة اليهودية، وبخاصة في إبداعاتها الأدبية والصوفية، الصورة الإنسانية للإله، كما في كتاب "قائمة مديدة" حيث يوصف الإله في هذا الكتاب على أنه مسخ "يشبه إنسانًا كبيرًا ضعف الكون عدة مرات، أو في صيغ أكثر اعتدالا، مثل ملك



يقيم علاقات جنسية مع زوجته كما في كتاب "الزهر". وفي مقابل الإيمان بأن جوهر الديانة اليهودية هو الصدق والعدل، يسيطر على الديانة اليهودية الاعتقاد بأن جوهر الديانة اليهودية هو الحفاظ على فرائض الشريعة بنصها أى: بالنص الذى يصيغونه فى كتب مثل مائدة مرتبة أو نسخة المعدلة .

وفى مقابل فلاسفة متدينين مثل الحاخام موسى بن ميمون فى كتاب "دلالة الحائرين"، فالإله مجرد ليس فقط من كل محسوس، بل أيضا من كل تصور إنسانى. ويكون الاقتراب من ماهيته عن طريق الحكمة والتأمل الفلسفى، حيث اقتراب العقل الإنسانى بالعقل السامى الذى هو الألوهية.

وحسب هذا الاعتقاد فهناك فرائض وقتية، مثل فرائض القربان، التى هى إرث عبادة آلهة أخرى .

وفى مقابل معتقدات هؤلاء الفلاسفة العقلانيين، فقد انتشرت فى الديانة اليهودية معتقدات صوفية، كما فى القبالة اللورانية، التى وقلها فإن الحفاظ على فرائض الشريعة يؤدى إلى الخلاص، ليس فقط للجماعة بل للعالم، فالعالم تفتت إلى شظايا منذ الخليفة، التى لم تنجح، حيث إن نور التكوين، قد انفجر وحطم الأوعية، وشظاياها قد تداخلت فى الأغلفة، وشعب إسرائيل فقط هو الذى يستطيع خلاص العالم والشخيانه والإله من نفيم .

وفى مقابل الإيمان بمبادئ هليل الأخلاقية، أنه لا يفعل الفرد بغيره ما يكره لنفسه، فقد سيطر التعصب على اليهودية الدينية التشريعية والذى تنتهج مع النساء كل أسلوب بغيبض على الرجال الذين يشرعون والذين يجعلون أنفسهم مسئولين عن الحفاظ على فرائض الشريعة. فطبقا لصياغتهم التى تنظر إلى النساء على أنهم أناس نجسون طيلة نصف الشهر، ويتمون إلى نوع وضع من البشر، من المسموح عزله واضطهاده فى المعبد وفى المحكمة وفى التعليم وفى السياسة وفى القيادة وفى أحكام الزواج والطلاق .

وفى مقابل الاعتقاد الموجود فى العهد القديم بوجود استئصال السحر ومستحضرى أرواح الموتى وسائر المشعوذين والسحرة، وذلك من خلال الهمس

والتعاويد والتفاخر بمعجزات الإنسان وقواه الخارقة، فقد انتشر في الديانة اليهودية الاعتقاد في قدرة قيادات السحرة وعظمتهم ومنزلتهم ومن يقومون بمعجزات أخرى، أحياء وأموات، والذين يستخدمون القبور كوسائل لعلاج العنوسة والعقم والأمراض العضال.

لقد استمر انتشار السحر في اليهودية الدينية في عصرنا أيضا، رغم التقارب بين السحر والإلحاد، فكلاهما يعتمد على الإنسان ومبادرته وأفعاله التي تتجاهل الإله ورغبته وقدرته.

### تقارب روحاني بين أدب العهد القديم واليهودية العلمانية في إسرائيل

هناك معتقدات كثيرة سائدة في اليهودية العلمانية تماثل المعتقدات التي سادت في أوساط التوحيد الأخلاقي في يهودية العهد القديم وفي تعاليم الأنبياء، باستثناء اعتقاد العلمانيين بأن الإنسان هو الذي ابتكر الإله. فرغم أن أدباء العهد القديم هم الذين شكلوا الإله في نتاجهم، إلا أنهم آمنوا بأن الإله قد خلق الإنسان.

ويفضل اليهود العلمانيون، مثل الأنبياء، أعمال الصدق والعدل على الصلوات وتقديم القرابين للإله. ولا يؤمن العلمانيون، مثل أدباء العهد القديم، بالبعث والآخرة. وهم مثلهم يؤمنون بأن العدل يجب أن يتحقق هنا والآن، ولا يؤجل الثواب والعقاب للآخرة والتي هي غير موجودة.

ويؤمن العلمانيون الإنسانيون، مثل موسى والأنبياء بقيم عالمية، مثل التي صيغت في الوصايا والتي وفقا لها يتم الحكم على جميع الشعوب بما فيها بنو إسرائيل، والذي لا يعتبر شعبا مفضلا في نظر الإله، كما يزعم عاموس، بل شعب من الشعوب الكثيرة التي يهتم بها الإله العالمي - مثل الأحباش والآراميين والفلسطينيين.

ويؤمنون أيضا في اليهودية العلمانية، مثلها في توحيد العهد القديم، بوجود سجن كل ساحر وساحرة وطردهم وكل عراف ومشعوذ، والذين ينجحون في خداع الجمهور بقدرتهم الخارقة ويستغلون خداعهم لحشد نفوذ سياسي.

وحيث إن أنماط حياة اليهود العلمانيين ليس فيها مكان لكتب الشريعة ومناقشات حول الفرائض وسبل الحفاظ عليها، لذلك فإن دورها في الحياة الثقافية والتعليمية لليهود العلمانيين ليس محورياً.

وبسبب التقارب الروحاني بين اليهود العلمانيين وأدب العهد القديم فإن هذا الأدب يلعب دوراً محورياً في تشكيل وعيهم القومي وتراثهم التاريخي والثقافي.

وبسبب التباعد الروحاني وانحصار الدور الذي يشغله أدب الشريعة في حياة اليهود العلمانيين، فإنه يحتل مكانة هامشية في تعليم يهودية العلمانيين وثقافتهم.

إن معتقدات اليهود العلمانيين باقتصار الحياة على هذا العالم تقربهم من أدب العهد القديم الذي تنتشر به تلك المعتقدات والتي أثرت على اتجاهات الإبداع وآراء الأنبياء الأخلاقية والنظرة إلى البشر وحياتهم. وتتجلى هذه النظرة في معظم قصص العهد القديم التي تروى من وجهة نظر الإنسان، مقابل الأساطير الوثنية التي تحتل فيها الآلهة أدواراً محورية.

لا تقوم معظم حكايات قصص العهد القديم على أحداث خارقة بل على حكايات إنسانية تتجلى من ناحية بدنية وسيكولوجية معاً.

يلعب العهد القديم، بوصفه الأساس الأدبي الوحيد المشترك لكل تيارات اليهودية، دوراً متميزاً في تشكيل الوعي القومي اليهودي في اليهودية الإسرائيلية.

يعد أدب العهد القديم هو مصدر لغة الحديث والاتصال والإبداع لمعظم شباب اليهود الذي يدرس اليوم في إسرائيل. ومن سن الروضة وحتى الجامعة يلتقى الدارسون غير المتدينين في نظم التعليم اليهودي في إسرائيل بقصص العهد القديم والشخصيات الفاعلة به.

إن النجاح غير المسبق المتمثل في تحويل لغة إبداع تعود إلى ألفى وخمسمائة عام إلى لغة حديث وإبداع وتعليم جامعي واتصالات يومية وإلى لغة صحافة وتكنولوجيا وجيش، يميز حياة اليهود الثقافية في إسرائيل عن كل التيارات اليهودية في الخارج.

تمثل قدرة أطفال اليهود على القراءة في القرن الواحد والعشرين الميلادي لمخطوطات قديمة ترجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد باللغة التي دونت بها أحد الظواهر المتميزة في تاريخ ثقافة معظم الشعوب في العالم.

تعد اللغة التي نشأنا عليها وتعلمنا بها وحلمنا وعشنا بها حياة اجتماعية وثقافية، عاملا مؤثرا للغاية. وتشكل اللغة العبرية والعهد القديم الذي هو مصدرها في إسرائيل جسرا بين حاضر ثقافة الشعب وماضيه. ويستخدم الإسرائيليون عمدا أو بغير عمد تعبيرات عهد قديم أصيلة استنادا على ما تم استيعابه في وعيهم من خلال اطلاعهم على العهد القديم. وتؤدي مثل هذه العلاقة بإبداعات كلاسيكية دورا محوريا في التعليم وفي عملية تأهيل الفرد اجتماعيا وثقافيا تظهر في كل مجتمع قومي، وذلك منذ ثقافة القبائل الأبوريجانية وحتى ثقافة اليونان الكلاسيكية أو ثقافة المجتمع المثقف في إنجلترا وفرنسا وألمانيا في القرن التاسع عشر.

يتميز الأطفال اليهود في إسرائيل منذ سن مبكرة بمواقع جغرافية في العهد القديم ومواقع جغرافية معروفة لهم من الحياة ومن خلال تنزهات مع الأسرة أو مع فصول المدرسة. ويمتزج هذا التعرف مع معرفة الأحداث التاريخية الموصوفة في العهد القديم التي تشكل أحد مركبات مضمون الأعياد القومية والرسمية في إسرائيل مثل: عيد الفصح، والمظال، والتاسع من آب وعيد الأسابيع<sup>(١)</sup>.

يتعرض الأطفال والكبار في اليهودية الإسرائيلية شهريا وأحيانا أسبوعيا لبرامج بث الراديو والتلفزيون تتناول موضوعات، أو إبداعات عهد قديم، ونقاش عند كل

(١) عيد الأسابيع : مدة هذا العيد يومان - السادس والسابع من شهر سيفان (أخر مايو وأول يونيو) وهو بهذا عيد الحصاد. وكان الفلاحون اليهود يأخذون أول ثمار الحصاد إلى الهيكل، وقد بعث هذا التقليد في إسرائيل حيث يأخذ أعضاء مزارع الكيبوتس والموشاف باكورة إنتاج الأرض ويقدمونه لا الهيكل وإنما إلى الصندوق القومي اليهودي، ولكن هذا العيد ليس عيد حصاد وحسب، وإنما هو عيد له مناسبة تاريخية أيضا وهي نزول التوراة والوصايا العشر على موسى عليه السلام فوق جبل سيناء، فيزينون المعابد بالزهور والنباتات ويقومون حفل زفاف للتوراة تماما كأنها عروس .

اكتشاف أثرى وخلاف بين أثريين ، أو إبداعات أدبية وبحثية قد ألفت بوحى من العهد القديم أو تتناوله.

يعمل التعرض الدائم لإبداعات العهد القديم والعلاقة اللغوية بين لغة الحاضر ولغة العهد القديم على توطيد التقارب الروحاني بين يهود إسرائيل وأدب العهد القديم، وفي المقابل فاليهود الأرثوذكس الذين يشعرون بتقارب روحاني كبير من إبداعات التلمود والمدراشيم، يستوعبون إبداعات العهد القديم في إطار التفسير التلمودي والمدراشي فقط.



## الفصل الخامس



### إبداعات أدبية علمانية في العهد القديم

إن الغالبية المطلقة من الإبداعات التي جمعت في العهد القديم هي إبداعات دينية ، بمعنى: إبداعات يلعب فيها الإيمان بالإله يهوه دورا محوريا، والإله هو أحد أبطال الحكاية ويؤثر على تطورها وعلى المسارات التاريخية المعروضه بها.

ولقد أدرج محررو الصيغة الأخيرة لأسفار العهد القديم بها نماذج من إبداعات أدبية علمانية أيضا، بمعنى: إبداعات لم يذكر فيها الإله والإيمان به مطلقا ولا يلعب فيها الإله والإيمان أى دور حاسم.

يؤكد واقع تلك الإبداعات في العهد القديم على أنه يعكس ويعرض مجمل الثقافة التي على ضوئها عاش بنو إسرائيل في ذلك العصر، والديانات المتعددة التي لديه والإبداعات والظواهر الأخرى التي لم يكن لها أى علاقة بالدين.

#### قصص يوسف ويهوذا ويوتام وتامار وروث وداود وإبشالوم

توجد من بين الإبداعات العلمانية في العهد القديم إبداعات مستقلة أو إبداعات مدرجة كوحداث أدبية مستقلة في إطار إبداع آخر مثل: قصة حياة يوسف، القصة الطويلة والمدرجة داخل رواية الآباء والأمهات بسفر التكوين، والتي تصف حياة بطلها منذ أن كان طفلا لديه طموحات وأحلام عظيمة، ابن الزوجة التي يحبها أبوه، ويرى نفسه أنه أفضل من والده وأخوته، ثم باعه أخوته عبدا للإسماعيليين والذين باعوه لمصرى ثرى، ويصل يوسف بفضل مجهوده إلى منصب حاكم ونائب الملك في أكبر دولة في العالم في ذلك الحين. ويحكم يوسف في تلك الدولة بفضل شخصيته وفطنته ومشروعاته الاقتصادية، ثم يتزوج ابنة كاهن مصر ويربى أبناءه مثل المصريين تماما، حتى أن والده لم يتعرف على أحفاده مطلقا عند قدومهم لتلقى بركته وهو على فراش الموت. ويعد يوسف

هو الشخص الأكثر عزلة في أدب العهد القديم . فرجال البلاط المصرى ليسوا على استعداد للأكل معه، بسبب أصله العبرى، وحتى عندما ترأس المملكة لم يأكل مع إخوته عندما يخفى شخصيته عنهم بسبب طبيعته التى تميل للانتقام.

وفي خطاب يهودا إلى يوسف، وهو يعد إحدى درر الأدب البلاغى اليهودى، ينجح فى إنقاذ أخيه الصغير وأبيه من انكسار القلب، الذى لا يتحمله، ويسبب تحولا دراميا فى قصة يوسف وإخوته المعقدة. وعتذ يذكر يوسف للمرة الأولى إمكانية أن جميع الأحداث قد أحدثها الإله.

البناء النموذجى لهذا الخطاب القصير يؤدى بالقارئ إلى الإيمان بقدرته على تغيير القصة ، وحتى تحطيم قلب يوسف، ذلك اليهودى الذى تحول إلى مصرى صارم ومنقم وقوى ، ويستمر لسنوات عديدة فى ظلم إخوته وأبيه أيضا حيث يخفى عنهم مصيره وهويته لسنوات عديدة بالرغم من قصر المسافة بين قصره وخيام والده والتى على بعد مسيرة أيام معدودة.

كان خطاب يوتام عن الأشجار التى لم تستطع أن تجد لها ملكا بين الأشجار المثمرة وكانت ملزمة بالاكفاء بالعوايق - شجرة شائكة عديمة الأوراق والثمار، تلك الشجرة تكمن قوتها فى النيران التى تخرج منها وتحرق كل أشجار الغابة، إحدى الاستعارات العالمية الأكثر فطنة حول قصور أى نظام سياسى تتحكم فيه الأشجار غير المثمرة فى الأشجار المثمرة. بمعنى أن يتحول فى النظام السياسى عديمى الثقافة والموهبة فى مجال معين إلى مسيطرين خطيرين على كل من يحيط بهم ، لأن المثقفين وذوى الموهبة والخبرة يعتقدون أنه غير مرغوب استنفاد قدرتهم وحياتهم فى السيطرة على أناس آخرين. ولذلك فهم يرفضون كما يقول يوتام "التحرك على الأشجار". والنتيجة، حسب قول يوتام فى القرن العاشر أو الحادى عشر قبل الميلاد هى أن العليقات تسيطر على كل حكم وسلطة، والنار تخرج منها فى أوقات معينة وتلتهم كل أشجار الغابة.

وقد وضع المؤلف الخطاب على لسان يوتام كجزء من الصراع السياسى على عرش المملكة المختارة فى نهاية الألف الأول الميلادى ، لكن قوة هذا الإبداع تكمن فى المثل الذى يصيغه ويمكن فهمه منذ الألف الأول قبل الميلاد وحتى اليوم.

تعد قصة تامار زوجة عير التي تنكرت كزانية وأغوت يهودا لترغمه على الخضوع للواجبات التي تفرض عليه حكم اليوم<sup>(١)</sup> حتى اضطر للقول "هي أصدق مني" عندما أعفى عنها بعد أن كان الحكم عليها الحرق لأنها حملت منه سفاحاً، أحد التعبيرات الكثيرة لتعاطف أدباء (أو أدبيات) العهد القديم مع أبطالهم من النساء، والتي من خلال حيلتها الجنسية فقط تتمكن من الصراع ضد وضعهن المتدني وتعلقهن المطلق بالرجال، حتى وإن كانوا مخطفين، مثل المستمنى الذي يقتل نسله بقذف منيه أرضاً أثناء مضاجعة تامار، أرملة أخيه، لكي لا يرث أبنائها مع أبنائه.

تتنمى أيضاً قصة روث المؤابية إلى سلسلة نساء يعانين من ضائقة كبيرة، حيث إنهن أرامل وعاقرات ينقصهن رجل يحميهن أو يعوضهن عجزهن. تحتاج المرأة هنا أيضاً إلى حيلة جنسية وليست في حاجة إلى مساعدة الإله لكي تتخلص من محتتها، عندما تنصاع لتوجيهات حماتها وتغتصب بوعز الثرى، فقد أقبلت إلى فراشه وهو نائم مخمور (مثل اغتصاب ليثة ليعقوب) فأجبرته الزواج منها وأن يؤدي بعد وقوع الأمر التزامات اليوم التي تلزم الرجال من أبناء أسرة زوج الأرملة التي لم تنجب.

وتعد قصة اغتصاب تامار أخت أبشالوم على يد أخيها أمنون، بداية قصة علمانية رئيسية في رواية تاريخية عن حياة داود، لا يلعب الإله في معظم أجزائها دوراً. وتعتبر قصة الاغتصاب هذه بداية تدهور العلاقات بين داود وابنه المحبوب. وصل هذا التدهور إلى

(١) اليوم، كلمة عبرية تعنى «زواج الأرملة» الأرملة التي مات زوجها ولم تنجب أطفالاً. ويُحرم العهد القديم زواج أرملة الأخ إذا كان لها أطفال، لكنه يوجب مثل هذا الزواج إذا لم يكن لها أطفال. وقد جاء في سفر التثنية (٥ / ٢٥ - ١٠): "إذا سكن إخوة معاً ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تصير امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبي. أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة ويقوم لها بواجب أخي الزوج. والبكر الذي تلده يقوم باسم أخيه الميت لثلاثي مائة سنة من إسرائيل."

وإن لم يرض الرجل أن يأخذ امرأة أخيه تصعد امرأة أخيه إلى الباب إلى الشيوخ وتقول قد أبى أخو زوجي أن يقيم لأخيه اسماً في إسرائيل. لم يشأ أن يقوم لي بواجب أخي الزوج. فيدعوه شيوخ مدينته ويتكلمون معه، فإن أصرَّ وقال لا أرضى أن أتخذها، تتقدم امرأة أخيه إليه أمام الشيوخ وتخلع نعله من رجله وتبصق في وجهه وتصرخ وتقول هكذا يفعل بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه. فيُدعى اسمه «بيت مخلوع النعل». وتصبح المرأة عجونا، إن رفض الأخ أن يتزوجها ويخضع هو لطقوس خلع النعل، وقد تظل المرأة عجونا، إن كان الأخ قاصراً أو غائباً أو مفقوداً.



ذروته عند تمرد أبشالوم على أبيه، الذى لم يرد على الفعل الخاطئ الذى ارتكبه أمنون لتامار. وفي قصة انتقام أبشالوم ونجاحه يفر الملك داود من عاصمته، ويقوم أبشالوم بمضاجعة نساء أبيه، الملك المنفى، علانية وحاربه حتى المعركة الأخيرة التى قتل فيها أبشالوم عندما اشتبكت جديلة شعره بفرع أحد الأشجار، وبذلك يحسم الصراع لصالح جيش داود.

شكلت نهاية هذه القصة إحدى الصور الحزينة في أدب العهد القديم، التى يبكى فيها الأب حزنا على موت ابنه المحبوب، وأنه لم يسعد مطلقا بالنصر الذى قمع فيه التمرد. وتحولت صرخة الحزن لداود، الأب الذى ثكل ابنه، قصة نجاح داود، الذى تحصل من كل مشكلة واجهته في حياته، إلى ذروة المأساة لهذه الرواية التاريخية، لبدأ الفصل الأخير من حياة داود العجوز، والذى اهمل شئون المملكة وانزوى بأفيشج هسونميت الفتاة التى تنقذه من الوحدة التى سيطرت عليه في سنواته الأخيرة.

### استير رواية سياسية حول إلغاء خطة الحل النهائى

تلعب الرواية السياسية القصيرة استير أكبر دور في ثقافة اليهود من بين الإبداعات العلمانية الموجودة في العهد القديم. وكما يوضح الأديب فقد خصصت هذه الرواية لإجباط الخطة الأولى من "الحل النهائى" لمشكلة اليهود، مشكلة خصوصيتهم والاختلاف بينهم وبين جميع الشعوب التى يعيشون بينها.

تصف القصة تشتت اليهود في كل بلدان الامبراطورية الفارسية المسيطرة على معظم العالم المعروف لأدباء العهد القديم. ومن بين زعمائهم مردخاى الوسيط الحارس على بوابة فناء قصر المملكة، يدخل إلى داخل القصر قرييته الشابة استير. واستير هى أول امرأة يهودية تخفى يهوديتها، وتتجح بذلك في الاشتراك في مسابقة المضاجعة العالمية التى ينظمها الملك الذى يختار ملكة جديدة تنضم إلى قصره وتفوز بها.

وعلى الرغم من أن الحديث يدور حول خطر الإبادة البدنية لجميع اليهود في العالم فلا يدخل الأديب الإله في حكاية انقاذهم. ويلقى مردخاى المسئولية كلها على استير التى اتخذت لنفسها منزلة رفيعة في القصر باخفائها يهوديتها. وبالرغم من حيرتها ومخاوفها فإن

تلك اليهودية الصغيرة حملت على عاتقها المهمة وأظهرت مهارة رائعة في إعدادها لفخ جنسى كمكيدة من مكائد فناء المملكة وهو أسلوب ظهر بعد مرور قرون كثيرة في الأدب الذى يصف المكائد التى تدبر فى فناء المملكة الفرنسية. وفى مشهد إغراء ألزم رئيس الوزراء الذى خطط لإبادة اليهود ليبدو وكأنه يحاول أن يتهج أو يغتصب الملكة، وتنجح استير فى إفشال هذا المخطط على فراشها. وفى نفس الوقت يخرج الملك ليرتاح فى الشرفة فيراهما وتنجح استير فى إحداث انهيار سياسى وإفشال خطة الحل النهائى وإعدام المخطط لها وكل أبنائه.

تنجح استير بدون الكشف عن هويتها اليهودية فى أن ترقى عمها إلى منصب رئيس الوزراء فى الإمبراطورية الفارسية، وهو ثانى يهودى يصير رئيس الوزراء لأعظم دولة فى العالم فى أدب العهد القديم.

يحاول الأديب مثل باقى مبدعى النثر فى العهد القديم أن يكسب قصته طابع الإبداع التاريخى فيخرج الحكاية من حدود فناء الملك ويصف احتفالات أنتصار الجماعات اليهودية فى خارج فلسطين على أنه قد رفع عنهم حكم الإبادة الجماعية الذى خطط له وأعلن فى فناء الملك. وتتحول الاحتفالات إلى مذابح انتقام يقوم بها اليهود ضد جيرانهم بما يشبه تمرد جماعات اليهود خارج فلسطين على الإمبراطورية الرومانية فى القرن الثانى.

وتنضم هذه القصة الدموية المروعة فجأة إلى القصص المحلية وتساعد على أن يؤدى الإبداع أدواره فى الحياة الثقافية لجماعات بنى إسرائيل فى العالم طيلة حوالى ألفى عام.

بدأ اليهود الذين عاشوا كأقليات مضطهدة وذليلة وطريفة فى كل البلدان المسيحية والإسلامية فى آسيا وأفريقيا وأوروبا، ينظرون إلى رواية "استير" على أنها القصة التى تحقق آمالهم الكامنة فى التسلل إلى الطبقة الحاكمة والانتقام الدموى من مضطهديهم.

وحيث إن القصة تتجاهل تماما إله إسرائيل فقد استخدمت "لفيفة استير" فى احتفالات الكرنفال والتنكر وعدم الالتزام بأى سلوك أخلاقى وعقلانى وتشمل فرائض الشراب حتى الثمالة " حتى أنه لا يفرق بين هامان الملعون ومردخاى المبارك"

ويتم الاحتفال بعيد البوريم<sup>(١)</sup> (عيد القرعة - الحظ والرهان) العلماني (بدون راحة وشعائر) لدى اليهود تخليداً لذكرى انتصار استير وتكرها الناجح، مثل عيد الكرنفال الموجود في كل ثقافة، في هذا اليوم من العام يتاح كل المحظورات، ويسير الناس بأقنعتهم وكأنهم قد غيروا هويتهم عن طريق القناع. وقد أضافوا في الثقافة اليهودية إلى عيد الكرنفال السنوي مبرراً تاريخياً يرتبط بذكرى قصة استير ومعجزة إنقاذ اليهود من كل محاولات الإبادة التي حاولوا فيها تدميره.

لعب الإبداع والعيد دوراً حاسماً في الثقافة والفن وفي فن المسرح لدى اليهود. وبداية من المسيرات الاحتفالية في الشوارع من قبل شباب المدارس الدينية في العصر الوسيط (انظروا شيفعار "تاريخ المسرح اليهودي") والذين تنافسوا في احتفالاتهم مع الطلبة المسيحيين وفي عروض المسرحيات تمجيدا للعيد (فوريمشفييل ومسرحيات عصر النهضة مثل "صفاء كوميديا الزواج" للكاتب دي سومي). وشكلت تلك المسرحية مرحلة مبكرة في تاريخ المسرحيات والمسرح اليهودي الشعبي بداية من عصر الهسكالاه والمسرح اليهودي الحديث المتطور في القرن العشرين في جزء كبير من الخارج وفلسطين.

يوجد بين إبداعات النثر العلماني في العهد القديم كما ذكر أنفا قصص كثيرة مثل قصة أستير وقصة تamar زوجة عير، وقصة روث وقصة تamar أخت أمنون وقصة حياة يوسف وقصة صراع إرميا في بلاط مملكة صدقيا هو، قصة نحميا وغيرها.

### نشيد الأناشيد - إبداع علماني نموذجي شوهه التفسير الباطني

يعد أعظم إبداعات الشعر العلماني في العهد القديم هو قصيدة الحب النموذجية بين رجل وامرأة. ولأنه إبداع علماني - لا يلعب فيه الإله دوراً ولا يذكر اسمه مطلقاً - فقد تغلف هذا الإبداع بتفسير باطني وصوفي حتى توارت قوته وتميزه الإبداعى الأصيل عن أعين الكثيرين.

(١) عيد البوريم: بالعبرية عيد البوريم من كلمة بور ومعناها قرعة. ويحتفل به في الرابع عشر من آذار "مارس" وهو اليوم الذي أنقذت فيه إستير يهود فارس من المؤامرة التي دبّرت لذبّحهم. ويحتفل اليهود بهذا العيد بأن يسرفوا في الشراب (ولذا سباه العرب عيد المساخّر أو عيد المسخرة). ويعتاد اليهود في هذا اليوم على لبس الأقنعة والملابس التنكرية على طريقة المهرجان. وهذا العيد لا يمت بصلّة إلى الشريعة.

يشير الاسم "نشيد الأناشيد" إلى إدراك محررى العهد القديم لعظمة هذا الإبداع الشعري العلماني في الأدب العالمى وأهميته. وعلينا أن نفترض أن محررى العهد القديم في بداية الألف الأول للميلاد عرفوا الآرامية واليونانية والعبرية وعلموا مثلنا تماما قيمة الإبداعات الأدبية. وربما لذلك صمموا على إدراج الإبداع العلماني "نشيد الأناشيد" في الأسفار المقدسة وذلك رغم الخلافات والمزاعم التى زعمها معارضوها. وأعربت المعارضة لإدراج نشيد الأناشيد في الأسفار المقدسة عن الإدراك لقدرته وفلسفته الحسيه وقوته الجنسية والجمالية وإسهاماته في فهم سمو الحب الجسدى في الانطباع الروحاني للبشر.

ينسب المحررون "نشيد الأناشيد" لسليمان، ذلك الملك الذى حظى في عصرهم بالمثالية بوصفه ملك عظيم، ناجح وثرى وحكيم، جمع بين نساء كثيرات بما فيهن ملكة سبأ التى اجتازت مسافات كبيرة لتكون معه.

إن نسب نشيد الأناشيد للملك سليمان يضيف إلى سائر خصاله الممتازة موهبة أنه شاعر علماني وهو ملك محبوب في عرف اليهود. ورغم أخطائه الدينية؛ فقد أقام شعائر دينية لألهة الشعوب المجاورة في الهياكل التى بناها لها في القدس

تتجلى عظمة سفر نشيد الأناشيد بوصفه شعر حب علماني من خلال من يعرفون العبرية، والذين يفهمون معظم كلماته وتعابيره بدون شرح، فيدركون الشعر بأحاسيسهم وليس فقط بعقلهم، لأن الإحساس بأن كل شعر عظيم يصل بمستوعبيه إلى الكمال بكل كلماته. فيشمل الإيقاع اللغوى، وتبادل منولوج الحزن بمنولوج البهجة، ثم الانتقال من ديالوج إلى أنشودة، ومن حديث الفرد إلى حديث الجماعة، ومن تنوع الصور والأساليب واستعارات أحداث في طبيعة فلسطين ومناظرها الطبيعية إلى مشاعر المحبين. ينضم كل هذا إلى الواقع الحسى الذى يبدع في هذه القصيدة والدراما التى تحل بها: حب الصبية للرعى وذكرى البهجة معه، حب الملك الذى يعرض عليها كل ما هو كامن في القصر، حتى أنها لم تصدق نفسها عندما سعدت مع النبيل إلى المراكب، ولكنها شعرت كأنها أسيرة وراء الباب المغلق، فبدأت تتجول وتبحث عما أحبته نفسها، على الرغم من رجال الشرطة الذين لاحقوها وضربوها لكن انتصر حبها.

وفي القصائد الختامية واللقاء مع محبوبها ومغازلاتها معه فهي تثير الحب والسعادة لدى كل رفيقاتها ليسعدوا بسعادتها وأن يتركوا للملك ذهبه وكنوزه.

كل قراء نشيد الأناشيد مترجما، مثل كل تراجم الشعر العظيم، يقرأون إبداعًا موجزًا قد تضاءلت قيمته الشعرية. لكن حظي أيضا في تراجم أخرى بتقدير العارفين بالأدب جيدا في العالم كله. كثيرون منهم (مرنان حتى بوجه وماكس برود) صاروا مدركين أنه شعر غنائي (عاطفي) ينطوي على دراما مسرحية، وتصيغ شخصيات وتواجهها بصدام قصصي وعاطفي.

لعب إبداع نشيد الأناشيد في ثقافة اليهود أدوارا كثيرة ومختلفة فيما بينها اختلافا قطبيا. فالذين يفهمون هذا الشعر على أنه إبداع شعري يفهمون الكلمات والتعبيرات فيها سطحيا بمعنى: المغزى المنسوب لتلك الكلمات بسبب تنوع مهامها في الاستخدام اليومي للغة التي كتبت فيها المصدر.

وهذا جوهر التفسير الظاهري: تفسير النص حرفيا من خلال التعامل مع الكلمات المكونة وفقا للمغزى (= الوظيفة كما يقول فيطجنشتين) نربط بينها حينما نستخدمها في مناسبات وحالات مختلفة بعيدا عن النص الذي نقوم بتفسيره تفسيراً سطحياً.

إن الذين يقرأون نشيد الأناشيد قراءة سطحية يقرأونه على أنه أنشودة قطرية للاحتفال بعيد الربيع والحب. وفي التقليد اليهودي الديني ربطوا نشيد الأناشيد بأسطورة عيد الفصح، فيقرأوه الأشكناز والسفارد المتدينون في ليلة عيد الفصح وكأنهم بذلك يدركون أنه ليس فقط عيداً تاريخياً بل إنه أيضا عيد قديم للربيع يعود إلى ما قبل الخروج من مصر.

بدأت القصيدة في فلسطين بداية من القرن العشرين تحتل مكانة كبيرة في الثقافة اليهودية العلمانية التي تطورت فيها بالعبرية. فقد لحنها كثيرون بألحان وتحولت إلى أشعار وطنية. ويعد نشيد الأناشيد مصدر إلهام لقصائد وأغانى جديدة مصحوبة برقصات شعبية جديدة، وقد خصصت إبداعات في فن الرسم لشخصيات قد تم تشكيلها في هذا الإبداع.

بدأت مؤخرا القصيدة تعود لتحتل مكانة في عيد الفصح العلماني. (صيغة درامية وفقا لصيغة الراهب الفرنسي فوزياه، والتي تحافظ على نظام العبارات والجمل الأصلية ولكنها تقسمها بشكل يمكن أن تمنح قارئها أصواتا كثيرة مثل المسرحية، التي نشرت في كتاب عام ١٩٦٥ ثم أعيد طبعها عام ١٩٩٥ في مجلة يهودوت حوفشيت باسم "الأجادا الإسرائيلية الجديدة")

يتسبب سفر نشيد الأناشيد في الانطباعات الموصوفة آنفا، ويستطيع أن يؤدي أدوارا متعددة في ثقافة الأغلبية المعاصرة وذلك عن طريق قراءته قراءة ظاهرية بمعنى: القراءة التي تنسب الكلمات والتعبيرات معنى معروفا للقارئ من خلال الخبرة المتراكمة، وهو بذلك يعرف الأدوار (= الدلالات) التي تقوم بها تلك الكلمات والتعبيرات في المناسبات المختلفة لحياتهم.

يتعرف القارئ بدون وساطة على تعبيرت في نشيد الأناشيد مثل: "ياجمالك محبوبتي، بالروعتك - عينك يامتان" و"ياجمالك حبيبي اللطيف في فراشنا الدفع" و"حبيبي بين البشر كالتفاح على أشجار الغابة" و"رغبت في حضنه وثمار حلوا المذاق" و"شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني" و"استحلفكم يا بنات القدس، بظبية وآيائل الحقل، إذا أشعلتم أن تثيروا حبا حتى ترغب"

وبفهمه الكلمات على بساطتها، يعد انطبعا أيضا لمعظم الدلالات العاطفية والممزوجة بالحسية المثيرة بذكرى وحنين المحبين، حيث إنه يتعرف على التعبيرات اللغوية التي يتكون منها أجزاء ذلك النشيد وارتباطها بالحوار العبري.

إن فهم كهذا لقطع الشعر بدون وساطة هو جوهر الانطباع العاطفي والقيم الجمالية الموضحة له. وتجاهل أسلوب الاستيعاب وفهم كهذا من خلال تفسير باطنى، والذي يضيف دلالات غريبة لمضمون القصيدة وروحها، يلغى ذلك الانطباع الحسى ويجول القصيدة إلى نص من الألغاز التي تجعل القارئ مشغولا بفك شفرته أو الانشغال بتفسير تقترحه تفاسير باطنية أخرى.

أميل إلى رأى الذين يقولون أن الرابى عقيبا، في القرن الثانى ميلاديا، قد اقترح هذا التفسير الباطنى لكى ينقذ نشيد الأناشيد من الاختزان الذى طالب به حاخامات متدينون

متشددون، وقد حدد في مكر أن نشيد الأناشيد هو قدس الأقداس وليس مقدسا فقط كسائر النصوص في العهد القديم. ولكي يبرر موقفه هذا احتاج إلى تفسير يبعد فهم النشيد عن مصدره، مثل التفسير الذي يحدد بأن النشيد هو تعبير عن علاقة حب بين الإله والكنيسة الكاثوليكية، أو بنو إسرائيل. أي تفسير يمكن أن يؤهل لضم النشيد إلى الكتابات المقدسة اليهودية والمسيحية، رغم أنه إبداع علماني وشعر غزلي.

يوجد بعد مماثل بين التفسير الظاهري والتفسير الباطني في تطرق المفسرين لكل إبداعات العهد القديم وممثل في توضيح التفسير الذي يتطرق إلى نشيد الأناشيد. حرص الرابي راشي، وهو من كبار مفسري العهد القديم في العصر الوسيط، في حالات كثيرة على عرض التفسيرين - التفسير الظاهري الذي يعبر عن فهم النص الأصلي بحرفيته، والتفسير الباطني، أو كما قالوا له "المثالي" والذي يعرض مضمون النص ومفهومه كمثال لفكرة أو لظاهرة تهم صاحب التفسير، إلا أنها لا توجد مطلقا في النص الأصلي. فالقطة التي تبدأ في نشيد الأناشيد بجملة "إنني سوداء وبالجمل بنات القدس" يقدم راشي التفسير الظاهري لها بقوله: "أنتن يا صديقاتي لو أني بسيطة في نظركن، إذا ما تركني رجلى بسبب سوادى، فإن سوادى بسبب سفوح الشمس، فإنني جميلة وتقاطع جسدى جميلة، لو أني سوداء مثل خيام الأعراب وقد اسودت بسبب الأمطار، والمنصوبة دائما في الصحراء فمن السهل أن اغتسل وأصير مثل الخيام الجميلة.

ولكن يقول راشي أن هناك من يقدمون هذه الفقرة على أنها "نموذج" يرمز للحب بين شعب إسرائيل والإله. وحيثذ فإن تفسيرها وفقا لكلام راشي: "أنا سوداء (تفسيرها شعب إسرائيل) في أفعالي جميلة وفي أفعال آبائي، يوجد من أفعالي ما هو جميل، إذا ما كان بي إثم العجل، لدى حق في تلقي التوراة. وينادى الأمم "يا بنات القدس" وذلك لأنها ستكون عاصمة للجميع في المستقبل.

عندما يفسر راشي تعبير "نهديك" فإنه يكتفي بالتفسير الباطني "نهديك المطعمين لك تعنى موسى وهارون"

وعندما تتطرق التفسيرات الباطنية إلى نهدي شولاميت على أنها "موسى وهارون" تتضح لنا السخرية والتعسف في التجربة، والتي تضيف تفسيراً متعمقاً بشأن حب الإله وبنى إسرائيل لأنشودة الحب هذه.

ويبدو التفسير الباطني خطيراً من الناحية الاجتماعية والسياسية وذلك عندما يقرأ مفسرون معاصرون معادون للصهيونية الفقرة " أقسمت عليكن يا بنات القدس ألا تشعلوا وألا تثيروا الحب حتى ترغب" على أنها تصريح إلهي ضد الصهيونية، والتي لم تنتظر المسيح المعجزة، بل استعجلت الأحداث، وتحقق من تلقاء نفسها، نبوءة الاسترجاع وتجديد دولة اليهود في الوطن القديم، كما صاغها الأنبياء، والمسحاء والفلاسفة مثل موسى بن ميمون وسبينوزا.

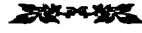
تكمن خطورة تفسير تعسفي كهذا في إرجاع كل فكرة سياسية لمفسر إلى نص مقدس في نظر يهود متدينين، وكأن هذه الأقوال قيلت في النص نفسه.

يزداد ذلك التفسير التعسفي قسوة عندما يقوم حاخامات مثل يوثيل ماستهر ومن على شاكلته باتهام الصهاينة وباقي العلمانيين بأنهم سبب النكبة النازية، وذلك بسبب الأثام التي ارتكبوها في حق الإله، وهذا بناء على التفسير السياسي الذي أَلصقوه بالفقرة الموجودة في أنشودة الحب هذه.

يمثل التناقض بين التفسير الظاهري لنشيد الأناشيد والتفسير الباطني له نموذجاً للفجوة بين الرؤيتين المؤثرتين للغاية على دراسة اليهودية والتي يلعب فيها العهد القديم دوراً رئيسياً.



## الفصل السادس



### التعارض بين التأويل الظاهري للأدب وبين المنهج الديني والتفسيري للعهد القديم

هناك تباين جوهري بين الرؤية الدينية التقليدية لدراسة العهد القديم، والتي تنظر إلى نص العهد القديم على أنه جزء لا يتجزأ من مجموعة النصوص التفسيرية للتوراة الشفاهية أو التفاسير الدينية التي جاءت على إثرها، وبين الرؤية التي تهدف إلى قراءة الإبداع الأصيل في العهد القديم على أنه نتاج مستقل ومنفصل عن التفاسير الدينية.

تعتبر هذه النظرية أدب التفسير وحدة قائمة بذاتها داخل ثقافة اليهود، وهذه الوحدة تحتوي على مئات الإبداعات المعاصرة، وعشرات الإبداعات التي ترجع إلى عصر التنوير والعصر الوسيط والعصر الهلينيستي البيزنطي، والذي تضمن أيضا تفسيرات باطنية لمؤلفي التوراة الشفهية، وهذا يعد واحداً من التيارات الكثيرة التي أنتج فيها إبداعات تنتسب إلى العهد القديم.

#### ضرورة تجريد نص العهد القديم من رداءه التفسيري

يعد تجريد العهد القديم من التأويل الباطني ضروريا من أجل تبنى تراث ثقافي قومي في اليهودية العلمانية. ويمكن أن يشكل أيضا سفر نشيد الأناشيد، وهو إحدى مرتكزات الموروث الثقافي المشترك للتيارات المختلفة الموجودة في اليهودية، وهو بذلك مثله مثل إبداعات نموذجية أدبية أخرى في العهد القديم.

توقف معظم الشباب اليهود في بلدان الخارج عن التعرف على العهد القديم، حيث غاب عن المقررات الدراسية في المدارس غير اليهودية، والتي يدرس فيها معظم الصبية اليهود في تلك البلدان. ولا يدرك معظم الشباب اليهود العلمانيين المتمين

للتيارات اليهودية المختلفة في بلاد الخارج أن العهد القديم هو جوهر اليهودية والمصادر الأخرى. والتي انفصلت تدريجياً عن الموروث الثقافي المشترك للتيارات اليهودية لليهود.

يعد تعديل هذا العيب مرتبطاً بتجديد التعارف مع الإبداعات الأدبية التي يجويها العهد القديم، وإلقاء الضوء عليها بوصفها إبداعات أدبية تؤدي إلى انطباع حسي وعقلاني لكل قارئ مدرك والتي من شأنها أن تكشف لهؤلاء اليهود جوهر ثقافتهم القومية، حيث يتراجع اليهود الشباب غير المتدينين عن اليهودية عندما تعرض عليهم على إنها ديانة فقط. ويتراجعون بنفس الأسلوب عن إبداعات العهد القديم عندما تعرض عليهم ببعض من التفسيرات المصحوبة بالتفسيرات الدينية.

ونجد في أدب التفسيرات بالطبع إبداعات ذات قيمة ذاتية، مثل كثير من الشروح التفسيرية الأسطورية التي جمعها بيالك ورفينوتسكى ومن على شاكلتهم وذلك في آداب أحدث عهداً.

ينضم أدب الأجادا والتفسيرات الدينية للعهد القديم لباقي الإبداعات التي ألفت خلال ألفى عام بوحى من العهد القديم. وقد استخدمت فيما بعد كنصوص تفسيرية لأدبه. وتشكل كل تلك الإبداعات وحدة منفصلة عن أدب العهد القديم. حيث تختلف الإبداعات الأدبية التي في مجموعة الإبداعات المنتسبة للعهد القديم في جوهرها عن إبداعات العهد القديم من عدة نواح؛ سواء من ناحية العصر التي ألفت به أو من ناحية الرؤية الدينية أو العلمانية لمؤلفيها أو من ناحية الأهداف والوظائف التي تؤثر في ثقافة اليهود وثقافة العالم.

على ذلك لا ينبغي أن نلحق أحد تلك الإبداعات لنص العهد القديم كما هو متبع في طبقات العهد القديم الدينية التي فيها مجموعة سطور معدودة لنص العهد القديم ومحاطة بعشرات السطور للنصوص التي تنسب لهذا الإبداع.

وبيننا منحت إبداعات العهد القديم تعبيراً أدبياً عن الحياة ونظرة الأفراد الذين عاشوا في عصر العهد القديم، فإن الإبداعات المنسوبة للعهد القديم تعكس العصر التي ألفت فيه، مثل إزدواجية العالم في الوعي الديني اليهودي والمسيحي في العصر الهلينستي،

عندئذ بدأت معرفة الحياة التي أعقبت الموت، وتحولت هذه المعرفة إلى أساس الرؤية الدينية المعارضة تماما للرؤية الدينية لمعظم أدباء العهد القديم والأنبياء.

أرادت كثير من الإبداعات التفسيرية إرساء رؤى وفرائض جديدة على فقرات العهد القديم لكي تمنحها فاعلية وقدسية وكان مصدرها أقوال موسى والأنبياء. ولقد كانت الشريعة التي تطورت في شكل تورا شفاهية نتاج حركة الحاخامات الإصلاحية التي غيرت شريعة العهد القديم؛ حيث أضافت عليها وأبدعت شريعة جديدة والتي جاءت بتفسيرات متعمقة لارتكازها على فقرات أو أجزاء من فقرات من العهد القديم.

تختلف أهداف تلك الإبداعات التفسيرية ووظائفها بالطبع في جوهرها عن الوظائف التي لعبتها إبداعات العهد القديم المختلفة وأهدافها. إلا أنها لا تمثل إشكالية واحدة، ولا ينبغي النظر إليها بوصفها إبداعا أيديولوجيا دينيا واحدا كما حاولت تفسيرها تفسيرات متعمقة.

## فصل الإبداعات التي ألقت بوحى من العهد القديم عن الأدب الأصيل

الذى يرغب في معرفة الإبداعات الأدبية المنسوبة للعهد القديم أو التي ألقت بوحى منه فإنه سيحتاج إلى مقتطفات من إبداعاته المعاصرة أو التي ترجع للماضى من بين مجموعة من آلاف إبداعات الأدب الثرى والفنون والبحث والتفسير والفكر الدينى والتي ألقت في عصرنا أو في كل العصور الماضية.

ويتشكل من هذه المجموعة التي تضم إبداعات ذات مستويات مختلفة مثل: "موسى" لشالوم إيش و"موتى الصحراء" لبيالك و"وصف صراع" لكافكا و"تامار زوجة غير" ليعقوبسكون و"شاؤل" لتشيرنخوفسكى و"ضربات مصر" لألترمان و"فن النثر في العهد القديم" و"فن الشعر في العهد القديم" لروبرت ألتر و"كتاب الإله" ويوسيفوفيتشى و"إكمال الناقص - أيوب" ليحزقيال هوفمان و"فن التنظيم - القضاة" لى أميت و"الشعر في العهد القديم" ل.أ. دوهريم و"تفاسير أو ميرتو كاسوطو، و"نمرود" لدينتسيجر و"تراجم هداسا - الأسباط لشاجال، وأوبرا" موسى وهارون" لشينبرج وغيرها الكثير.

وتضم المجموعة التي تتألف منها الإبداعات المختارة التي تنتمي للعهد القديم بالطبع أيضا إبداعات من عصر التنوير والعصر الوسيط والعصر الهلينيستي البيزنطي. وستضم بالطبع إبداعات من التيارات المختلفة التي أثمرت في الثقافة اليهودية في كل عصر. فعلى سبيل المثال سيضم من العصر الهلينيستي البيزنطي إبداعات التفاسير الباطنية لمبدعي التوراة الشفهية وأدب المدراسيم بالإضافة إلى الإبداعات التي تمثل تيار اليهودية اليونانية والذي يحوى داخله إبداعات فيلون السكندري ويوسيفوس فلافيوس ومجزئال هدرمطورج، ومبدعي عشرات النقوش في معبد دورا إيروفورس، ومبدعي شخصيات العهد القديم المرسومة بالفسيفساء في معابد غزة وطبرية وصفورى وبيت ألفا، والأسفار الخارجية، والعهد الجديد ولقائف البحر الميت وغير ذلك.

اقترح كل هؤلاء المبدعين صيغ تفسير خاصة بهم لإبداعات عهد قديم. وأضيفت على كل ذلك إبداعات باحثين - مؤرخين وأثرين ولغويين - بحثوا في المصادر التي أشتق منها أدب العهد القديم والعلاقة بينه وبين الآداب القديمة الأخرى.

ومن المجموعة المختارة التي تعرض من بين آلاف الإبداعات التي تنتسب لأدب العهد القديم والتي تفسره في الحاضر والماضي يمكن أن نلم بأراء متنوعة حول نص العهد القديم من منطلق المتعة والتجربة الناتجة عن الإبداعات المختارة ذاتها

لن ينضم أى عمل من تلك الإبداعات إلى نص العهد القديم الأصلي ولن يطمسه. وسيتم دراسة إبداعات العهد القديم كما هي معروضة " مجردة" كما يقول بوبر كما سهاها أو قرأها الشعب في عصر العهد القديم ومترجميه.

### التفسير الظاهري قاسم مشترك لتفاسير فردية

يتجلى الإبداع مجردا للقارئ الذى يفهم لغته، حيث إنه يدرك الاستخدامات المختلفة للكلمات التي تتشكل منها، وهو على هذا يدرك المكتوب بسلاسة. ويكشف لنا أسلوب هذه القراءة كل إبداع ونص أدبى في العالم بها في ذلك الإبداع في العهد القديم، وتختلف بالطبع كل قراءة فردية عن الأخرى ولكن يوجد قاسم مشترك بين القراءات الفردية لمدركى اللغة التي بها كتب النص. ولا نطلق على هذا القاسم المشترك "التفسير

الظاهري" فالقراءة المفسرة للنص بمساعدة المعرفة المشتركة لمتحدثي هذه اللغة،الذين ينجحون في العيش والتعامل بها، حيث إنهم يعرفون المغزى الحرفي للكلمات بمعنى: وظيفة تلك الكلمات والدور الذي تؤديه أو يمكن أن تؤديه كلما أوضح فيتجنشطين في "أبحاث فلسفية". ولكي لا تنشأ لغة خاصة فيوجد للكلمات والتعبيرات الحرفية دلالة معروفة للجمهور الذي يتحدث باللغة التي كتب بها الإبداع. ويعد التفسير الظاهري تعبيرا عن فهم الكلمات والتعبيرات التي في الإبداع المفسر على أساس معرفتنا بدلالاتها العلانية.

عندما يحل التفسير الباطني أي "السر والرمز" محل التفسير الظاهري يختفى الشرط الحيوي لتكوين الانطباع الأدبي عن الإبداع الأصلي حيث إن دلالة الكلمات تختلف حسب المفسر، ولا تكفي بأن تكون علانية. فتأخذ الكلمات دلالة في اللغة الخاصة التي يحاول المفسر إضافتها على الكلمات (مثل الشديين يعنى : موسى وهارون)، ويختفى الإبداع الأصيل في طيات الإبداع الآخر ذي الدلالات القسرية التي اختلقها المفسر الباطني.

وفي هذا الإطار فلا تباين بين التفسير الديني الباطني والتفسير العلماني الباطني والمعاصر والذي يعتبر النص فقط مجموعة رموز يرمز بها المفسر، ويطرحها دون أي اعتبارات للدلالة اللغوية العلنية التي يتألف منها الإبداع. فكلاهما يقرآن فيه ما ليس به وطالما أنه لا يوجد فلا نهاية له ولا حدود للتفسيرات الباطنية.

يقترح قراء سفر نشيد الأناشيد الأصلي بالأسلوب الظاهري صيغ قراءة مختلفة لنص العهد القديم، كالنظر إلى هذه القصيدة على أنها دراما يمكن أن تؤولف أناشيد كثيرة تدور حول حكاية محورية يتعارض فيها عشق الملك مع عشق الراعي في قلب صبية التي هي بطللة المسرحية. وتعتمد صيغ تلك القراءات الفردية على أساس التفسير الظاهري وعلى فهم الكلمات والتعبيرات اللغوية للشعر كما تتحقق في اللغة التي كتبت بها. وفي هذا الجانب، يوجد في هذه القراءة صلة مباشرة بالواقع اللغوي والإنساني المستخدم فيها. وقال برجستون عن أحد قراء نشيد الأناشيد بوصفها مسرحية - وهو الراهب بوذا: "إنه كان رجلا رائعا، ولم يترك فكرة ما تقف بينه وبين الواقع على الاطلاق.

## كتب التفسير الظاهري القديمة، الترجمة السبعينية

كان التفسير الظاهري الأسلوب الرئيسي لقراءة أدب العهد القديم في العصر الهلينستي، وهو ما توضحه التراجم الأولى لإبداعات هذا الأدب. قبل اتمام العهد القديم بسنوات كثيرة بدأت الطوائف التي تتحدث اليونانية والآرامية في ترجمة الإبداعات التي تم تقديمها في التقاليد والتي سوف تلحق في أنتولوجيا العهد القديم. ويمكن أن تكون كل ترجمة نصا تفسيريا باطنيا يمثل الأصل وذلك من خلال تعبيرات ذات دلالة بعيدة عن الدلالة الأصلية. ولكن معظم التراجم التي بدأوا في إبداعها منذ بداية العصر الهلينستي - البيزنطي اتبعت الأسلوب الظاهري فوجدوا تعبيرات لغوية مشابهة في دلالتها للأصل.

ينظر إلى أسفار كثيرة ضمت بعد ذلك إلى العهد القديم العبري على أنها أسفار مقدسة تقليدية منذ النصف الأول قبل الميلاد. ولعبت الترجمة السبعينية من العبرية لليونانية والتي بدأت في القرن الثالث قبل الميلاد، دورا جوهريا في ثقافة اليهود وثقافة الشعوب بتقديمها إبداعات العهد القديم بصيغة قريبة من الأصل وبالأسلوب الذي أتاح لمتحدثي اليونانية في الشرق الأني القديم وجنوب أوروبا الاطلاع على الإبداعات النموذجية في الأدب العبري وعلى مبادئ التوراة وعقيدة التوحيد عند موسى والأنبياء، وعلى التراث التاريخي لليهود الذي تم إرساؤه في تلك الإبداعات بوصفها أساس الوعي القومي لليهود.

نمت قراءة التوراة في المعابد بلغة مفهومة للمستمعين الوعي القومي اليهودي حيث إنه ممتزج بالدين. وانتشر أدب العهد القديم بين الطوائف اليهودية الكبرى التي تتحدث اليونانية في مصر وليبيا وفي مدن هيلينستية عديدة في فلسطين وفي دول أخرى في آسيا وجنوب أوروبا وذلك من خلال التراجم، فالتراجم كانت قاسما مشتركا لجميع الطوائف اليهودية وتياراتها في العصر الهلينستي.

ولعبت التراجم إلى الآرامية دورا مماثلا لدى الطوائف اليهودية في فلسطين والبلدان الشرقية والتي كانت لغة الحديث والإبداع فيها هي الآرامية. وكان من الممكن

أن ينشر الوعي بالموروث التاريخي والثقافي المشترك بين طوائف اليهود بفضل أسلوب التفسير الظاهري. ولعبت المعابد التي انتشرت في زمن الهيكل الثاني وبخاصة بعد تدميره دورا جوهريا في نظام تعليم الكبار والصغار والذي بدأ يتطور بين طوائف اليهود. وكانت القراءة في أسفار العهد القديم بمثابة حجر الزاوية وجوهر المادة الدراسية في نظام التعليم اليهودي في اليهودية الدينية في تلك الأيام، مثلما في اليهودية العلمانية في هذا العصر.

ولقد تليت في أيام السبت والأعياد، والتي تحولت بالتدريج من أعياد مرتبطة بالطبيعة إلى أعياد تاريخية، فصول من أسفار العهد القديم وذلك من خلال تنشيط موسمى لإدراك الأدب والموروث التاريخي الذي آمن اليهود وغير اليهود بأنه يتمثل بصدق في العهد القديم.

إن القراءة بأسلوب ظاهري والتي تم التعبير عنها في معظم فقرات التراجم لليونانية والآرامية كانت ضرورية للحفاظ على التراث التاريخي والثقافي المشترك لليهود ذوى الرؤى المختلفة وتطويره، ومن هؤلاء: الفريسيون والصدقيون والأسانيون والقورانيون والمتهلنون والريانيون والقراؤون والسامريون والمسيحيون اليهود.

ويوضح الباحثون أن معظم الصيغ المترجمة قد كتبت بتعبيرات لغوية مفهومة للقراء ومن خلال الدلالة الشائعة للتعبيرات في لغة الترجمة، بسبب الوظائف التي تؤديها في اليونانية والآرامية والتي لاعلاقة لها بأدب العهد القديم.

وعلى ذلك يستطيع القارئ في النص المترجم أن يوجه فكره نحو الواقع الذي ينعكس في الإبداع الأدبي الأصلي الموجود في العهد القديم العبري. وهناك استثناءات عن هذه القاعدة تدل على القاعدة مثل: المطلب الإنساني في نص العهد القديم عدم طهى الجدى الرضيع والمترجمة في ترجمة أنكلوس على أنها تحريم أكل اللحم مع اللبن. ونتجت هذه الترجمة الغريبة عن فهم أنكلوس للفريضة التي تم استحداثها من قبل الإصلاحين، وذلك بعد اتمام العهد القديم، والتي وفقا لها محظور أكل اللحم واللبن في آن واحد. حيث يفهم أنكلوس الفقرة خلال ربطها بالفريضة التي ظهرت متأخرا، فهو يفسر

الأصل بأسلوب متعمق، وكان أديب العهد القديم قصد الفرائض الجديدة المرتبطة بالكاشير<sup>(١)</sup>. وتفسير باطنى من هذا النوع يشوه الأصل ومقصده، ويدل على التباين الموجود بين التفسير الظاهرى والتفسير الباطنى.

يتضح فى نظر القارئ الذى يعرف أدب العهد القديم، أن ترجمة هذه الفقرات التى قام بها أنكلوس لا أساس لها، لأنه يعلم أن أكل اللحم واللبن غير محرم فى العهد القديم، ولذلك استطاع أبو الأمة الإسرائيلية أن يطهى وجبة لحم ولبن ويقدمها للإله عندما استضاف مبعوثيه فى منزله.

منذ التراجم السبعينية إلى اليونانية فى العصر الهلينستى وحتى تراجم أسفار العهد القديم التى قام بها إدوارد دوهرم للفرنسية وروبرت ألتر للإنجليزية فى القرن العشرين واللذان استخدموا أيضاً أسلوب قراءة نص العهد القديم كما هو مفهوم للعالمين باللغة العبرية ومتحدثيها. واستمر تقليد التفسير الظاهرى الذى تجدد فى نظام التعليم اليهودى العلمانى فى فلسطين فى النصف الأول من القرن العشرين، وذلك فى أعقاب التقليد الذى بدأ يتبلور فى فترة التنوير ووفقاً لمبدأ قراءة إبداع العهد القديم كإبداع مجرد من التفاسير الباطنية.

## إحياء اللغة العبرية كلغة للحديث

منح تجدد اللغة العبرية كلغة للحديث والإبداع فى أوروبا فى نهاية القرن التاسع عشر فى فلسطين، وخلال القرن العشرين روحاً جديدة لنص العهد القديم الأصيل فى وعى دارسى الثقافة العبرية، فيستمتع الأولاد الذين لغتهم الأصلية هى العبرية بالفرصة النادرة لقراءة إبداعات ترجع إلى ألفين حتى ثلاثة آلاف عام باللغة الأصلية التى كتبت بها وباللغة القرية للغة الحديث اليومى لهم. ويفهم من يعرفون العبرية، ويستخدمونها كلغة حديث واتصال وإبداع، معظم التعبيرات اللغوية التى تتألف منها إبداعات العهد

(١) «كاشير» كلمة عبرية تعني حرفياً «مناسب» أو «صالح»، وتعني «الطعام المباح شرعاً» حسب الشريعة اليهودية.



القديم. وعلى ذلك ينتشر التفسير الظاهري بين قراء العبرية المتحررين من أى التزام لربط كل نص عهد قديم بتفاسيره التقليدية الشائعة في اليهودية الدينية الأرثوذكسية.

إن قراءة العهد القديم بأسلوب ظاهري يعود يعقوب للصراع مع الإله في فنيثيل "وجها لوجه" كما يقول بلغة مفهومة للجميع. فالملاك الذى ابتدعه المفسرون، يختفى مرة أخرى عن قصة العهد القديم التى لم يكن فى الأصل موجود بها مطلقاً.



## الفصل السابع



### مزايا النظرة إلى العهد القديم باعتباره أدبا ومخاطر الاكتفاء بالمنهج النقدي للعهد القديم

عادت في النصف الثاني من القرن العشرين مجددا النظرة لإبداعات العهد القديم على أنها إبداعات أدبية يمكن قراءتها كإبداعات خالصة وتفسيرها بأسلوب ظاهري بعيد عن التفاسير المباطنية الدينية، وذلك من منطلق مقارنتها بإبداعات أخرى في الأدب اليهودي وفي كل آداب العالم في كل العصور.

ينظر الأدباء الذين يقرأون العهد القديم على أنه أدب إلى مجموعة الإبداعات التي أنتولوجيا العهد القديم على أنها ستعرض أدب اليهود في الألف الأول قبل الميلاد وتتعارض هذه النظرة للعهد القديم مع النظرة إليه على أنه إبداع واحد متكامل ذو رسالة دينية واحدة. كما يتعارض أسلوب القراءة في العهد القديم بوصفه أدب مع النظرة التي من خلالها يقرأ كل إبداع عهد قديم على أنه فقط مجموعة مصادر مختلفة ينبغي بحث كل واحد منها على حده. وبالأسلوب الذي يفصل الإبداع عن مكوناته المفترضة وبلغى إمكانية القراءة فيه بوصفه إبداعا أدبيا.

إن قراءة إبداعات العهد القديم بوصفها إبداعات أدبية خالصة معروف بالطبع بالنسبة للتخمينات المتعلقة بالمصادر المختلفة التي ألحقت بالإبداع الخالص. ويمكن التخمين بأن "مؤلف الإبداع الأدبي العهد القديم" هو اسم لمجموعة من مؤلفي نصوص كثيرة ومحريين قد ألحقوها في وحدة واحدة. وعلى ذلك يمكن بالطبع محاولة فصل سفر "أيوب" أو "نشيد الأناشيد" في وحدات التي وفق افتراض الباحث كانت توجد منفصلة وذلك قبل أن يتم ضمها لتلك الإبداعات الأدبية. ولكن يمكننا قراءة الإبداع كوحدة أدبية امتزجت فيها المصادر المفترضة والتي تؤدي إلى انطباع حسي وفكري وعاطفي متكامل رغم معرفتنا أنه تم تأليفه من وحدات قديمة وكثيرة.

إن القراءة المتجددة في العهد القديم على أنه أنتولوجيا للإبداعات الأدبية التي تعرض معظم الأصناف في الأدب العالمي الغربي تسهم في تجديد الصلة بإبداعات العهد القديم. ويكشف العلمانيون الذين لا يعتبرون العهد القديم إبداعاً من الإله ولا يتعاملون معه على أنه نص ديني أو مقدس، مجدداً الإبداع الأدبي المؤثر والمتعمق والمثير للفكر والارتباط بالأبطال المشكلين فيه.

تختلف هذه القراءة في العهد القديم جوهرياً عن القراءة المتعمقة التي في التقليد الديني، كما أنها تختلف أساساً عن تحليل إبداع العهد القديم إلى مصادر بهدف البحث التاريخي واللغوي.

يتجاهل العلمانيون الذين يقرأون العهد القديم على أنه أدب أبحاث نقد العهد القديم والنظريات المقترحة فيما يتعلق بمصادر النص الخاصة بالعهد القديم. ولكن يستطيعوا قراءة إبداعات العهد القديم على أنها إبداعات أدبية خالصة يجب عليهم إرجاء عدم الثقة في أن تلك الإبداعات هي إبداعات أدبية خالصة.

لقد وضع كولريديج أن مبدأ "إرجاء عدم الثقة" هو شرط للاستمتاع وتكوين انطباع عن كل الإبداعات الخيالية الأدبية بأنواعها. ونذكر بالطبع في وقت قراءة أي إبداع أدبي أنه إبداع خيالي وليس تقريراً لوقائع حدثت في الواقع. وعند قراءة الأدب الخيالي فإننا نرجى عدم الثقة تجاه الحقائق التاريخية للأحداث الموصوفة في الإبداع. ويرتبط التأثير الأدبي والانطباع بالاستناد إلى الحكاية والأحداث المكونة لها وكأنها تعكس أحداثاً في الواقع. وبفضل "إرجاء عدم الثقة" في حقيقة ما ورد في الإبداع الخيالي يمكن أن يصير قراء الروايات أو مشاهدي الأفلام مهئين ليكونوا متوترين أو خائفين، حزناء أو سعداء وفقاً لما يدور في الحكاية وذلك من خلال التعاطف مع أبطالهم وكأنهم أناس أحياء وليسوا أبطالاً من صنع كلمات أو أدوار يؤديها الممثلون.

يتعلق الشيء نفسه بالإبداعات الأدبية الخيالية الموجودة في العهد القديم. حيث إننا نرجى عدم الثقة في أنها إبداعات خالصة تتجاهل بشكل مؤقت الافتراضات ونتائج الأبحاث حول نقد العهد القديم فيما يتعلق بالمصدر "اليهوى"، و"الإلهيمي"

"والكهنوتى" و"الثنوى". وذلك وفقا لافتراض أدباء سفر "أخبار الأيام" ونتجاهل بشكل مؤقت المفارقات التاريخية في وصف الإبداع.

يعد إرجاء عدم الثقة في كمال الإبداع وفي كونه تقريرا لأحداث وقعت وفقا لما هي موصوفه فيه يتيح تجاوبا شعوريا واستجابة أخلاقية وفكرية تجاه الإبداع وأفعال أبطاله: مثل اتفاقنا مع إبراهيم بأن قاضى الأرض لم يقم محاكمة عند فرض عقوبة جماعية. أو تأثرنا واتهامنا إبراهيم الذى قدم ابنه للمذبح مقربا السكين من رقبتة ليقدمه قربانا لإلهه.

### إسهام مدرسة "العهد القديم بوصفه أدبا" التى تطورت فى القرن العشرين

أسهم أدباء كثيرون في استحداث القراءة في إبداعات العهد القديم على اعتبار أنها إبداعات أدبية خالصة. وسلطت إبداعاتهم الضوء على عناصر الانطباع الحسى - العاطفى والجمالى - حيث إننا نشعر به عند الالتقاء مع شكل إبداع العهد القديم ومضمونه.

في إبداعات أدبية كثيرة، في العهد القديم المسمى بالإبداعات الخالصة تتجلى قدرة تأمل الإبداعات النموذجية الأدبية في التجربة الإنسانية. حيث يواجه القارئ مشاكل أخلاقية، كالتى يواجهها كل الشر. وبسبب قراءتها على أنها وحدات أدبية خالصة فنكشف قدرتها في صياغة شخصيات بطولية أدبية إلهية وإنسانية موجودة في الإبداعات وتعيش في وعينا على أنها أبطال تاريخية حية.

فبعد كتاب "ميمزيس" لأورباخ ظهر روبرت ألتر ليمهد الطرق لرؤية العهد القديم باعتباره أدبا (حتى لو أنه هو نفسه تحلى عن تعبير "العهد القديم أدب" ففى رأيه هذه المقولة هي مفهومة من تلقاء ذاتها ولا معنى لقولها). وفي كتب روبرت ألتر عن فن الشر وفن الشعر في العهد القديم، وفي مقالاته الكثيرة والمخصصة لأنواع مختلفة في هذا المجال. وفي ترجمة سفر التكوين للإنجليزية (مع شرحه وتفسيره)، وإعداده بالاشتراك مع فرانك كرمود كتاب "دليل العهد القديم الأدبى"، يشكل روبرت ألتر الناقد الأدبى الأكثر تأثيرا في هذه الحركة الشاملة لمجددى القراءة في العهد القديم على أنه مجموعة إبداعات أدبية.

ومن بين الكتب الكثيرة المؤثرة في أسلوب القراءة في عصرنا الكتب التالية: "كتاب الإله" لجبرائيل يوسيفوفيتش، "فهم التكوين" و"قصائد المزامير" لناحوم سارنا، "العهد القديم بوصفه أدبا" لصموئيل ديتشس، "الجامعة" لروبرت جورديس، "السردي والشعر في سفر صموئيل" ج. فأفوكلمان، "كتاب جي" هرولد بلوم، "الشعر الديني في العهد القديم" إدورد دوهرم، "يوسف وإخوته" توماس مان، "سبيل العهد القديم" مارتن بوبر، "الكمال الناقص" ياتير هوفمان، "سفر القضاء وفن التنظيم في العهد القديم" ياتيرا أميت، "القصص في العهد القديم" فرانك فولق، "داود" ياتير زكويتش، "فن القصص في العهد القديم" شلومو دوف جويتين، "فن السردي في العهد القديم" مثير شطينبرج .. إلخ .

ويتأثر تجديد القراءة في العهد القديم بكتب الفكر والنقد. والنظرة لإبداعات العهد القديم على أنها إبداع أدبي موجودة في مئات الإبداعات التي ألقت بوحى من إبداعات العهد القديم؛ في الشعر والموسيقى وفن الرسم والنحت والسينما والمسرح.

لا تقلل الصيغة الدينية للإبداعات الأدبية في العهد القديم والتي في إطارها يلعب الإله والعقيدة دورا حاسما، من القوة الشعرية للإبداع في الحياة الروحية للعلمانيين. وتؤثر الإبداعات الدينية في كل الأزمنة والأديان مثل الإبداعات الفنية والأدبية في حياة ذوى الثقافة العلمانية من اليهود مثل كل الشعوب. ولقد تحولت الإبداعات الأدبية في العهد القديم مجددا لتكون أحد موضوعات الدراسة في نظم التعليم اليهودي العلماني وذلك باندماجها في دراسة ثقافة اليهود والشعوب التي يعيش بينها. ونعمت دراسات كتلك وعى اليهود العلمانيين بجوهر ثقافتهم القومية وترسخه.

### خطورة ربط التفسير الرمزي بالإبداع الأدبي للعهد القديم

إن اقتراح أساليب قراءة إبداعات العهد القديم على أنها إبداعات أدبية تترك انطبعا قد أنقذها من الإهمال والضياع في ظل تحبظات التفاسير الدينية التي ارتبطت بها وطمستها، ومن التفسير الرمزي ذي النزعة العلمية والذي يوجه إلى تأويل النص الأصلي.

تعرض التفسير الرمزية بأنواعها كل نص على أنه فناء مستتر بالنص وكامن ومخفى فى الإبداع ولكنه ينكشف ويتجلى وفسر على يد المحلل الذى يخلصه من خباياه. فنص الإبداع يحمل تشكيلة من مجموعة رموز تكمن دلالتها فى إشارات مستترة عن عين القارئ ولا تنكشف إلا عن طريق المحلل الذى يعرف الأهداف السياسية والأيدولوجية أو السيكولوجية الكامنة فى النص.

يستمر التفسير الرمزي بأنواعه فى أسلوب التفسير الدينى التقليدى، بتحويله للإبداع بتضعيفه وتحويله عن الأصل المتعسر على الوعى ولا يستطيع بشكله الجديد إثارة انطباع حسى وعاطفى أو تطوير علاقة مع الأبطال والمبدعين.

توجه التفسيرات الدينى والعلمية الرأى إلى مجموعة الرموز المفترضة من قبل المفسرين وتهمل الإبداع الذى يبدو لهم مجموعة رموز فقط. إن عمل مث هذا العمل يجيد القدرة الفاعلة العاطفية للإبداع ويلغى مكانته كقوة مؤثرة فى الحياة العاطفية والحسية والثقافية لقراءها.

لقد سيطرت هذه الرؤية على غالبية أقسام دراسة الأدب والفن فى جامعات العالم، فى سبعينيات القرن المنصرم، فأبعدت معظم الطلبة عن دراسات الأدب، وقد اختفت، فى أقسام الأدب بالجامعات تحت تلال التفسير والتحليلات الرمزية بأنواعها، مثلما حدث لنص العهد القديم الذى طمس تحت تلال التفسير الدينى.

ولتصحيح هذا التشويه يجب فصل قراءة إبداعات الأدب عن القراءة والدراسة فى الأبحاث والتفسيرات التى تستخدم فى نصوص إبداعات الأدب كمادة خام لإبداعات تفسيرية أخرى.

توجد بالطبع بين الإبداعات التفسيرية - الدينى والعلمية على حد سواء - إبداعات مهمة من الناحية العقلانية أو الفرضيات الثابتة حول الدوافع السياسية والسيكولوجية المتاحة لمؤلفى الإبداع. ولكن أيضا غير أنه عندما تكون إبداعات مثل هذه الإبداعات جديرة بالدراسة فلا ينبغى ربطها بأى نص أدبى.

## دور العهد القديم في ثقافة اليهود في عصرنا وفي الماضي

أدت إبداعات العهد القديم دور الإبداعات الأدبية الكلاسيكية في ثقافة اليهود في كل العصور والبلدان.

إن الإبداعات الكلاسيكية في ثقافة قومية ما هي إبداعات تدركها النخبة المثقفة والحاكمة في مجتمع قومي وتعمل على نشرها بوصفها مكونة للتراث التاريخي والثقافي للشعب.

يستمر الأدب الكلاسيكي في العيش ولعب دورا طالما يتعرض أفراد الشعب لإبداعاته. وتتسبب إبداعاته العاطفية في انطباعات عاطفية وتسهم في معرفة الموروث التاريخي والثقافي المشترك. وتوجد مستويات مختلفة لهذه المعرفة لدى طبقات الشعب المختلفة، في العصور المختلفة من تاريخ ثقافته.

بدأت الإبداعات الأدبية في العهد القديم تؤدي تلك الأدوار بالفعل في النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد، قبل اتمام العهد القديم. لقد جمعت الإبداعات الأدبية التي انتشرت في ثقافة اليهود ولعبت دور الأدب الكلاسيكي القومي على يد محرري أنتولوجيا العهد القديم عندما اكمل العهد القديم على أنها مجموعة من الأسفار المقدسة لليهود في بداية الألف الأول الميلادي.

لعبت تلك الإبداعات وظائف جوهرية في ثقافة الطوائف اليهودية في الخارج وفلسطين وذلك في إطار نشاط المعبد الذي التفت حوله الطوائف اليهودية ثقافيا. ففي المعابد التي كانت بمثابة مراكز تعليمية وثقافية وطاقفية في أيام السبت والأعياد تمت قراءة إبداعات العهد القديم على مسامع الجمهور من المصدر العبري والترجمات للغات التي انتشرت بين اليهود واستخدمت في الحديث.

كانت قراءة العهد القديم مصحوبة بالتفسير التي من خلالها استمر تطور أدب البلاغة لليهود والذي تكمن مصادره في خطب الأنبياء. ولقد تطور في العصر الهلينستي

في فلسطين وبابل أدب تفسير الهلاخا<sup>(١)</sup> والأجادا<sup>(٢)</sup>، وذلك بجانب إبداعات أدب التفاسير لمفكرين يهود متهلين مارسوا عملهم في بلدان واقعة غرب فلسطين مثل فيلون، يوسيفوس، يمزقيال همحزاي وآخرون وذلك على أساس مجموعة التفاسير تلك.

لقد رسخت عادة قراءة إبداعات العهد القديم على مسامع الجمهور أسبوعياً والدراسة في إطار التعليم اليهودي، مكانة أدب العهد القديم بوصفه أدبا كلاسيكياً لليهود.

(١) «هالاخا» كلمة عبرية تعني «التشريع» أو «الشرعة». وعادة ما يتم الحديث عن «هالاخا» مقابل «أجادا» (القصص والمواعظ). ويحتوي التلمود على أجزاء هالاخية وأخرى أجادية، أي على أجزاء تشريعية وأخرى قصصية وعظية.

(٢) الأجادا معناها «أسطورة» أو «حدوتة فلكلورية». وتستخدم هذه الكلمة للإشارة إلى الفقرات التلمودية التي تعالج الجوانب الأخلاقية أو القصصية الوعظية أو الأدعية أو الصلوات أو مديح الأرض المقدسة أو التعبير عن الأمل في وصول الماشيخ. كما تشير إلى الأجزاء التي تتناول التاريخ والسير والطب والفلك والتنجيم والسحر والتصوف.

وتُقرن الأجادا دائماً بالمالاخا. وتُعرّف الأجادا بأنها ذلك الجزء من التعاليم الحاخامية الذي لا يعالج المالاخا (أو الجوانب القانونية أو التشريعية). وحتى حينما تتعرض الأجادا إلى مثل هذه الجوانب، فإنها تقتصر دائماً على الحديث عن الحكمة من إرسال القوانين. ويقول الحاخامات إنه يمكن استخلاص الأجادا من المالاخا، ولكن العكس غير صحيح لأن المالاخا هي الأصل والأساس. والأجادا هي من باب التفسير القصصي، ولذلك فليس لها وزن وثقل المالاخا. وتختلط العناصر الأجادية بالعناصر المالاخية في التلمود. وتسم المشناه بقلة العنصر الأجادى فيها على عكس الجمارا. وتُطَبِّع أحياناً المقطوعات الأجادية من التلمود في كتب، وتُطلَق على مثل هذه الكتب أيضاً «أجادا».

وتُسم القصص الأجادية بمبالغاتها الأسطورية ومعانيها الغريبة. وقد حاول الفلاسفة اليهود الدينيون أن يفسروها تفسيراً عقلانياً، ولكنهم لم يهتموا بها كثيراً. وهذا على عكس المفكرين القباليين الذين اهتموا بها وطوروها واستفادوا منها في تفسيراتهم المتعقلة. وقد أثرت الأجادا تأثيراً عميقاً في الوجدان الديني الشعبي اليهودي، ونبتت في تربتها القبّالاه. ويمكن القول بأن الأجادا والقبّالاه هما اللذان صاغا هذا الوجدان. أما الجوانب التشريعية في التلمود، فقد كانت مقصورة على الأرستقراطية الدينية التي كانت موجودة في المدارس التلمودية العليا (اليشفات) والمراكز الدينية الكبرى بعيداً عن القرى والمدن الصغيرة. وقد نثار كثير من المفكرين الإصلاحيين على الأجادا.

وتُستخدم كلمة «هاجادا» أحياناً للإشارة إلى «أجادا»، وإن كان معظم العلماء يفضلون استخدام كلمة «أجادا» على أن يقتصر استخدام كلمة «هاجادا» على الإشارة إلى صلوات عيد الفصح والكتب التي تضم الأدعية والصلوات الخاصة بهذا العيد.



استمر العهد القديم "الوطن المتنقل لليهود"، كما أطلق عليه هينا، في لعب دور مركزي في النشاط الثقافي والتعليمي في اليهودية. لقد بدأ التلمودان بعد اتمامهما - بما أنهما يمثلان التوراة الشفاهية - وذلك منذ قبيل نهاية الألف الأول للميلاد أن يحلا محل العهد القديم في صدارة المناهج الدراسية لدى التيارات اليهودية الربانية. وظلت الطائفة القرائية الكبرى، التي طالبت بجعل العهد القديم فقط هو الكتاب الرئيسي للثقافة اليهودية والتشريع، مخلصمة للعهد قديم وجعله موضوع الدراسة الرئيسي في الدراسات اليهودية.

استمر تقليد القراءة الأسبوعية لإبداعات العهد القديم أيام السبت والأعياد بين التيارات اليهودية وقد أتاح ذلك للعهد القديم الاستمرار في التأثير بوصفه أدبا كلاسيكيا بين اليهود الذين لم يتلقوا تعليما في المدارس التلمودية.

استمر العهد القديم في كونه الأساس ومرجعية التلمود والمدراشيم وأدب القبالة والذين واصلوا التطور في العصر الوسيط ورسخوا نظرية أن العهد القديم هو الأساس المشترك لثقافة كل الطبقات في المجتمع اليهودي، وبين كل الطوائف وفي كل البلدان.

في العصر الوسيط والعصر الحديث في الطوائف اليهودية في أفريقيا وآسيا وأوروبا عرف يهود مثقفون العبرية وذلك بفضل دراسة العهد القديم في دوائر التعليم اليهودي. واستمرت معظم إبداعات الأدب والفن في اليهودية في العصر الوسيط وجزء كبير في عصر التنوير في التعامل مع إبداعات العهد القديم باعتبارها مصدر الإلهام والمرجعية.

سيطر في نظم التعليم اليهودي الأرثوذكسي والذي تطور في العصر الحديث أدب التلمود والمدراشيم على مناهج التعليم ونحيت دراسة العهد القديم جانبا.

تحولت الهلأخا إلى الموضوع الرئيسي في الدراسة لدى التيار الأرثوذكسي منذ أن توقفت عن التطور وتحولت من سياق حوارى متعدد لمجموعة من قوانين ثابتة جمعت في كتاب المائة المرتبة. واستمرت التعددية الثقافية المميزة لمجمل إبداع العهد القديم والمعروضة به في العصر الحديث في التطور بين التيارات اليهودية غير الأرثوذكسية. وعادت حركات دينية جماعية، مثل الإصلاحين والمحافظين، وحركات يهودية علمانية

جماعية ، صهيونية ومعادية للصهيونية، إلى العهد القديم بوصفه أساس التعليم اليهودى وجوهره. وتم تنحية دراسة التلمود جانبا في المدارس اليهودية العلمانية في فلسطين.

إن الثقافة اليهودية المطروحة في العهد القديم والتي تتسم بتعدد الآراء والعقائد والفرائض والنظريات حول الإله والأسس الأخلاقية والشعائر الدينية، قريبة من الثقافة اليهودية التي تطورت في فلسطين في القرن العشرين، وبعيدة عن اليهودية الدينية التشريعية المعروضة في التلمود، والتي تعرض فيه آراء مختلفة تركز حول اشكالية الجدل الدينى حول الشريعة.

لقد هجر معظم اليهود منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى السنوات التي سبقت أحداث النارية التيار اليهودى الأرثوذكسى وأنماط حياته ونظم التعليم الخاصة به وثقافته. وزاد بين الطوائف الأرثوذكسية - الحسيدية ومعارضيهما - الانغلاق إزاء ثقافات الشعوب والتيارات اليهودية الأخرى الدينية والعلمانية. وبينما عاد العهد القديم ليحتل مكان الصدارة في معظم نظم التعليم اليهودى في العالم، استمرت مؤسسات التعليم الأرثوذكسى في التركيز على دراسة التلمود أو الاكتفاء به فقط.

يلعب العهد القديم في ثقافة اليهود في إسرائيل دور الأدب الكلاسيكى، الذى يرسخ الوعى القومى ويحتل مكان الصدارة في التعليم وفي ثقافة اليهود للأغلبية العلمانية بين السكان اليهود، ويشكل مصدر الإبداع لمعظم إبداعات الثقافة الإسرائيلية - الشعر والغناء الشعبى، والأدب والفن والفكر والبحث.

استمر تقليد القراءة في العهد القديم أيام السبت والأعياد في التحور لدى الطوائف الثقافية العلمانية. فعلى سبيل المثال نجد أن في عشرات المعابد العلمانية في الولايات المتحدة يقرأون نصوص عهد قديم في إطار التعليم أو احتفالات بلوغ الابن أو البنت سن التكاليف ، دون الحفاظ على نظام الوقف في القراءة التقليدى والمتبع في المعابد الدينية.

ومنذ بداية إطلاق بث إذاعى لراديو بالعبرية (وذلك في عهد الاحتلال البريطانى ومنذ قيام إسرائيل، في التليفزيون) تدرج مقتطفات من نصوص العهد القديم في البث اليومى ويوم السبت والأعياد الخاصة.

لقد أجريت في عشرات المعابد العلمانية ولدى جماعات وطوائف علمانية أخرى في الولايات المتحدة وفي كندا وفي مراكز ثقافية علمانية في باريس وبريسل، طقوس احتفال وصول أولاد وبنات لسن التكاليف مرتكزة على إصحاحات من العهد القديم. ويختار تلك الإصحاحات الصغار الذين يحتفلون بهم، ويجهز الصغار أعمال ومحاضرات ترتبط بإبداع العهد القديم الذي اختاروه. وتجري احتفالات علمانية لوصول الأولاد والبنات سن التكاليف في فلسطين بدءاً من مطلع القرن العشرين في أكثر من مائتي مستوطنة تعاونية وفي شكل احتفالات أسرية وجماعية أخرى. وتم في الجماعات العلمانية ابتكار مناهج دراسية خاصة بمناسبة طقوس سن التكاليف، جماعية وفردية، وتستخدم في كثير منها إبداعات عهد قديم.

يوصلون في الثقافة العلمانية اليهودية تقليد قراءة إبداعات العهد القديم في أعياد ثابتة ويرسخونه. وجدد كثير تقليد ربط إبداعات أدبية للعهد القديم بأعياد إسرائيل. وتشرى هذه العادة مضمون الاحتفال بأعياد إسرائيل ويكشف عن وجوه جديدة في إبداعات العهد القديم، من منطلق معرفتها ومقارنتها بإبداعات قد كتبت بوحى منها، أو النظرة إليها في الثقافة المعاصرة وثقافات الماضي. ولقد ربط التقليد الديني إبداعات مثالية في أدب العهد القديم بالأعياد الكبيرة في التقويم السنوي: "التكويين" برأس السنة، و"يونا" بعيد الغفران، و"الجامعة" بعيد المظال، و"لفائف استير" بعيد البوريم، و"نشيد الأناشيد" بالفصح، و"روث" بعيد الأسابيع، و"سفر المراثي" بعيد التاسع من آب (أو يوم ذكرى أحدث النازية).

وهناك من يضيفون عليهم مقتطفات من أسفار المكابيين - في عيد الحانوكا<sup>(١)</sup>،

(١) عيد الحانوكا: أو عيد التدشين هو عيد له طبيعة سياسية وصهيونية وتاريخية في الخامس والعشرين من شهر كسلو الذي يقابل الذي يقابل ديسمبر. ومناسبة هذا العيد ترجع إلى سنة ١٦٥ ق م إذ كانت فلسطين تحت الحكم اليوناني، وحاول القائد اليوناني أنتيوخوس إيفانوس إرغام اليهود الواقعين تحت حكمه على ترك دينهم، والدخول في الوثنية اليونانية ولكن الكاهن الأكبر متانيا أعلن المقاومة، يعاونه في ذلك أحد أبنائه واسمه يهوذا المكابي، واستطاعا انتزاع المعبد اليهودي من الجيوش اليونانية وفي ٢٥ كسلو من هذه السنة أخرجت التماثيل اليونانية من الهيكل وزوده متانيا وابنه يهوذا المكابي بمذبح طاهر جديد، وأعيد فتحه للشعائر اليهودية. وهذا هو السر في تسميه هذا العيد بعيد التدشين

وقصة حياة إرميا ومقتطفات من نبوءته في صوم جادليا أو يوم ذكرى مقتل رابين، مقتطفات من قصة حياة داود والملوك في عيد الاستقلال، وقصص يوسف وموسى في عيد الفصح.

ربط من يتحدثون العبرية ويستخدمونها لغة حديث وتعلم وثقافة وترفية وإبداع علاقة لغوية فريدة بالعهد القديم وخاصة معظم الشباب الذى يعيش داخل ثقافة اليهود فى إسرائيل. ولقد تطورت هذه العلاقة منذ ثورة تجديد اللغة العبرية فى مطلع القرن العشرين. وخلال عقود قليلة توصلت العبرية مجددا وصارت لغة شعب اليهود الذى يعيش فى إسرائيل وملايين اليهود الذى تم استيعابهم فى إسرائيل خلال النصف الثانى من القرن العشرين.

ويمثل تجديد لغة قديمة وتحويلها إلى لغة حديثة تستخدم فى كافة الأغراض والمجالات، بعد أكثر من ألفى عام لم تكن لغة للحديث لليهود، ظاهرة لا مثيل له فى تاريخ الثقافة العالمية.

لعب العهد القديم دورا رئيسيا فى هذا الانقلاب الاجتماعى الثقافى. وبرز تأثير عبرية العهد القديم على لغة الحديث والإبداع بإسرائيل، واستمر مع تطور اللغة وإثرائها بألف الكلمات والتعبيرات التى لم ترد فى العهد القديم.

لا يعرف جزء كبير من متحدثى العبرية ومبديها مطلقا أصول العهد القديم للتعبيرات التى يستخدمونها. وبرز تغلغل لغة العهد القديم فى لغة الحديث الحديثة

---

والطابع المميز للاحتفال بهذا العيد هو إشعال الشموع الكثيرة والأنوار المختلفة لمدة أسبوع كامل. ويحتفل بهذا العيد حتى اليوم ويطلق عليه أيضا عيد الأنوار أو عيد الشموع. لضرورة إشعال الشموع فى أيام العيد الثمانية.

ويُحتفل بالعيد فى إسرائيل على أنه عيد دينى قومى، فتوقد الشمعدانات فى الميادين العامة، وتُنظَّم مواكب من حملة المشاعل. تم تخصيص شمعدانات خاصة لهذا العيد ويتم زخرفتها بشكل جميل وتصنع أحيانا من النحاس أو الفضة أو المعادن الأخرى.

انظر: د. حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى "أطواره ومذاهبه". مكتبة سعيد رافت القاهرة. ص ٢٠٥ - ٢٠٧.

وتوحيدها معها في الكلمات والتعبيرات التي يستخدمها الإسرائيليون في اللغة اليومية، وفي استخدام استعارات واستشهادات من أدب العهد القديم في لغة الأدب، وفي اشتقاقات التراكيب النحوية وقواعد الكتابة.

لقد كان أبطال العهد القديم وموضوعاته بمثابة موضوعات إبداعات عبرية حديثة في مجالات الشعر والنثر والرسم والنحت وفنون العرض. حيث استمرت قائمة الإبداعات الطويلة والتي ضمت إبداعات كتبت بوحي من إبداعات العهد القديم وتتحدث للجمهور بلغته وهذا بداية من قصائد بوب الغنائية، - "منفى" و"خلق العالم" وحتى إبداعات الشعر الديني المأسوي حول موضوع الذبيح الذي تجدد في وعى جيل الآباء الإسرائيليين المعاصرين، من عروض حول موضوعات من العهد القديم وحتى تحول نص العهد القديم نفسه إلى إبداع مسرحي قائم بذاته، مثل مسرحية "قال وذهب" لرينا يروشمى.

يحتل العهد القديم دورا جوهريا في إسرائيل ليس فقط في الحياة الثقافية والفنية بل أيضا في الحياة الاجتماعية والسياسية في دولة اليهود. وتستند الأيديولوجية الصهيونية وكذلك الحركات السياسية المختلفة والفاعلة في إسرائيل، إلى أدلة تاريخية وأدبية من العهد القديم لإثراء مواقف حول خلافات سياسية عقلانية.

وفي مقابل الذين يستخدمون أدب العهد القديم لإرساء سياسة إسرائيل كدولة يهودية على "أرض إسرائيل الكاملة" نجد معارضين يستندون إلى دلائل في العهد القديم وفقا لها فقد تمركزت غالبية الدول اليهودية في عصر العهد القديم في أجزاء من أرض فلسطين فقط بجانب دول أخرى مستقلة عاشت في حدود فلسطين. وخلال عقود قليلة فقط من عصر مملكة داود وسليمان احتلت مملكة أسباط بنى إسرائيل مناطق لشعوب أخرى غرب الأردن. وفي عصر حفيد داود انقسمت دولة اليهود إلى دولتين وقد سيطرتا على أجزاء من فلسطين فقط.

تم التعبير عن فكرة عودة اليهود إلى فلسطين من خلال الأنبياء في العهد القديم وكانت القاسم المشترك لكل تيارات الصهيونية والتي تؤمن بحق اليهود، مثل كل شعب

في العالم، في العيش في دولة سيادية بشكل يتيح لكل اليهود الراغبين أو المحتاجين للقدوم إليها. ولكن يوجد في العهد القديم أيضا الدليل الأول على أن غالبية اليهود الذين خرجوا من فلسطين لم يعودوا إليها. وأن عددا ضئيلا من الذين ذهبوا إلى بابل وذريتهم فقط هم الذين استجابوا للدعوى الإمبراطور قورش بالسماح لليهود بالعودة ثانية إلى وطنهم وتشيده مجددا. فتجاهل معظم الشعب في بلدان بابل ومصر نداء قورش مثلما تجاهل معظم الشعب في القرن العشرين تصريح بلفور واستمروا في العيش في كل بلدان العالم.

واعتبر التجمع اليهودي الصهيوني والعلماني في فلسطين، بداية من مستهل القرن العشرين، نفسه يحقق أمل أنبياء العهد القديم ويمهد مجددا لإقامة الدولة اليهودية المستقلة في فلسطين.

وطد النظام السياسي (بخاصة بن جوربون وديان) والنظام التعليمي (في المدارس والحركات الشبابية) بسبل متنوعة الصلة بالعهد القديم وفلسطين والمناظر والمواقع الموصوفة في العهد القديم والتي تنكشف في الحفريات والجولات في كافة فلسطين. وكان علم آثار العهد القديم أحد الموضوعات الجديدة في الصحف اليهودية منذ قيام الدولة وقبلها.

كان الإيمان بالتراث التاريخي والثقافي وبأن العهد القديم يشكل وعى كل تيارات اليهود وثقافتهم، هو أساس الاتجاهات المسيحانية الدينية والعلمانية والتي صاحبت تاريخ اليهود منذ التمرد على روما والحروب الأهلية بين فصائل اليهود في القدس والتي أدت إلى خراب الهيكل على أيد الرومان في القرن الأول الميلادي.

اعتمدت الحركة المسيحانية الدينية (كالحركة الجماعية لنتان من غزة وشبتاي تسفى) والحركات المسيحانية العلمانية (كالحركة الصهيونية السياسية) على إبداعات العهد القديم وعلى الأمل الذي تم التعبير عنه فيها وهو عودة اليهود لدولة يهودية، وأن تكون الدولة مركزاً قومياً للتوحيد الأخلاقي والتبشير بالسلام لكل الشعوب.

كانت الصعوبات التي واجهتها تلك الحركات أثناء تنفيذ أهدافها تتمثل في التباين الهائل بين المثالية والواقع عندما أرادوا تحقيقها ولكن هذا لم يضعف من حماس المؤمنين

بإمكانية تحقيقها. ولقد احتاجت الصهيونية العلمانية التي بدأت تحقيق المثالية التي كانت بمثابة حجر الزاوية في أيديولوجيتها إلى العهد القديم وأقوال الأنبياء لكي تتحول هذه الأيديولوجية المستحدثة إلى جزء لا يتجزأ من اليهودية بوصفها ثقافة لليهود. وكلما انتشرت العلمانية بين يهود العالم كلما ابتعد اليهود في معظم التيارات عن دراسة اليهودية بكل أنواعها، وزادت أهمية العهد القديم بوصفه الأساس المشترك الوحيد لدراسة اليهودية بوصفها ثقافة في نظم تعليم كل اليهود.



## الفهرس



٧	-----	مقدمة المركز
٩	-----	المقدمة
١٦	-----	<b>الجزء الأول ، اليهودية كثقافة</b>
١٩	-----	الفصل الأول : اليهودية بوصفها ثقافة في ضوء معتقدات اليهود العلمانيين
	-----	الفصل الثاني : تحديد المفاهيم الأساسية في الحديث عن اليهودية بوصفها ثقافة حيوية
٢٩	-----	تعريف المفاهيم للحديث والحوار. تعريفات مفاهيم
٣٠	-----	* "ثقافة" شعب
٣٢	-----	* يهودية
٣٤	-----	* إبداعات يهودية
٣٥	-----	* ديانة
٣٦	-----	* ديانة يهودية
٣٨	-----	* يهودية متحررة
٤٠	-----	* مصادر اليهودية
٤٢	-----	* "الانتماء إلى اليهودية" - "من هو اليهودي"
٤٣	-----	* إنسانية، قيم إنسانية
٤٣	-----	* إنسانية مرتبطة بقومية فردية
٤٥	-----	* قيم يهودية
٤٦	-----	* قيم في مقابل فرائض



- \* مستوى الثقافة "مستوى الإنسانية" وتأثيرهما على ماهية الحياة ----- ٤٩
- \* قومية، هوية وتضامن ----- ٥٠
- \* تعليم إنسانى يهودى ----- ٥١
- \* تعددية فى اليهودية ----- ٥٣
- \* تعددية ليست نسبية ----- ٥٥
- \* وحدة الشعب - تراث تاريخى واحد ومعتقدات كثيرة ----- ٥٧
- \* انفتاح اليهودية على تأثيرات ثقافات الشعوب ----- ٥٩
- \* إسهامات اليهودية فى ثقافة الشعوب ----- ٦٠
- \* الإله بوصفة بطلا أدبيا ----- ٦٢
- \* إلحادية إنسانية فى اليهودية ----- ٦٤
- \* تعصب دينى وأيديولوجى ----- ٦٦
- \* تيارات اليهودية ----- ٦٧
- \* شعب اختيار ----- ٦٩
- \* التيار العلمانى فى اليهودية ----- ٧٢
- \* ضعف فى بنية التيار العلمانى فى اليهودية ----- ٧٤
- \* حرب ثقافية ----- ٧٥
- الفصل الثالث : التعددية سمة اليهودية فى كل عصورها ----- ٨١
- \* تاريخ يبدأ من الحاضر ----- ٨١
- \* موجز تاريخ التعددية فى اليهودية ----- ٨٣
- \* الانقسام فى يهودية العصر الهلينستى وفى فترة الهيكل الثانى ----- ٨٥

- \* أنواع التعددية في يهودية العصر الوسيط ----- ٨٧
- \* الاندماج في ثقافات الشعوب في عصر النهضة الأوربية والتنوير اليهودى ----- ٨٨
- \* تنوع الإبداعات يمثل كل عصر في الثقافة ----- ٩٠
- \* التحولات المستمرة في اليهودية ----- ٩١
- \* لا يجب أن يقال "تقول اليهودية" كما لا يجب أن يقال "يقول العهد القديم" ----- ٩٥
- \* تعدد التيارات في اليهودية ----- ٩٦
- \* كل التيارات اليهودية شريك في عملية نشوء اليهودية بوصفها ثقافة ----- ٩٩
- \* ما هي السمات المشتركة بين يهود إسرائيل ويهود الخارج؟ ----- ١٠٠
- \* أسس الخلاف والفجوات بين التيارات في اليهودية المعاصرة ----- ١٠٢
- \* التعددية في عصرنا هي تواصل لتقليد يهودى عمره آلاف السنين ----- ١٠٥
- \* "يهودية معيارية" موجودة لدى المؤمنين بها فحسب ----- ١٠٧
- \* خلاف في اليهودية الهلينستية وفي اليهودية المعاصرة ----- ١٠٨
- \* الخلاف بين المؤمنين باقتصار الحياة على هذا العالم والمؤمنين بالآخرة ----- ١١١
- \* الخلاف حول أساس اليهودية: العهد القديم أم التلمود ----- ١١٢
- \* تعدد الديانات والتصورات حول الإله في يهودية عصر العهد القديم ----- ١١٤
- \* انتصار العجل الذهبى رمز للتعددية في ديانة يهوه ----- ١١٦
- \* ثقافة القرايين تعبير عن خوف المؤمنين بإله شخصي ----- ١١٨
- \* المعبد تجديد ثورى في تاريخ اليهودية ----- ١٢٠
- \* تأثير ثقافات الشعوب في اليهودية وإسهاماتها في ثقافتهم ----- ١٢٤
- \* العهد القديم والتوحيد والسبت والمعبد اسهامات اليهودية في ثقافات الشعوب --- ١٢٧

- \* تأثير الميثولوجيا الصوفية على التعددية في اليهودية ----- ١٣٠
- \* تعدد الألهة والإلهات يتغلغل في الديانة اليهودية ----- ١٣١
- \* الإيوان بإله في صورة إنسان في الميثولوجيا القبالية ----- ١٣٣
- \* أدب العهد القديم بوصفه مصدر إلهام لإبداعات يهودية معاصرة ----- ١٣٦
- \* الاعتقاد الإلحادي ينضم إلى تعدد المعتقدات في اليهودية ----- ١٤١
- \* فرضيات حول نشوء الآلهة في المعتقدات الإلحادية منذ الهلينية ----- ١٤٤
- \* أسس الاعتقاد الإلحادي ----- ١٤٨
- \* في اليهودية المتحررة بإسرائيل يعود العهد القديم ليكون أساس التعليم في اليهودية -- ١٤٨
- \* الانتفاء القومي والإنسانية والتقاليد في اليهودية المتحررة من الديانة ----- ١٥١
- \* معتقدات وقيم إنسانية ليست دينية في معظم إبداعات اليهودية المعاصرة ----- ١٥٤
- الفصل الرابع: أسس التعليم الإنساني لليهودية بوصفها ثقافة ----- ١٥٩
- \* تعليم من أجل إضفاء الطابع الإنساني وتعليم معاد للإنسانية ----- ١٥٩
- \* تعليم - تأهيل للمجتمع ، تعليم للتثقيف والاستقلال الشخصي ----- ١٦٠
- \* تنمية الجوانب الإنسانية في الثقافة القومية ----- ١٦١
- \* اعتراف بهوية يهودية وعربية في إسرائيل ----- ١٦٢
- \* تعليم يهدف إلى استيعاب قيم المساواة وضمان حقوق الفرد والمجتمع ----- ١٦٤
- \* التعليم ذو النزعة القومية خطر على الإنسانية ----- ١٦٦
- \* القيم الإنسانية - معايير لتقييم ونقد الفرائض والشرائع ----- ١٦٧
- \* تعليم إنساني مشروط بثقافة واسعة ونشاط اجتماعي ----- ١٧٠
- \* الدور التعليمي لإبداعات كلاسيكية يخطئ أبطالها أخلاقيا ----- ١٧٢

- ٢٩١
- \* إسهام إبداعات الأدب الكلاسيكي الذي يخطئ أبطاله في التعليم الإنساني ----- ١٧٤
- \* حقيقة إنسانية وحقيقة وجدانية ----- ١٧٥
- \* حواء وبرومتاوس ----- ١٧٧
- \* تطوير قدرة الانطباع الوجداني في التعليم الإنساني ----- ١٧٧
- \* علاقة تطوير قدرة الانطباع الفني وتعلم اليهودية ----- ١٧٨
- \* النظرة إلى الغير والارتباط بالمخاطب والمخاطبة في التعليم الإنساني ----- ١٨٠
- \* التعليم في الثقافة القومية وثقافات الشعوب ----- ١٨٢
- \* تعليم الديمقراطية ومصادرها في اليهودية ----- ١٨٤
- \* تنمية القدرة اللغوية ----- ١٨٦
- الجزء الثاني، العهد القديم رؤية نقدية معاصرة** ----- ١٨٩
- الفصل الأول : أدب العهد القديم ودوره في ثقافة اليهود العلمانية** ----- ١٩١
- \* النظرة إلى العهد القديم من خلال الرؤية النقدية الثقافية ----- ١٩١
- \* النقاش حول وظائف العهد القديم في الحياة اليهودية بوصفها ثقافة ----- ١٩٤
- \* معتقدات اليهود العلمانيون تحدد النظرة إلى العهد القديم ----- ١٩٥
- \* فصل القراءة المبسطة عن التفسير الباطني ----- ١٩٧
- \* وثيقة تاريخية في إبداعات أدب مختلق في العهد القديم ----- ١٩٨
- الفصل الثاني : دور العهد القديم في التعليم العلماني الهادف إلى إرساء**
- الإنسانية في اليهودية** ----- ٢٠٣
- \* تطوير قدرة الانطباع المادي والنقدي ----- ٢٠٤
- \* يكشف أدب الخيالي عن واقع إنساني ويرمز إليه ----- ٢٠٥

- \* صيغتان لقصة الخلق : أنشودة خلق الوجود وقصة الخطيئة الأولى للإله -- ٢٠٧
- \* تأثير النظرة إلى الإله بوصفه بطلاً أدبيا ----- ٢١٠
- الفصل الثالث : أركان الفكر الإسرائيلي في أدب العهد القديم ----- ٢١٥
- \* مغزى موقع جنة عدن في بداية التاريخ ----- ٢١٥
- \* تأثير الإيمان باقتصار الحياة على هذا العالم ----- ٢١٦
- \* الصراع بين الإنسان والإله في أدب العهد القديم ----- ٢١٨
- \* يعقوب يصارع مصيره وإلهه ويصير إسرائيل ----- ٢٢١
- \* يتهم الإله في سفر يونا بأنه إله رحيم وعطوف ومحسن ----- ٢٢٩
- \* يسأل أيوب عن المذنب في نكته ----- ٢٣٤
- الفصل الرابع : تعددية دينية وانقسام اجتماعي في مرآة العهد القديم ----- ٢٤١
- \* تعددية ثقافية تميز اليهودية في كل عصورها منذ قبل العهد القديم ----- ٢٤١
- \* الانحرافات عن توحيد العهد القديم في إطار الديانة اليهودية ----- ٢٤٤
- \* تقارب روحاني بين أدب العهد القديم واليهودية العلمانية في إسرائيل ----- ٢٤٧
- الفصل الخامس : إبداعات أدبية علمانية في العهد القديم ----- ٢٥١
- \* قصص يوسف ويهوذا ويوتام وتامار وروث وداود وأبشالوم ----- ٢٥١
- \* استير رواية سياسية حول إلغاء خطة الحل النهائي ----- ٢٥٤
- \* نشيد الأناشيد - إبداع علماني نموذجي شوهه التفسير الباطني ----- ٢٥٦
- الفصل السادس : التعارض بين التأويل الظاهري للأدب وبين المنهج الديني
- والتفسيري للعهد القديم ----- ٢٦٣
- \* ضرورة تجريد نص العهد القديم من رذاته التفسيرية ----- ٢٦٣

- \* فصل الإبداعات التي ألقت بوحي من العهد القديم عن الأدب الأصيل ----- ٢٦٥
- \* التفسير الظاهري قاسم مشترك لتفسير فردية ----- ٢٦٦
- \* كتب التفسير الظاهري القديمة : الترجمة السبعينية ----- ٢٦٨
- \* إحياء اللغة العبرية كلغة للحديث ----- ٢٧٠

الفصل السابع : مزايا النظرة إلى العهد القديم باعتباره أدبا ومخاطر الاكتفاء بالمنهج

- ٢٧٣-----التقدي للعهد القديم
- \* إسهام مدرسة "العهد القديم بوصفه أدبا" والتي تطورت في القرن العشرين ----- ٢٧٥
- \* خطورة ربط التفسير الرمزي بالإبداع الأدبي بالعهد القديم ----- ٢٧٦
- \* دور العهد القديم في ثقافة اليهود في عصرنا وفي الماضي ----- ٢٧٨

\* \* \* \*

مكتبة

المهتدين

# مشروع جامعة القاهرة للترجمة

CAIRO UNIVERSITY'S PROJECT FOR TRANSLATION

## هذا المشروع ..

يسعى المركز، في إطار طفرة التغيرات النوعية، إلى إطلاق مجموعة من المشروعات التنويرية؛ ومن هذه المشروعات: مشروع جامعة القاهرة للترجمة؛ لاسيما أن العالم المعاصر يشهد نمواً هائلاً في البحوث الأكاديمية في شتى المعارف كما وكيفا. وتحتاج هذه الطفرة البحثية أن يواكبها طفرة موازية في سبل الترجمة الأكاديمية الرصينة، حتى تُصبح متاحة لجميع الباحثين.

ويهدف المركز من ذلك إلى تعميق دوره في إثراء الحياة الثقافية والأكاديمية، وتحسين القدرات التنافسية للجامعة على المستوى الدولي، وإقامة علاقة من التفاعل المعرفي والإبداعي بين الثقافتين العربية والعالمية، وتأسيس منبر للإبداع الفكري والثقافي في شتى صنوف المعرفة الإنسانية، بما يحقق نوعاً من التواصل بين العديد من الميادين والحقول المعرفية المختلفة، وتفعيل التواصل الحضاري بيننا وبين أمم العالم التي لها بصماتها على الفكر العالمي.

نائب رئيس جامعة القاهرة  
لخدمة المجتمع وتنمية البيئة

أ.د. هبه نصار

إشراف

أ.د. محمد عثمان الخشت

رئيس جامعة القاهرة

أ.د. حسام كامل

إشراف عام

أ.د. محمد عناني



مركز جامعة القاهرة  
للغات والترجمة